الجمهوريّة الجزائريّة الدّيمقراطية الشّعبيّة
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
جامعة جيلالي ليابس – سيدي بلعباس.
كلّية الآداب واللّغات والفنون
قسم اللّغة العربيّة وآدابها

حضور النصّ الغائب
في شعر الأمير عبد القادر الجزائري

بحث مقدّم لنيل درجة الدّكتوراه في النّقد العربي

* إعداد الطالبة: محمدي نوال

* إشراف: أ.د.الأحمر الحاج

أعضاء اللّجنة المناقشة:

- أ.د. منصوري مصطفى.....أستاذ التّعليم العالي رئيسا (جامعة سيدي بلعباس).
- أ.د.الأحمر الحاج.....أستاذ التّعليم العالي مشرفا ومقررا (جامعة سيدي بلعباس).
- أ.د.كرومي لحسن.....أستاذ التّعليم العالي عضوا مناقشا (جامعة بشار).
- أ.د.بن حمو محمد.....أستاذ التّعليم العالي عضوا مناقشا (جامعة بشار).
- د.عبيد نصر الدين..... أستاذ محاضر عضوا مناقشا (جامعة سعيدة).
- د.تيرس هشام.....أستاذ محاضر عضوا مناقشا (جامعة سيدي بلعباس).

السنة الجامعية :2016-2017

بسم الله الرحمن الرحيم

رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي (25) وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي (26)
وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي (27) يَفْقَهُوا قَوْلِي (28)
سورة طه

الأمير عبد القادر الجزائري

إهداء

إلى التي لطالما علمتني معنى الصبر في المحن والأمل، وقول الحق والسير إلى الأمام، وتمنّت أن تتحقّق بفضل الله تعالى كلّ أحلامي، "أمي" رحمها الله.

إلى الذي يدعو دوما لي بالخير مبتسما، "أبي" أسكنه الله فسيح جنانه حين نداه أجله يوم:26- 01- 2017 فلم يكتب له أن يشاركني عذابي الجميل

إلى من يقف معي في السراء والضراء زوجي المحترم "أحمد".

إلى الذي يُكمل درب الأبوة ولمّ شمل العائلة الأخ العزيز "عبد الوهاب".

إلى "أم زوجي" التي تدعو لي دائما قائلة: "يجعلك الله في الصفّ الأول في الخير والعمل".

إلى ابنتيّ "إيمان وخديجة" رحمهما الله.

إلى أبنائي: "إيمان، محمد، فاطمة الزهراء".

إلى جميع إخوتي وأخواتي من عائلتيّ :"محمدي ومرتومي" وجميع أفراد أسرتي كبيرا وصغيرا، دون أن أنسى أستاذي المحترم "الأحمر الحاج" الذي أمدّني وأفادني بكل ما ينفعني في هذا البحث على الرّغم من بعد المسافة بيننا، جزاه الله كل خير.

"أهدي هذا الجهد المتواضع ثمرة تتويج لمسار علمي محفوف بالمخاطر والمصاعب"

نوال

شكر وتقدير

بداية لابدّ من كلمة أنوّه فيها بالمجهود المحمود الذي بذله جميع أساتذتي الكرام، منذ بداية دراستي، "الدكتور لحسن كرومي، الدكتور محمد بن حمو، الدكتور محمد تحريشي" في رسم معالم البحث والدّرس الأكاديمي، بغية وضعي على طريق الدراية والمعرفة بروح علمية قوية ومعنويات عالية.

كما أخص أستاذي الدكتور الحاج الأحمر بشكر خاص على قبوله عناء الإشراف على هذه الأطروحة ، مع كثرة انشغالاته، وأرجو من سيادته أن يقبل مني أسمى التقدير على ما كان يتفضل عليّ به من توجيهات وتشجيع ، جزاه الله خير الجزاء.

كما أتوجّه بأسمى معاني الاحترام والتقدير إلى الأساتذة الكرام "الأستاذ الدكتور فرعون بخالد، الدكتور قندسي عبد القادر، والأستاذ الدكتور منصوري مصطفى" الذين كان لهم الفضل في مدّ يد المساعدة لي وإسداء النّصح والإرشاد، لإنجاز هذا العمل، فلهم منّي أسمى آلاء الشكر الجزيل والذكر الجميل.

في الأخير أسأل الله عزّ وجلّ أن يجعل هذا العمل في ميزان مقبول، ينفع به غيري، كما أسأله سبحانه وتعالى أن يجازي كل من أسهم من بعيد أو قريب في إثراء معارفي، وإسداء النصح لي بطلب العلم والمثابرة.

على الرغم من كلّ العقبات والمحن التي عشتها، حاولت أن أكمل المشوار الذي بدأته، ولا أدّعي أنّي وصلت إلى ذروة الكشف والتحليل، بل قدمت ما استطعت الوصول إليه فإن أصبت فمن الله تعالى ، وإن قصّرت فأسأل الله أن أكون موفقة في بذل قصارى الجهد والعناية. لأصل بتوفيقه إلى ما أرنو إليه والله المستعان.

مقدمة

إنّ الاهتمام بالتراث الشعري العربي عامة والجزائري خاصة يغدو من واجبات الباحث وضرورة ملحة حين يكون الأمر متعلقا بشخصية أدبية تركت بصماتها في سجل التاريخ الأدبي والسياسي الجزائري ولها حضور متميز في وجدان الأمة العربية، الأمير عبد القادر يحضى بمكانة سامية مرموقة وذاكرة الأحرار ليس لكونه عالما وفقيها وشاعرا بل لأنه شغل الآفاق بثورته وجهاده ضد الاستعمار الفرنسي .

والدارس المتأمل في مساره الشعري يجد أن خطابه قد امتلك القدرة على فرض نموذجه وهو يَعجُّ بالطاقات الابداعية التي تمس مشاعر الانسانية.

والموضوع كما يتضح يحاول تناول مكامن الشعرية والكثافة الانزياحية التي يحملها نص الأمير عبد القادر الذي اعتمد وزاوج بين النص القديم الأصيل المفعم بالدلالات والنص الغائب الذي اتخذه أنموذجا في صناعة شعره الذي كان رائدا في ظهور نص شعري جزائري، مواكب للمشرقي، الأمر الذي يأخذنا إلى تتبع البنية الفنية والجمالية التي تصبغ الخطاب الصوفي المغاربي بصبغتها.

وقدذكر أحد الكتاب بأن الأمير عبد القادر استطاع أن يجمع بين الأصالة و التجديد في شعره، وأن سعة أفقه الفني والتاريخي والديني والاجتماعي أتاحت له تجربة رائدة جعلته يقف في طليعة الشعراء، من هنا كان السؤال: ماذا نعني بالنص الغائب؟ وكيف شكل ظاهرة بارزة في شعر الأمير عبد القادر الجزائري؟

النص الغائب مصطلح نقدي جديد، ظهر في ظل الاتجاهات النقدية الجديدة وهذا ما أدلت به جوليا كريستيفا، كما أن النص تشكيل لنصوص سابقة ومعاصرة أعيدت صياغتها بشكل جديد، وليست هناك حدود بين نص وآخر، وإنما ينسج النص من نصوص أخرى وبهذا يدخل في عملية تناص جديدة.

إذن النص الغائب هو مجموع النصوص المستترة التي يحتويها النص الشعري في بنيته الشعرية وتعمل بشكل داخلي على تحقيق هذا النص، وتشكل دلالته، فتتعطل أية عملية فهم واستيعاب لهذا النص المركب، ومن ثمَّة تخريج معانيه وإضاءة رمزياته، وقوانينها المتميزة، إلا أن هذا لا يعني اكتفاءه داخليا عن كل ما هو خارجي، بحيث أن النص في خصوصيته الجديدة يتشكل من مجموع نصوص كثيرة تلتحم في تركيب فني ذاتي يجعل منه وحدة متكاملة وتتوزع هذه النصوص في مصادرها المتنوعة على ذاكرة واسعة يتداخل فيها العربي بالأجنبي، والقديم بالحديث، والعلمي بالأسطوري، والشعبي بالأكاديمي، مما يحيل عملية رصد هذا النص الغائب وتحديده بدقة إلى مهمة صعبة تعترضها عوارض عدة ، وذلك لأن كل نص شعري تركيب معقد لنصوص كثيرة ومتنوعة، وهو قراءة وإعادة كتابة لها من خلال نموذج فكري وجمالي معين، وفي هذا تقول جوليا كريستيفا: "كل نص فهو امتصاص أو تحويل لوفرة من النصوص الأخرى" .

تتفاوت الكفاءات الفنية للنص الغائب من شاعر إلى آخر ومن قصيدة إلى أخرى، والأمير عبد القادر عالج في أشعاره وأبياته مختلف جوانب الحياة كما عاشها بحلوها ومرها، ويظهر هذا من خلال أشعاره وتأثره العميق بكتاب الله عز وجل، وقد عاش الأمير متصوفا ومنصرفا للعبادة، ونشر العلم والتأليف، وخدمة الانسانية إلي آخر يوم من حياته، وهذا ما اعترفت به حفيدته الأميرة بديعة الحسني الجزائري في (أصحاب الميمنة).

تأثر الأمير بالشعراء الذين الذين التزموا النص الغائب، ومنهم البارودي، الذي استحضر في شعره النص الغائب، خاصة من شعر أبو الفراس الحمداني، بحيث استطاع أن يحقق نجاحا هائلا في القدرة على استعارة الإطار الشعري التقليدي، وتحميله خواطره وعقله، للتعبير عن مضمون عصره، ومن ثمّة إحياء الديباجة العربية في أزهى عصورها، لأنه كان مرحلة تمهيدية عاشها الشاعر العربي بتلك الروح القديمة التي سيطرت عليها صور الشعر العربي الكلاسيكية، لهذا شكل النص الغائب ظاهرة بارزة في شعره، وهذا لتأثره بالتراث واصالته ، فأين تجلى حضور النص الغائب في الشعر العربي الحديث؟ وفيما يكمن حضور النص الغائب في ديوان الأمير عبد القادر؟ وما خصائصه؟ة وما مدى علاقته بالتراث الشعري القديم؟

وقد وقع اختياري على شعر الأمير عبد القادر الجزائري، الذي يعد بحق شاعر نهضة الشعر العربي الحديث، ومؤسس الدولة الجزائرية.

والدراسات السابقة التي تقاطعت مع موضوع بحثي:

-محمد عزام: النص الغائب، تجليات في الشعر العربي، بحيث درس النص الغائب، ونظرية النص، ونظرية التناص، ومنهج التحليل التناصي وبحث في النقائض الشعرية في الشعر الجاهلي،

في شعر صدر الإسلام، وفي الشعر الأموي، ودرس التناص من خلالها، والسرقات الشعرية على ضوء التناص، ومن تم المعارضات الشعرية، معارضات محمود سامي البارودي والتناص في معارضاته وكذا عند أحمد شوقي.

-محمد مفتاح: تحليل الخطاب الشعري (إستراتيجية التناص) بحيث يضم جملة من الفصول على عدة عناصر نظرية، منها تحديد المفاهيم، المعجم، التركيب التناص وآلياته، والتناص في الشكل والمضمون، وإستراتيجية التناص.

وأحاول من خلال هذه الدراسات أن أعمق وأضيف بعض الأفكار، وبخاصة في دراسة شعر الأمير عبد القادر الجزائري، خاصة وأن النحت في هذا الموضوع ضيق وإن اتسع فإنه يختص بحياة الأمير عبد القادر وبطولاته التاريخية.

وجاء بحثنا في مقدمة، ومدخل/ مقاربة نظرية، نحدد فيه مفهوم النص الغائب وأربعة فصول هي:

الفصل الأول: طبيعة الحياة الثقافية والاجتماعية في عصر الأمير عبد القادر وملامح تطورها، وقسمته إلى:

1-طبيعة الحياة الثقافية في عصر الأمير عبد القادر.

2-طبيعة الحياة الاجتماعية في عصر الأمير عبد القادر.

3-نبذة عن حياة الشاعر.

وهذا من خلال أثر الشعر العربي القديم، وطبيعة الحياة الثقافية في عصره وحتى الاجتماعية منها، ودراسة أشعاره، بحيث نجد آثاره وموقفه ومنجزاته مازالت حديث الخاص

والعام حتى الآن، ويتجلى ذلك فيما كتب من كل الحقول التي عالج قضاياه وفي كل ما صادفه في مسيرته التاريخية والشعرية، بهذا يتجلى الاختلاف والتنوع وفقا لكل نص مفرد، ولكل مرحلة من مراحل الشعر العربي الحديث ويظهر من هذا التأثر حضور النص الغائب في شعر الأمير عبد القادر.

الفصل الثاني موسوم: حضور النص الغائب في أغراض الأمير عبد القادر الشعرية، وقسمته إلى:

1-المدح والفخر والرثاء.

2-الوصف والغزل والحكمة.

3-الزهد والحنين والاعتذار.

وتأتي قيمة هذه الدراسة بعد اعتراف الكثير من النقاد على أن شعره متانة وعذوبة من شعر معاصريه، وأنه من نوع السهل الممتنع، لأن لديه موهبة متفتقة صقلها لغة القرآن الكريم العربية الأصيلة.

الفصل الثالث معنون: تجليات النص الغائب في شكل القصيدة و قسمته إلى:

1-البناء المعجمي والنسيج اللغوي في القصيدة الأميرية.

2-جماليات الصورة الشعرية والآليات التي تقوم عليها في القصيدة.

3-المعاني والألفاظ في القصيدة الأميرية.

فأين تجلى النص الغائب في القصيدة الأميرية؟ وهل حقا شكل ظاهرة في ديوانه الشعري؟ بهذا يجب معايشة النص واستبطانه، للدخول إلى نسيج مليء بالمعاني والصور، ومن تم ، فالشكل كان ولازال الميدان الذي يتحدد فيه مصير النص.

الفصل الرابع: أثر الشعر العربي القديم في البنية الإيقاعية عند الأمير عبد القادر .

1-الشكل الفني والإيقاعي عند الأمير عبد القادر.

2-الموسيقى الداخلية والخارجية في شعر الأمير عبد القادر.

3-مسائل في الوزن والقافية في شعر الأمير عبد القادر.

بحيث نجد شعره لا يخلو من التراكيب المجازية ، والتوزيع الموسيقي الدقيق والجميل، والإبداع الفني الذي لا يصدر إلى عن شاعر مطبوع ، لأن الموسيقى تعد من أهم ركائز الصياغة الشعرية، لأنه تستطيع أن تحقق توافقا وانسجاما بين الشكل والمضمون.

الخاتمة: نوجز فيها استراتيجية التناص في شعر الأمير عبد القادر، لأن وجود نص غائب أو مواز إلى جانب النص الشعري يسمى عند علماء النص في العصر الحديث تناصا، أو ضرب من تداخل النصوص، فماذا نعني بالتناص؟

وقد لاقتنا بعض الصعوبات التي اعترت مسارنا في هذا البحث تعود بالأساس إلى صيغة النص الصوفي المتسم بالغموض كما تطلب منا قراءة نصوصه قراءة واعية التحليلية لفك شفراته.

وقد وقفت على هذه المعارف في حضور النص الغائب في شعر الأمير عبد القادر من خلال المنهج التحليلي الوصفي، زيادة على ذلك استعنت ببعض المناهج الأخرى بوصفها أدوات مساعدة في قراءتي للعمل الأدبي الذي قام به الشاعر.

وفي الأخير أختم بحثي هذا تاركة المجال للبحث والتعمق في دراسة حضور النص الغائب في شعر الأمير عبد القادر من خلال النتائج التي سأتوصل إليها لأن التحليل يختلف من باحث إلى آخر ، ويبقى الباب مفتوحا ، وبهذا تستمر جهود الباحثين .

لا يسعني في هذا المقام إلى الاعتراف بالجميل لأستاذي المشرف الأستاذ الدكتور "الأحمر الحاج" الذي وجدت فيه المعلم الموجه كما أسجل عظيم الامتنان لكل من ساعدني في انجاز هذا البحث والشكر موصول إلى السادة أعضاء لجنة المناقشة الذين تجشموا عناء القراءة والتقويم.

والله ولي التوفيق

2016-08-22 سيدي بلعباس

المدخل

مقـاربة نظريـة

1) مفهوم النص الغائب و النص الموازي:

كان للشعر العربي القديم الشأن في صياغة قالب القصائد العربية الفنية ، و هو ما انعكس على شروحها، فحظي الشعر بالدراسة للكشف عن غريب ألفاظه و إزالة الغامض من معانيه و قد تصدى لهذا الأمر الكثير من النقاد والشارحين ، وهذا من خلال النص و خاصة في الشعر الحديث الذي أخذ من سابقيه، من خلال نصوصه، فماذا تعني كلمة نص؟

لغة:

وجدنا في المعجم الوسيط تحت (نصّ) القوم: (ازدحموا)... (النُّصُّ): صيغة الكلام الأصلية التي وردت من المؤلف (مو) .و-ما لا يحتمل الا معنى واحدا، أولا يحتمل التأويل ؛ و منه قولهم:لا اجتهاد مع النّصّ (ما-و).(ج) نصوص، و-(عند الأصوليين): الكتاب و السنة ، و-ن الشيء:منتهاه وبلغ أقصاه ، يقال بلغ َ الشيء نصَّهُ ، و بلغنا من الأمر نصَّهُ : شدته."[1]

اصطلاحا:

اصطلاحا :" إذا كانت كلمة " النص" في اللغات الأوربية تعني نسيجا من العلاقات اللغوية المركبة التي تتجاوز حدود الجملة بالمعنى النحوي للإفادة.

---

[1] مجمّع اللغة العربية،الإدارة العامة للمعجمات وإحياء التراث،مادة(نصّ)المعجم الوسيط،مكتبة الشروق الدولية، جمهورية مصر العربية،ط4،1425هـ/2004م،ص926.

ومن استقراء الدلالات المتعددة يمكن القول إن الدلالة المركزية الأساسية للدال "النص" هي الظهور والانكشاف، ولا تزال هذه الدلالة بارزة في الاستخدام اللغوي المعاصر و يمكن القول إن الدال "نص" صار مصطلحا دلاليا إجرائيا يدل على جزء مما يدل عليه اليوم بالدال نفسه ، هو ذلك الجزء الواضح الدلالة وضوحا لا يختلف فيه اثنان من أهل اللغة." [2] ، إذن النص في تعريفه المعاصر سلسلة من العلامات المنتظمة في نسق من العلاقات تنتج معنى كليا يحمل رسالة، وسواء كانت تلك العلامات باللغة الطبيعية- الألفاظ – أم كانت علامات بلغات أخرى، فإن انتظام العلامات في نسق يحمل رسالة يجعل منها نصا.

" النص " كتلة لغوية متعددة الأشكال ، متعددة الغايات، لها نظام يجمع الأنساق المتعددة و يوحدها فيصبح لها هوية مجردة مفتوحة على احتمالات التأويل من خلال تعددية المقروء و تعددية القارئ، وهذه الكتلة اللغوية عبارة عن شبكة يتم تشكيلها و نسجها و صياغتها و توزيعها عبر علاقات متنوعة من التواصل و التداخل والترابط ، انطلاقا من مجموع أنساقها التي تمنح النص هويت متداخلة مع الخطاب و مختلفة عنه في آن معا."[3] لهذا علينا أن نعطي الأهمية الكبرى للنص لمعرفة خصائصه و مزاياه للقول " الولاء للنص ، و الوقوف طويلا عنده، صحيح أنه لا بأس به من تسليط بعض أضواء العلوم و الفنون على سطح النص و على طبقاته من الداخل ، ولكن يبقى دائما في المقام الأول ما يعطيه النص من عالمه الخاص به المهم

---

[2] نصر حامد : النص و السلطة و الحقيقة إدارة المعارف وإدارة الهيمنة ،المركز الثقافي العربي،ط4،2000،ص:150-151

[3] عز الدين المناصرة: علم التناص المقارن ، نحو منهج عنكبوتي تفاعلي: بدعم من عمادة البحث العلمي ، جامعة فيلاديلفيا 2006، الطبعة الأولى 1427هـ- 2006م ، ص:136-137

أنه لابد من معايشة النص واستبطانه ، و الصبر عليه حتى يشتغل ...ثم يضيء، ثم يفسر نفسه بنفسه."[4]

نعود إلى تعريف النص لغويا فقد وجدنا في المنجد :" نص: نص-نصا الشيء: رفعه و أظهره ، والحديث : رفعه وأسنده ، و المتاع:جعل بعضه فوق بعض ، تناص القوم : ازدحموا ، النص: (مص) ج ،نصوص: الكلام المنصوص ومن الكلام: هو ما لا يحتمل الا معنى واحدا أو لا يحتمل التأويل ، ومن كل شيء : منتهاه."[5]

لهذا على الناقد أن يتخذ من العمل الفني مادة أولية لبحثه، يقوم بتحليلها و ردها الى منابعها الأولى، تمهيدا لاستخراج القيم التي يحتكم إليها الفق و يجاوزها فيما بعد ، وصحيح كذلك أنه يتحرك في بحثه داخل إطار علاقات مبدع النص بالعالم لكن الناقد، خلال عملية تفكيك النص و إعادة تركيبه ، يدخل طرفا فاعلا في إعادة تشكيل هذه العلاقات ، وطرحها طرحا جديدا في نص نقدي ، يضيف عمقا جديدا للنص الأول، يتمثل في علاقات الناقد نفسه بالعالم.

نجد أن قراءة النص ومحاولة فهمه بعث له من جديد ، إحياء له من عالم الركود و السكون إلى عالم الحياة و الحركة، فالقارئ الفاعل هو الذي يعيد بناء ما خلفه النص من تصورات في شبكة منسجمة الخيوط ، "لأن النص هو الموضوع الرئيس في التحليل و الوصف

---

[4] عبده بدوي: دراسات في النص الشعري (العصر العباسي)، دار قباء للطباعة و النشر و التوزيع ، عبده غريب، القاهرة ،ص:7.

[5] المنجد في اللغة والإعلام ، طبعة المئوية الأولى –دار المشرق ، بيروت: الطبعة الثالثةو الأربعون،ص:810-811.

اللغوي، وأن تحليل النصوص تحليل يتجاوز النظام إلى كيفيات الاستخدام، وأن تفسير النصوص يقوم على عناصر داخلية (داخل النص) وعناصر خارجية (خارج النص) وأن النصوص تضم تراكيب خاصة "[6]، لأن النص و خاصة الأدبي منه يتقلب بين مناهج و مذاهب وقراءات كثيرة تتمحور بين الانطباعية و العقلانية و الأخلاقية و العلمية و الاجتماعية و التاريخية و النفسية و غيرها حتى استوى عوده و صار علما قائما بذاته.

هناك علاقة وثيقة موجودة بين المتلقي و الكاتب ، عن طريق النص ، لأنه مرتبط باللغة التي تساعد على معرفة النص و مستوياته، وما يتضمن مضمونه سواء الشكلي أو المعنوي بهذا كان " النص وحدة كبرى شاملة لا تضمنها وحدة أكبر منها، وهذه الوحدة الكبرى تتشكل من أجزاء مختلفة تقع من الناحية النحوية على مستوى أفقي، ومن الناحية الدلالية على مستوى رأسي ، ويتكون المستوى الأول من وحدات نصية صغرى تربط بينها علاقات التماسك الدلالية المنطقية، ومن ثم يصعب أن يعتمد في تحليل النص على نظرية بعينها، وانما يمكن أن تتبنى نظرية كلية ، تتفرع إلى نظريات صغرى تحتية تستوعب كل المستويات."[7] ، يمكن أن نقول من خلال هذا أن النص مرآة عاكسة، تكشف للقارئ كل اتجاهات النص و مستوياته لكي يكون الأداة التي من ورائها يتعرف القارئ على الأدوات الإجرائية لمعالجة خطاب ما غرضه الاتصال بين النص و الكاتب و الخطة هي الإقناع عن طريق أهمية الموضوع و أثره على النفس. إذ كلما كان الموضوع أهمية يكون أدعى الى الاهتمام.

---

[6] سعيد حسن بحيري: علم لغة النص، المفاهيم والاتجاهات ،الشركة المصرية العالمية للنشر،مصر،1990،ص:95.

[7] المرجع نفسه، ص:108

و النص نتيجة لذلك إنما هو عملية إنتاجية ، مما يعني أمرين:

1- علاقته باللغة التي يتموقع فيها تصبح من قبيل إعادة التوزيع (عن طريق التفكيك و إعادة البناء)؛ مما يجعله صالحا لأن يعالج بمقولات منطقية و رياضية أكثر من صلاحية المقولات اللغوية الصرفة له.

2- يمثل النص عملية استبدال من نصوص أخرى، مما يجعل بعضها يقوم بتحييد الآخر و نقضه."[8]

3- إذن يتحول النص إلى ميدان معرفي مميز بحيث أصبح منطقة من مناطق عمل الفكر، معناه أن له مشروعيته و كينونته المستقلة، فهي تقضي بالنظر إليه دون إحالته لا إلى مؤلفه و لا إلى الواقع الخارجي .

- مقاربة النص: " تتجلى أشكال المقاربة التي سيعول عليها لمساءلة النص في إلغاء التعامل معه محيلا الى نفسه و ذلك ب:

أ- محاولة قراءة النص الشعري عن طريق نص آخر و هو النص الغربي من خلال المقارنة بين بنيتهما الشكليتين .... مصاحب لتغير النص و محفز لمساءلة التحولات الجوهرية التي حدثت على الذات الجمعية..

ب- محاولة قراءة النص الشعري عن طريق الشاعر متلبسا بظرفه التاريخي و الاجتماعي وذلك من خلال التركيز على السيرة الذاتية للشاعر في أبعادها الشخصية و الاجتماعية و الإيديولوجية و السياسية كمطية لفهم الشاعر الذي يمتلك مفاتيح النص وقد أدى

---

[8] صلاح فضل: بلاغة الخطاب و علم النص، أدبيات ،مكتبة لبنان ناشرون، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان،ص:294-295.

هذا التعامل مع النص في تغير المفاجئ من خلال سيرة الشاعر و حياته، إلى ربط الموقف السياسي أو الإيديولوجي للشاعر بشكل النص الذي يبدعه.

ت- محاولة فهم المشروع الابداعي الذي يخبر عنه النص في شكله الجديد عن طريق مشروع إبداعي غربي."[9]

إذن النص رسالة من الكاتب إلى القارئ بينهما علاقة اتصال ، فهو يكون من طرف الأول إلى الثاني." فقد يتغير المكان، ويمضي الزمان ، ويحل الفناء و تتبدل الأجيال و الايدولوجيا و الأديان ، وتتعدد القراءات وتتهاوى التأويلات، ولكن النص لا يبقى الا نصا غير مبال بما يحاك حوله من صراع جدلي أو تجاوب حميمي ، لكن أي نص؟؟؟.النص الأنا أو النص الآخر.و هل النص الأنا لا يعيش الآخر و يتعايش معه متفتحا عليه، متعانقا معه؟ وهل هو في تصرفه هذا أو ذاك حر سيد يتناص متى يشاء ويتعلق متى يريد؟ أم هومجبر على ذلك كرها ما بقي المتلقون يتمتعون أو يتفكهون بخطيطاته الأفقية و العمودية غير مبال بومضاته التي أبت شهابه إلا أن تومض بين كل قراءة فاعلة و أخرى ؟ وهل النص هو الذي يتلقانا و يسخرنا عبيدا له بدليل ديناميته و انفتاحه على قراءات لا نهائية و غير متضاهية أم نحن الذين نرسنه فعلا و نتحكم الى حد ما في زمام أمره؟ إذا كنا نأبى العبودية له فمن الهذر بمكان أن نتصور

[9] عبد القادر رابحي: النص و التقعيد،دراسة في البنية الشكلية للشعر الجزائري المعاصر،ج1،دار الغرب للنشر والتوزيع، ص:37-38-39-40.

هيمنة ما عليه، ففي كل نص أدبي أو فني أو شيء آخر حياة صاحبه وموته في الحياة بداية أول وحده دالة تتلفظها فيه، والموت نهاية آخر وحدة دالة نتهجاها منه." [10]

يوضح هذا أن العمل الإبداعي كما نتصوره في أفقيته مشكل متعدد المتتاليات فهو لا يحضر إلا ليغيب ، ولا يغيب إلا ليحضر ، والحاضر من شأنه أن يتمثل الغائب و إذا بهذا الغائب يغدو حاضرا ليستدعي هو الآخر غائبا آخر و هكذا الى ما لا نهاية و بين هذا الحضور وذاك الغياب استدعى الأمر بهما أن يكملا بعضهما البعض ويبرز بينهما أحيانا تعارض أو تضاد مبدئي داخل العمل الإبداعي ، من الصعب استنباطه في الآن ذاته.وهذا ما وجدناه في الشعر الجزائري عامة و في شعر الأمير عبد القادر الجزائري بخاصة "و مهما يكن الحكم على مستوى الشعر الجزائري، قبل ظهور الحركة الاصلاحية فإنه مثل باقي الشعر في أنحاء العالم عبر مراحله التاريخية ، يخضع للتطور و لا سيما من جانبه الفني ، فإنه لا لايمكننا أن نتصور بأي حال من الأحوال بأن هناك حدودا زمنية فاصلة تقوم كالسور الحاجز بين عهود الأدب و مراحله المتطورة، وإنما قصارى ما نستطيع قوله هو أن بعض العوامل السياسية والاجتماعية و الثقافية و الاقتصادية ساعدت في أغلب الأحيان على بروز هذه الظاهرة الأدبية أو تلك." [11]

فالمطلع على تراث الأمة لا يغيب عنه كليا أن يفرق بين مستويات ما يقرأ من نصوص متعاقبة في تسلسلها التاريخي و السياسي و الفني، غير أن الإدراك لأي من هذه الأبعاد ما كان

---

[10] عبد الجليل مرتاض: في عالم النص و القراءة، ديوان المطبوعات الجامعية، الساحة المركزية – بن عكنون- الجزائر 2007،ص:5.

[11] محمد ناصر: الشعر الجزائري الحديث ، اتجاهه و خصائصه الفنية ، 1925-1975م، الطبعة الثانية ، مزيدة و منقحة، دار الغرب الاسلامي،2006م.

له ليحصل أو لم يرتكز اللاحق على السابق و المجهول على المعلوم لأن الخطاب الأدبي مهما كان شكله و جنسه فهو لا يعدو أن يكون قراءة داخلية جديدة لنص من النصوص ، والقراءة الفاعلة ترى أن النص لا يغلق بعصر و لا قارئ و لا حتى منتج له ، فهو مفتوح على نفسه أولا و متقاطع أو متناص مع نصوص أخرى تعاصره أو تباينه زمنيا.

- **النص الغائب و التناص:**

جاء في المنجد " الغائب ج غيب و غيب وغياب و غائبون :فا/ غائبك : ما غاب عنك."[12] أول شيء هو علينا أن نعرف النص كي نقرنه بالغائب أو التناص." و بمجرد أن يطلق الكاتب (نصه) في عمليات (تناص) جديدة. باعتبار النص الجيد قادرا دوما على العطاء المستمر لقراءات متعددة. ومن هنا يظل النص منفصلا عن القارئ و متصلا به في آن، وهكذا يتفاعل النصان: (الغائب)و (الماثل)، من أجل إنتاج نص جديد، يشكل في الوقت نفسه تناصا مع مكنونات الثقافة و القارئ، والتناص أنواع: فهناك التناص العام الذي تتجلى فيه علاقة نص الكاتب بنصوص غيره من الكتاب، والتناص المقيد الذي تظهر فيه علاقة نصوص الكاتب ببعضها بعض ، والتناص (البلاغي) كالإرداف الذي يريد فيه الكاتب شيئا ، فيتجاوزه الى ذكر ما يتبعه في الصفة و ينوب عنه في الدلالة، وقد أولى نقادنا العرب القدماء مفهوم (التناص) أو (التداخل النصي) عنايتهم و عالجوها ، لا بتسميتها المعاصرة، و إنما

[12] المنجد في اللغة والاعلام ، طبعة المئوية الأولى –دار المشرق ، بيروت: الطبعة الثالثةو الأربعون،ص: 563.

بتسميات أخرى من مثل الموازنة و المفاضلة و الوساطة و التضمين و الاقتباس و الاستشهاد و السرقات والمعارضات و النقائض....الخ"[13]

فهو يوضح أن هذا لا يقلل من قيمة تراثنا الشعري و النقدي ، وإنما بالعكس، يعطيه دفعة جديدة من الحياة ، عندما يفسره على ضوء مفهومات نقدية معاصرة، وفي تطبيق نظرية (التناص) على الشعر العربي وجد إلى التناص البلاغي: كالاقتباس و التضمين....الخ ثلاثة أبوب شعرية كبرى و أساسية تتجلى فيها هذه النظرية بأنصع صورها ، وهي (النقائض) الشعرية و(السرقات) الشعرية، و المعارضات الشعرية، و يضيف محمد عزام : " التناص Intertextuality مصطلح نقدي ، يرادفه (التفاعل النصي) ، و (المتعاليات النصية) Transtextuality وقد ولد مصطلح (التناص) على يد جوليا كريستيفا عام 1969م التي استنبطته من باختين في دراسته لدستويفسكي، حيث وضع تعددية الأصوات (البوليفونية) ، و الحوارية (الديالوج) دون أن يستخدم مصطلح (التناص) ، ثم احتضنته البنيوية الفرنسية ، وما بعدها من اتجاهات سيميائية ، وتفكيكية ، في كتابات كريستينا و رولان بارت، و تودوروف، و غيرهم من رواد الحداثة النقدية على الرغم من أن بذوره كانت أقدم من ذلك."[14]

إذن فتداخل النص ، إما أن يكون اعتباطيا يعتمد في دراسته على ذاكرة المتلقي ، وإما أن يكون واجبا يوجه المتلقي نحو مظانه، كما أنه قد يكون معارضة مقتدية أو ساخرة، أو مزيجا بينهما ، وسواء ارتكز الباحث في دراسته على الذاكرة أو على المؤشرات ، ومهما كان نوعه

---

[13] محمد عزام: النص الغائب، تجليات التناص في الشعر العربي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق،2001،ص:12.

[14] المرجع نفسه، ص:28

فإنه ليس مجرد عملية لغوية مجانية، وإنما له وظائف متعددة تختلف أهمية و تأثيرا بحسب مواقف النص و مقاصده.

و (التناص) هنا نوعان : تناص داخلي و تناص خارجي : فالتناص الداخلي هو حوار يتجلى في (توالد) النص و (تناسله) ، وتناقش فيه : الكلمات المفاتيح أو المحاور ، و الجمل المنطلقات والأهداف والحوارات المباشرة وغير المباشرة ، فهو إعادة انتاج سابق ، في حدود من الحرية ، وأما التناص الخارجي فهو حوار بين نص ونصوص أخرى متعددة المصادر و الوظائف و المستويات . و استشفاف التناص الخرجي في نص عملية ليست بالسهلة وعلى الخصوص إذا كان النص مبنيا بصفة هادفة ، ولكن مهما تسترت و اختفت فإنها لا يمكن أن تخفى على القارئ المطلع الذ بإمكانه أن يعيدها إلى مصادرها."[15] ، لأن النصوص الولى إذا تناسلت فهذا دليل على الإعجاب ، حتى أن كل شاعر جاء تاليا حاول تقليدها أو محاكاتها، وهذا دليل على استمراريتها، بأشكال متعددة و ألوان مختلفة.

" ومن المبتذل أن يقال أن الأديب يمتص آثار غيره من السابقين أو المعاصرين ، أو يحاورها ، أو يتجاوزها ، والدراسة العلمية التحليلية هي وحدها التي بإمكانها اكتشاف السابق في اللاحق ، و الموازنة بينهما ، لرصد سيرتهما ، وتجنب اعتبار النص كيانا منغلقا على نفسه ، وبهذا يمكن موضعة النص في مكانه من خارطة الثقافة التي ينتمي إليها، وفي حيزه الزماني المحدد."[16] ، فهو يقصد أن التناص تشكيل نص جديد من نصوص سابقة أو معاصرة ، بحيث

---

[15] محمد عزام:النص الغائب، ص:32

[16] المرجع نفسه، ص:32.

يغدو النص الغائب خلاصة لعدد من النصوص التي تمحي الحدود بينها ، و أعيدت صياغتها بشكل جديد ، بحيث لم يبق من النصوص السابقة سوى مادتها، وغاب (الأصل) فلا يدركه إلا ذوو الخبرة والمران.

هكذا وجدنا النص الغائب متجل في ديوان الأمير عبد القادر الجزائري ، بحيث كانت هناك علاقة تفاعل بين نصوص سابقة و نصه الحاضر ، أو بالأحرى لاحظنا تعالق أي الدخول في علاقة نصوص مع نص وقد حدث ذلك بكيفيات مختلفة. و يضيف محمد عزام : " وقد شاع هذا المصطلح (التناص) في الأبحاث الأدبية، والدراسات النقدية ، و هاجر في بداية السبعينات الى أمريكا ، وفي عام 1976 أصدرت مجلة (بويطنها) عددا خاصا عن التناص ، و في عام 1979 أقيمت ندوة عالمية عن (التناص) في جامعة كولومبيا تحت إشراف ريفاتير، ونشرت أعمالها في مجلة (الأدب عام 1981، على الرغم من أن كريستينا نفسها قد تخلت عن مصطلح التناص في عام 1985، و آثرت عليه مصطلحا آخر هو (التنقلية) إذ تقول :" إن هذا المصطلح (التناصية) الذي فهم غالبا بالمعنى المبتذل (النقد الينابيع) في نص ما ، تفضل عليه مصطلح التنقلية"[17] .

إن التناص محكوم عليه بالتطور التاريخي ، ان في مواقف المتناصين أو في مواقف المهتمين من الدارسين، فالقدماء على مختلف أجناسهم وأمكنتهم و أزمنتهم كان يغلب عليهم الدعوة إلى اتباع سنن السلف فالخروج عليه ابداع و ابتداع ، وهو للشاعر بمثابة الهواء و الماء و الزمان

---

[17] محمد عزام : النص الغائب، ص:29-30

و المكان للإنسان ، فلا حياة بدونهما و لا عيشة له خارجهما ، وعليه ، فإنه من الأجدى أن يبحث عن آليات التناص أو النص الغائب، ولا يتجاهل وجودهم هروبا إلى الأمام.

أما محمد مفتاح فهو يعرفه :" استخلاص مقوماته من مختلف التعاريف المذكورة ، وهي :

- فسيفساء من نصوص أخرى أدمجت فيه بتقنيات مختلفة.
- ممتص لها بتمطيطها أو تكثيفها بقصد مناقضة خصائصها و دلالتها أو بهدف تعضيدها.

ومعنى هذا أن التناص هو تعالق(الدخول في علاقة) نصوص مع نص حدث بكيفيات مختلفة،و أن كل المهتمين باللغة، بمختلف أجناسهم و عصورهم و أمكنتهم يتفقون على: أن هناك نوعين أساسين من التناص هما

المحاكاة الساخرة (النقيضة)التي يحاول الكثير من الباحثين أن يختزل التناص إليها.

المحاكاة المقتدية(المعارضة) التي يمكن أن نجد في بعض الثقافات من يجعلها هي الركيزة الأساسية للتناص."[18]، بهذا فالكاتب أو الشاعر ليس إلا معيدا لانتاج سابق في حدود من الحرية سواء أكان ذلك الانتاج لنفسه أو لغيره ، و يضيف محمد مفتاح قائلا:

---

[18] محمد مفتاح : تحليل الخطاب الشعري: استراتيجية التناص، المركز الثقافي العربي ، الطبعة الرابعة 2005،ص:121-122.

" نرى الشاعر بعيد انتاج ما تقدمه و ما عاصره من نصوص مكتوبة و غير مكتوبة " عالمية" أو شعبية" أو ينتقي منها صورة أو موقفا دراميا أو تعبيرا ذا قوة رمزية، ولكننا نعلم جميعا أن لا مضمون خارج الشكل ، بل أن الشكل هو المتحكم في المتناص و الموجه اليه، و هو هادي المتلقي لتحديد النوع الأدبي ، و لإدراك التناص ، وفهم العمل الأدبي تبعا لذلك."[19] وهذا ما يوضح أن التناص وسيلة تواصل لا يمكن أن يحصل القصد من أي خطاب لغوي بدونه، إذ يكون هناك مرسل بغير مستوعب مدرك لمراميه وعلى هذا فإنّ وجود ميثاق، وقسطا مشتركا بينهما من التقاليد الأدبية، ومن المعاني ضروري لنجاح العملية التواصلية.

بهذا وجدنا أن التعلق النصي و التناص متصلان بالتداخل الحاصل بين النص اللاحق و النصوص السابقة، وكل واحد منهما يتجلى في النص بطريقة خاصة ، بحيث يؤدي ذلك إلى الوقوف على انفتاح النص و تعدد دلالته و قراءاته إلى الانتماء إلى واحدة من أهم سماته التي سيكون له دور كبير جدا في تطوير النظر إليه و إلى أهم خصوصياته ، وهي " تفاعله" مع غيره من النصوص السابقة عليه أو المعاصرة له، فإن كل نص يتفاعل مع غيره من النصوص ، بل يمكن الذهاب من ذلك بالقول إن كل نص تناص.

تعددت المفاهيم و المصطلحات حول (التناص) إلا أننا لم نجد هناك مفاهيم خاصة بالنص الغائب، إذ تقف كلها على معنى واحد ،لأن النص الأدبي في حد ذاته هو تفريغ و استخراج لأقصى ما عند الناص من معان ، و إفراغها في قالب جمالي يأخذ شكلا من أشكال التعابير الأدبية المختلفة ، " فالتناص" هو عولمة للنص و تذويب لهويته ، فالنص الذي ندعوه

---

[19] محمد مفتاح : تحليل الخطاب الشعري: استراتيجية التناص ،ص:129-130.

جزائريا أو فرنسيا هو في الواقع ليس إلا نتاج عملية تجميع لبقايا نصوص قديمة مختلفة الهويات بقيت مترسبة في الذاكرة ، و لا يمكن أن تنسب هذه النصوص المتعددة إلى أب واحد أو هوية واحدة ."[20]، إذن التناص الأخذ من نص سابق و راجاعه لاحقا .

" يتعلق التناص بالصلات التي تربط نصا بآخر، و بالعلاقات أو التفاعلات بين النصوص مباشرة أو ضمنا ، بقصد أو بغير قصد، فالتناص هو المؤشر على الطريقة التي بواسطتها يقرأ نص ما التاريخ، و يتداخل معه ، فقد يتصارع النص مع غيره فيبطل مفعول غيره، و قد يلتحم به، أو يتعانق معه."[21]

إذن لا يمكن لأي شيء أن يبنى من فراغ أو عدم ، لابد من وجود أرضية يقف عليها ، وهذا ما ينطبق على الفكر بصفة عامة ، فلا يمكن تقديم أي فكرة من فراغ ، و لا يمكن لأي فكرة إلا أن تقوم على سابقتها ، سواء أكانت في مجال العلوم الدقيقة أو العلوم الإنسانية ، و الأدب من بين المعارف التي لا يمكن لها أن تبنى من عدم حتى في مجال الإبداع لابد للمبدع من مرجعية أو صورة يتمثلها من خلال إبداعه، سواء أكان هذا التمثيل عن وعي وغير وعي ، أما "محمد تحريشي " فهو يعرف التناص بما يلي: " إن مفهوم التناص مفهوم يصعب تحديده، وهو كباقي المفهومات يخضع للمنطلق الفكري لكل محدد له من النقاد و الدارسين، والذين أجمعوا على تغييب صاحب النص ، و الاحتفال بالنص، و أغلب هؤلاء انطلقوا من أن التناص هو حوار النصوص فيما بينها يجب ربط كل نشاط إبداعي مماثل بعملية الوعي و اللاوعي سواء

---

[20] حسين فيلالي: السيمة و النص السردي ،مقاربة في شفرة اللغة،رابطة أهل القلم ،ط1،دت،ص:20.

[21] صالح مفقودة: نصوص و أسئلة(دراسات في الأدب الجزائري) دراسة منشورات اتحاد الكتاب الجزائريين، الطبعة الأولى 2002، دار هومة، ص:172.

عند المبدع أم الناقد ، أي هل حضر النص وحده، أو أحضره المبدع عنوة."[22] و يضيف قائلا :" و التناص هو عملية من عمليات الاستماع والمثاقفة سواء عند المبدع أو عند الناقد الذي يكشف عن هذه الظاهرة عند أديب ما، وهي تمثل مستوى من مستويات القراءة ويكون مسعى النقاد هو التعامل مع النص كشبكة فنية متداخلة،، كدائرة متعددة الحلقات، ومن هنا تصبح للنص خصوصية، تتمثل في تشكيل من النصوص الكثيرة، وهذا ما يفتح أمام الناقد آفاقا واسعة في ممارسته، ويشترط فيه ثقافة واسعة ، واطلاع على النصوص المرجعية للنص المدروس ، وتجليات هذا النص في نصوص أخرى."[23]

وهذا ما يوضح أن الكثير من شعراء العصر الحديث تمثلوا الشعر القديم في مضامينه، وصوره و نسيجه، وضمنوا مقاطع من الشعر القديم في أشعارهم ، وهذا ما لاحظناه في ديوان الأمير عبد القادر الجزائري.

2)حضور النص الغائب و النص الموازي في الشعر العربي الحديث:

- المبدع لا يستطيع انتاج نص جديد كليا منقطع تماما عن ما قبله ، لأن الإنسان يخزن منذ طفولته المعلومات و الأفكار ممن حوله من أجل تكوين أساس معارفه و يبين على ضوئها أفكاره و إبداعاته الشخصية، فأي نص يقدمه لابد أن يتناص مع نص آخر،" و الواقع أن النهضة الأدبية في الجزائر قد ظهرت منذ بداية هذا القرن لظروف وعوامل سياسية و اجتماعية و ثقافية عديدة، و اذا كانت هذه النهضة قد تأخرت إلى ذلك الوقت فإن الإحتلال

[22] محمد تحريشي: دراسة، اتحاد الكتاب العرب، دمشق ،دط، 2000 ،ص:54.
[23] المرجع نفسه، ص:55-56.

الأجنبي لبلادنا كان هو السبب الرئيسي في هذا التأخر نتيجة محاولته القضاء على اللغة العربية والدين الإسلامي في الجزائر، ومن ثم بقي الشعر في القرن الماضي يدور في دائرة الدين باستثناء الأمير عبد القدر الذي جمع في شعره بين الدين و الفروسية."[24] ، وهو ما يؤكد أنه في مرحلة النهضة ارتبط الشعر بالإصلاح كفكرة أولا ثم كحركة ثانية، و إذا كان الباحثون يؤرخون لنهضة الشعر بعام 1925 فهو العام نفسه ظهرت فيه أول صحيفة لجماعة المصلحين باسم " المنتقد" التي رفعت شعار الفكر الإصلاحي متمثلا في أمرين:

- الرجوع الى الماضي العريق بكل ما يحويه من ثقافة و لغة و صياغته على وجه يساير التطور الحضاري، و يتماشى مع روح العصر و هو ما يسمى بعملية " الاحياء" .
- و ثانيا نقد الواقع و تشريح الآفات الاجتماعية خروجا بالمجتمع من التخلف المادي و الأدبي وللتحرر من الجمود و التأخر.
- " صحيح أن هناك ملامح خاصة أثرت في هذا الأدب شعرا أو نثرا – مما جعله يتجه إلى موضوعات أكثر ما يتجه إلى أخرى فمثلا نجد الشعر في القرن الماضي كان الاهتمام فيه منصبا على الجانب البطولي كما ظهر عند الأمير أو طغت فيه النظرة الدينية أو الصوفية سواء منه الشعر الفصيح أو الملحون و الأدب الشعبي بوجه عام و أن التجديد فيه قليل."[25] إذن الشعر العربي في أغلب عصوره كان مجرد رد فعل للبيئة ، ولظروف الحياة التي تحيط به، كما أنه في تجلياته الماضية كان أشبه بالزمان، وأشكل بالدهر، وأن عملية التجدد كانت تزحف بين

---

[24] عبد الله ركيبي: الشعر في زمن الحرية(دراسات أدبية و نقدية) ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،ص:152.

[25] المرجع نفسه، ص:171-172.

الحين و الحين، وإن كانت قد هرولت في العصر الحديث،فقد اقتحم الماضي و الواقع على المستقبل و المجهول وغاص بجدارة على مكنونات الوجود الخفية.

- " كانت مرحلة الشعر الأولى في عهد النهضة الرجوع إلى الجزالة العباسية و الموضوعات القديمة فامتاز ذلك الشعر بالدقة في التعبير و التوفر على المعاني و استقامة الوزن (ناصيف اليازجي) وكانت المرحلة الثانية تنبه الشعراء إلى أن الشعر تعبير عن الشعور الذاتي و الجماعي ، فجددوا في الموضوعات و الأخيلة، وحافظوا على الأسلوب القديم و المتانة التعبيرية وكانت المرحلة الثالثة محاولة هجر الأساليب العربية و الثورة على كل قديم، واندفاقا شبه كامل على الأجنبي من المعنى و الخيال و العاطفة و التعبير."[26] ، إذن الشعر كان ركيكا باردا ، كله تقليد و صنعة، ينحو نحو الأقدمين في الأغراض ، و يقصر عنهم في الديباجة و الرشاقة و الأفكار وبالاختصار يقصر في كل شيء . و مفهوم النص ينطوي على أن الرسالة المكتوبة مركبة مثل العلامة، فهي تضم من جهة مجموعة الدوال بحدودها المادية من حروف متسلسلة في كلمات و جمل و فقرات و فصول، ومن جهة أخرى المدلول بمستوياته المختلفة.

- وجدنا أنه من العمليات التناصية التي وقف عندها الشراح، عملية المناقضة و العكس بين النص الحاضر و النص الغائب بحيث " استطاع الكثير من الشراح التقرب من النص الشعري وفق هذا المنظور، على الرغم من أن هذه الطبقة من الدارسين خصوصا ، والنقاد القدماء عموما، كانوا يعالجون النص وفق نظرة جزئية لم تعدد وحدة البيت الشعري.

---

[26] حنا الفاخوري: الجامع في تاريخ الأدب العربي ، الأدب الحديث ، دار الجبل ، الطبعة الثانية 1995، بيروت، لبنان،ص:43.

يدخل تحت اطار هذا المفهوم اشارتهم الى تلك المماثلات و المشابهات بين أقوال الشعراء، والتي تمت بطريقة عفوا لا واعية منهم، وقد تكفل الناقد في هذا القسم باستحضار النص الغائب، أو السند المرجعي للنص الحاضر."[27] ، لأن قصد الشعراء كان الاستفادة من القدرة التعبيرية للنصوص الغائبة ، التي هي في غالب الأحيان نصوص لها طاقات إيحائية و إبداعية من خلال تداول الناس لها ، ومن خلال انتشارها بين الجمهور، ومن ثم يسعى الشاعر إليها محاولا الحاق نصه بنص معروف من الموروث الشعري، حيث يضمن لنفسه الوصول إلى ما وصلت إليه تلك الأسانيد المرجعية.

" الشراح لما عمدوا إلى الافصاح عن هذه العمليات التناصية ، كان قصدهم التأكيد على خصوصية النصوص، والتي تصبح ملكا لأصحابها و بوساطتها تم لهم تفسير الكثير من النصوص الشعرية التي وقفوا عنها، فكانت النصوص المرجعية أدوات نقدية في أيدي هؤلاء النقاد، وتم لهم أيضا الحكم على إبداعية الناص في نصه، وهم إذ يؤكدون تبعية الحاضر للماضي ، يبينون التوظيفات الجديدة للنصوص، ومدى فاعليتها في جوها الجديد، ومدى استفادة الناص منها كأدوات تعبيرية عن معانيه و أفكاره."[28]، لأن الشعر في حد ذاته لا يستعير شيء من أشيائه مثلا موسيقاه من فن آخر هو الموسيقى ، بل يستمدها من مادة صياغته ذاتها و هي اللغة لأن الوزن الشعري أو النغم وسيلة إضافية تملكها اللغة لاستخراج ما تعجز دلالة الألفاظ في ذاتها عن استخراجه من النفس البشرية كاللون العاطفي للفكرة، أو ظلال المعاني التي تعجز الألفاظ في ذاتها عن التعبير عنها بينما يستطيع هذا التعبير، أو على الأقل الإيحاء به.

---

[27] محمد تحريشي: أدوات النص،ص:56.

[28] المرجع نفسه،ص:62-63.

- لقد استطاعت القصيدة العربية الحديثة أن تواكب كل هذه التغيرات التي بدت و كأنها ترسم للأمة العربية نقطة اللارجوع ، التي عانت فيها الذات العربية تصدعا بين ماضيها و حاضرها، وحتى مستقبلها الذي تريد أن تحاكي فيه الأنموذج الغربي بحيث لابد من التعامل مع النص الخارج ، ليس من باب اسقاط الظروف الاجتماعية و السياسية و النفسية عليه، ولكن من أجل الاقتراب أكثر من بنيته ، و نظامه،و مميزاته، لأن النص بنية تنحتها ذات ضمن بنية سوسيونصية، ومن ثم نتمكن من الكشف عن شعريته أو ما يعرف اليوم بنصية النص."[29]

- ومن الأمثلة على ذلك ، وهو طغيان النص الغائب على الحاضر ووجدنا هذا حتى في موسيقى القصيدة." لأنها خرجت من خنادق الخليل حادة صاخبة لتدخل نهرا من موسيقى أكثر سعة و غنى و تنوعا ، واستطاع شعراء الحداثة المتميزون أن يحدثوا، من خلال نماذجهم الشعرية، صدمة إيقاعية لا عهد للمزاج السائد بها، لا عهد للقصيدة بها ، وأخيرا لا عهد للفكر النقدي بها أيضا ... فلقد استبدلت القصيدة العربية الحديثة رتابة البحور السابقة بمعضلة أخرى، هي ضيق النهر الموسيقي الذي أثر إلى حد كبير، على حركتها الإيقاعية ، رغم ما بذله الشعراء المهون من جهد للتنويع داخل هذا الحيز الضيق."[30] ، وهذا كله وجد في العصر الحديث ، ويقصد به الايطار الزمني الذي تتميز فيه معالم الحياة عنها في الأزمنة السابقة ، وهو العصر الذي أعقب العصور الوسطى والعصور القديمة قبلها. وربما اختلف الأمر بعض الشيء بالنسبة إلى المسار التاريخي للحضارة الغربية ، حيث أعقب العصور الوسطى عصر

آمنة بلعلى: تجليات مشروع البعث و الانكسار في الشعر العربي المعاصر،(دراسة تطبيقية) دروس جامعية (آداب)، ديوان المطبوعات الجامعية،ص:1.[29]

علي جعفر العلاق: في حداثة النص الشعري، دار الشروق للنشر و التوزيع الاردن ط 1 2003ص:75.[30]

النهضة ثم أعقبه العصور الحديثة هناك ، وليس حتما أن ينطبق هذا النموذج التاريخي الغربي على الحضارات الانسانية الأخرى ، ومنها الحضار ة العربية الإسلامية التي تنتمي اليها.

وجدنا في ديوان الأمير تلك الخطوط ذات التراث التشخيصي الحي بأفصح ما تنطق به القصائد، إذ الشعر لا يهز الا إذا كانت خصائصه مبهمة بتصريحها ، مضللة بتهويمها تستجمع ما لا تقول و تقول ما لا تستجمع. وكل هذا من خلال ظهور نص غائب في ديوانه الأصيل وقد عرف هذا المصطلح:" النص الغائب مصطلح نقدي جديد، ظهر في ظل الاتجاهات النقدية الجديدة، وعني أن العمل الأدبي يدرك في علاقته بالأعمال الأخرى فالأدب ينمو في عالم مليء بكلمات الآخرين، و(النص) تشكيل لنصوص سابقة ومعاصرة ، أعيدت صياغتها بشكل جديد و ليست هناك حدود بين نص وآخر، وإنما يأخذ النص من نصوص أخرى، ويعطيها في آن ."[31]

بحيث وجدنا أن أشعار الأمير قد خاضت في مجال الروح و الغيب ، و ابتعدت عن نطاق التوسل واستنزال اللطائف ، وهذا دليل على صلابة عود و استحكام قوته التراثية.

فقط تطورت أفكار الأمير و عرفت روحه وهو يحل بالمشرق تحولا كبيرا نتيجة التأثر المكاني من جهة وبسبب استبحاره في السياحة و الاطلاع و التريض الروحي و إدامة الفكر والتأمل و كل ذلك انتهى بالأمير إلى أن يعتقد بفلسفة وجودية، استلهم مبادئها من تجربة تنوعت مصادرها و مدودها.

---

[31] محمد عزام: النص الغائب،ص:11.

" و يبدو (النص الغائب) مكونا رئيسيا للنص (المائل)، ذلك أن (النص المائل) لم ينشء من شيء ، وإنما تغذى جنينيا ،بدم غيره، و رضع حليب أمهات عديدات وتداخلت فيه مكونات أدبية و ثقافية متنوعة.[32]

بهذا وجدنا قصائد الأمير قد حفلت بالاقتباس و التضمين، لهذا جاء على هذا النحو من الخصوصية التناصية من حيث الامتداد وطول النفس . ومن حيث المنحى الذي أخذه الخطاب لأن ثمة جمالية لحضور متعدد يؤسس لهذا الشاعر من خلال دلالات و رموز ظاهرة في النص بمرجعيات مقصودة و محددة، ولكنها في المقابل تحيل إلى جمالية أخرى مناقضة يقترحها النص الخفي و المكبوت في زوايا النص الظاهر.

فسمو الشمائل حققها الأمير بذلك البعد الأخلاقي الاتباعي الذي لم ينفك عنه طيلة حياته، فلقد نشأ نشأة سوية متوازنة تقوم على روحية تشرب منها مشاعر العزة و النبل و الشرف ، روحية كانت التربية المتوارثة والنظام الأخلاقي المطرد يصقلانها و يصهرنانها و يزيلان عنها كل شائبة تحيد بها عن نطاق الاعتدال، وكل ذلك سيقوي شخصيته مدى الحياة ، و سيجعله ينال أرقى الرتب المعنوية و إذا ما رجعنا إلى شعريته و إلى الواقع و المثل التي تعبر عنها، فسنرى آثار تلك السيرة مطبوعة فيها .

---

[32] محمد عزام : النص الغائب، تجليات التناص في الشعر العربي، ص:11.

الفصل الأوّل

طبيعة الحياة الثقافية والاجتماعية في عصر

الأمير عبد القادر

1. طبيعة الحياة الثقافية في عصر الأمير عبد القادر.
2. طبيعة الحياة الاجتماعية في عصر الأمير عبد القادر.
3. نبذة عن حياة الشاعر.

طبيعة الحياة الثقافية في عصر الأمير عبد القادر :إن الاهتمام بتراثنا العربي بعامة ، و الشعري منه بخاصة يسير في ضوء البحث الأدبي، ويغدو ذلك الاهتمام من الواجبات التي ينجر عليها البحث و التطبيق، حيث يكون ممثلا لشخصيات بارزة في وطننا العربي وعالمنا الإسلامي لسبب من الأسباب أو لعدة منها ، و الأمير عبد القادر الجزائري له مكانة مرموقة ليس لكونه مجاهدا أو مصلحا و حسب، بل لكونه عالما وفقيها و شاعرا لأنه شغل الآفاق بحياته المملوءة جهادا و إبداعا ، فجل اهتمام المثقفين تجلى بالعودة إلى التراث الشعري القديم في أعمال القدماء بحيث شهد الشعر العربي الحديث ضروبا متلاحقة من التطور و التجديد ترتد في حقيقتها الى تصورات الشعراء منذ أوائل القرن العشرين حول ماهية الشعر ذاته و طبيعته و وظيفته ، و هو ما يرتد بدوره إلى تأثرهم العميق بحكة الشعر العربي ، والثقافة الإنسانية بصفة عامة مع الالتفات الى تفاوت درجة هذا التأثر على مستوى المدارس الشعرية و الأجيال الزمنية و الثقافة الفردية للشعراء أنفسهم".[33] وهذا ما يرجع إلى تأثر الشعراء بحركة الشعر العربي و الثقافة الإنسانية التي لها دور كبير في طبيعة تشكيل الشعر ، لأن الأمير كان يعتز بتراثه الإسلامي الأصيل ، مع اختياره التراكيب المنبثقة من بيئة أجداده العرب ، و استشهاده بقادة المسلمين الذين ملأ أمجادهم الدنيا ، بحيث استطاع أن يجمع بين الأصالة والتجديد في شعره ،و سعة أفقه الفني والتاريخي والديني و الاجتماعي أتاحت له تجربة رائدة جعلته يقف في طليعة الشعراء و هذا مرده كله للنص الأدبي " لان النص الأدبي يأخذ استقلاله مباشرة بعد ولادته ،و

---

[33] محمد مصطفى ابو شوارب: (ايقاع الشعر العربي تطوره وتجديده منهج تعليمي مبسط،دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر،الاسكندرية) د ط ،د ت،ص.75

تبقى كل القراءات التي تفحصه مجرد نظرات عابرة ذات مفاهيم نسبية ،إذ لا يمكن لأي قارئ - مهما تسامت ثقافته ، أن يتبجح فيقول : ان هذاالنص يعني كذا و لا يعني كذا... فالنص الأدبي ذو دلالات خصبة ، تتوالد مع الإحداث وتتناسخ بتناسخ الرموز اللغوية عبر تواتر الأزمنة [34] ، و هذا ما يبين أن النص له علاقة وطيدة بالحداث المتزامنة ، لان النص الشعري الجزائري لا يخلو من التأثيرات الخارجية سواء كانت سياسية أواجتماعية أو غيرها، لان الأمير في حد ذاته هو أول من بنى دولة عربية إسلامية جزائرية و مؤسس أول جيش عربي جزائري ، و قد تجلى في كتاباته أنه القائد الحقيقي الذي حقق في نهاية المطاف انتصار الجزائر على فرنسا ، وضمن الحرية و الاستقلال لشعب الجزائر البطل بحيث " لم يكن النص الشعري الجزائري منذ بداية عصر النهضة منعزلا عن تطور النص الشعري العربي في ديمومته الإبداعية المتصلة بالتأثيرات الخارجية و الداخلية والمغيرات السياسية و الاجتماعية و الثقافية التي شهدتها الساحة المشرقية " [35]

إذن الشعر تعلق بالفكر الإنساني و المشاعر التي يعانيها في الحياة اليومية و معايشة النص و استبطانه لكثرة التساؤل و الحيرة في طبيعة تشكيله الإبداعي على الكلام التداولي اليومي ، و قد امتلك النص الأدبي القدرة على فرض نموذجه للبحث عن أداة لمعالجة أي نص أدبي وفق ما يدخره من طاقات إبداعية في عالمه الخاص .

---

[34] شايف عكاشة :مدخل إلى عالم الشعر المعاصر في الجزائر،قراءة مفتاحية منهج تطبيقي،ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر،1988 ،ص3.

[35] يحي بوعزيز:ميكائيل إيبالزا،الجديد في علاقات الأمير عبد القادر مع إسبانيا وحكامها والعسكريين بمليلة،مطبعة البعث،الجزائر،1982 ص 61.

اعتمد الشعر الجزائري على التراث القديم و أصالته. "فأصالة الشعب الجزائري و حنينه إلى عروبته ، و إهمال الإنسانالجز ائري في البادية إهمالا كليا و إغلاق أبواب المعرفة في وجه ، كل هذه العوامل تجعل الباحث يقرر بحق ، بأن الجزائر كانت مستقلة من الناحية الاجتماعية عن الاستعمار الفرنسي استقلالا يكاد يكون تاما." [36] بهذا كان الأمير عبد القادر بطل شاعر ، بحيث نراه رجلا عظيما في البطولة ، و محاربا شجاعا يجيد الأدب و الخطابة ، وهو محافظ على أصالته، "ذلك بأن الشعب الجزائري من أشد الشعوب محافظة في كل شيء ، فهو في الدين محافظ، و يحظى الإسلام لديه بقداسة روحية عميقة مالها من قرار ، و هو في العلاقات الاجتماعية محافظ، ويزن المرأة بميزان من ذهب ، ويغار عليها غيرة من نار ، وهو في الوطنية ايضا محافظ ويقدس وطنه على نحو عال .

وهذا بعض ما جعله لا يريم عن عزمه ،ولا يلين في إرادته ، ولا يضعف في أمله ،ولا يلقي بالسلاح إلا بعد أنتحقق الراية ، وترين السيادة في كل مكان من وطنه ،و تتبوأ الحرية في كل قلب من قلوب مواطنيه ،و دفاعه في ذلك الأمر معروف مشهور، وكفاحه تسير به الركبان، ويتغنى به الولدان ، وتتسامر بذكره السمار ." [37] بهذا نجد أن الأمير عبد القادر الجزائري اعتمد على التراث القديم و أصالته ، بحيث كان فاتحة لظهور نص شعري جزائري مواكب لنهوض النص الشعري بحيث كان للثورة الأثر الكبير في الشعر و الشعراء . بحيث نجد آثاره و مواقفه و منجزاته ما زالت حديث الخاص و العام حتى الآن ، ويتجلى ذلك في كتب من كل الحقول التي

---

[36] عبد المالك مرتاض :نهضة الأدب المعاصر في الجزائر-1925،1954م- الطبعة الثانية مزيدة ومنقحة،،دار الغرب الإسلامي،2006م ، ص29.

[37] المرجع نفسه ، ص155.

عالج قضاياها ، و في كل ما صادفه في مسيرته التاريخية و الشعرية ، بهذا يتجلى الاختلاف و التنوع وفقا لكل نص مفرد ، ولكل مرحلة من مراحل الشعر العربي الحديث .

"إللثورة الجزائرية أثرت في الشعراء عربيّ ا و عالميا كما دفعت الكتاب و الدارسين إلى الحديث عنها و عن تأثيرها في العالم بوجه عام و في العالم الثالث بوجه خاص و عن أثرها في تحرير الشعوب من السيطرة الاستعمارية الغربية عامة و الفرنسية خاصة "[38] .

وهذا كله لرسم معالم الحرية و المطالبة بها ، بهذا عالج الأمير عبد القادر في إشعاره و أبياته مختلف جوانب الحياة كما عاشها بحلوها و مرها ، ويظهر هذا من خلال أشعاره و تأثره العميق بكتاب الله عز وجل . "والواقع إن الأدباء و الشعراء كرسوا نصوصا كثيرة لتصوير نوازع الحرية لدى الشعب الجزائري و تطلعه إلى الانعتاق و التحرر، و بالتالي صوروا مفهومهم لهذه القيمة الإنسانية على مر العصور ،بل إنهم تحدوا ثواغبها قبل قيام الثورة بالرمز تارة ،و بالتصريح تارة أخرى ".[39]

ومما يؤكد كذلك على اثر الحياة الثقافية في الشعر و الشعراء "و ينمو جيل جديد كانت ولادات شعرائه أيام الثورة التحريرية ، أي في الخمسينات .و فتح أبناء هذا الجيل عيونهم في خضم التحولات التي تعيشها الجزائر زمن الاستقلال ، وشاهدوا تأميم الملكية و الثورات الثلاث الزراعية و الصناعية و الثقافية ،و ما تمخض عنها من أحداث برز خلالها مجانية التعليم و الطب و تسيير المؤسسات و الجمعيات و تكوين التعاونيات الزراعية ،و بناء القرى الفلاحية

---

[38] عبد الله الركيبي: الشعر في زمن الحرية ، (دراسات أدبية ونقدية)ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر،ص8.

[39] المرجع نفسه،ص73.

،و انتشارها في مدى التراب الوطني الجزائري". وإنشاء الجامعات والمعاهد ،وتطور الإعلام و الصحافة الوطنية "[40]

من خلال أشعار الأمير عبد القادر الجزائري نجد أن الثقافة العربية في الجزائر عرفت خلال العصور الماضية ما عرفته في كل بلد عربي آخر من ازدهار و ضعف ،و هذا لأنها ثقافة واحدة تنتسب للغة العربية وللإسلام بهذا " إذا أن الشاعر الجزائري وجد نفسه في الثورة التحريرية بعد 1954 ليس ثائرا على الاستعمار فقط ،وإنما كان يمتلك إرادة الثورة و الرفض و التمرد على كل ما في الواقع الاجتماعي و الثقافي و السياسي آنذاك ،فكيف أن علمنا أن الذين كتبوا القصائد الحديثة قد تهيأت الظروف التي ساعدتهم على التجديد بحكم اطلاعهم على نتاج الشعر العربي، و اتصالهم بحركة الشعر الجديد."[41] وهذا ما يبين أن الشعر قبل ثورة نوفمبر لم يستفد من معطيات الثقافة و السبب في ذلك هو المستعمر، و في تصور الأمير كان الوضع مترديا ومزريا بسبب انعدام الأبعاد الإستراتيجية لتسيير الأمة في الحالات العادية و غيرها ولولا هذا لشهدت الثقافة و العلم في الجزائر خلال هذه الفترة ازدهارا و انتشارا لا مثيل لهما بسبب توافد الأندلسيين الهاربين من محاكم التفتيش على الشواطئ الجزائرية ،لما كانوا يحملونه من علم وثقافة وفن ." وإذا كان الشعر الجزائري قبل ثورة نوفمبر 1954 لم يستفد من معطيات الثقافة فالسبب يتجلى في ضعف المستعمر الذي جعل الأدباء يتخذون من التراث ثورة يواجهون بها الغزو بكل أنواعه ،و على وجه الخصوص الغزو الثقافي ،كما كان الواقع في الجزائر يصرف الشعراء عن الاهتمام بالكلمة أو الصورة الشعرية، و التكوين الفني لهذه الصورة

---

[40] احمد دوغان :الأدب الجزائري الحديث،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،الجزائر،1986 ،ص 35

[41] أحمد دوغان:الأدب الجزائري الحديث ،ص 30

(وعلى الشعر أن يكون خطابيا يعني بالفكرة و تبليغها ،وان هدات هذه النبرة الخطابية قليلا بعد الحرب العالمية .. كما أن اللغة العربية في الجزائر لم تستطع أن تجدد أثوابها نظرا لمحاربة الاستعمار لها و محاولة حصرها في ميدان التعليم الديني، أو المدارس الحرة التي كانت تتعرض لمضايقات إدارية قاسية ."[42] وهذا ما يبين ان هناك من يتمسك بالقديم والأصالة ،هذا ما وجدناه في الشعر و ما تعلق به في الجزائر بعامة أما فيما يخص شعر الأمير ،فنجد أن الأمير سطر بسيفه الحوادث الوطنية و المعارك العسكرية ،وسطر بقلمه الصفحات الفكرية و الوقائع التاريخية . ،و بهذا نجد أن من أهم مميزات شخصيته التي تفرد بها عن غيره من العظماء هو جمعه في معاملاته وسلوكياته بين القوة و اللين بين الشجاعة و التروي بين الأقدام وحسن التقدير بين الغلظة و القتل داخل رحى المعارك و الرحمة والشفقة خارجها ." و يبدو أن الأمير و رفاقه قد اجتهدوا في جعل أسلوبهم متقاربا مع أسلوب هؤلاء الأجانب الذين يمارسون العربية ببعض الصعوبة ،فاستعملوا مثلهم كلمات أجنبية مثل القوازيط (الصحف) و القيرا (الحرب) والبنديرا (العلم) ،والري (الملك) ،و الميرلانتي (شيخ البلدية) ،و الكراريس(العربات) والسرسور المحرفة عن شاسور (القناصة) .د.عبد المجيد مزيان. "والسؤال المطروح هو لماذا لجأ الأمير عبد القادر الى هذا الأسلوب "الموجه" و الجواب هو ان التحدث عن النفس وذكر الخصال الذاتية والأعمال البطولية كما يقتضيها المقام لتلبية رغبة القبطان ،تتنافى و الأخلاقيات الإسلامية التي يريد إبرازها والاحتجاج بها عن عدالة قضيته ثم أن مكانته السياسية بوصفه أميرا ممثلا لدولة و حضارة متميزتين ،تقتضي التمسك الشديد بالمراسم الديبلوماسية ، فلا يتظاهر —ولو كان في

---

[42] مذكرات الامير عبد القادر ، تحقيق محمد الصغير بناني ،محمود السماتي ،محمد صالح الجون، شركة دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع،الجزائر،ط3،1998،ص5.

السجن – بالتنازل عن مكانته ،فيحرر- بنفسه- رسالة كان في الظروف العادية يكلف بها كتابة ديوانه" [43]، بهذا عاش الأمير عبد القادر زلزال الاحتلال بكل فداحاته وانهياراته، ونهض بمهمة الجهاد على أقدر ما يكون بطولة و استماتة وعزما وفاعل المحتل المستعمر بسلاح النار و قاومه بالصبر،و نازله بالكلمة و الموثق، وهزمه حينا و انهزم أمامه حينا آخر ." وهكذا يكون الأمير بعد واجب السيف قد أدى عنا واجب القلم اتجاه العربية بايصال سلسلة الأدب إلى غايتها الأخيرة في حلقة تحمل الإرهاصات الأولى لآدابنا الحديثة ،و تطمح إلى الجمع بين ثورة القول وثورة العمل "[44] .بهذا نجد أن الأمير استمر في التعامل مع العدو برجولته الجزائرية وفتح عينيه على قيم إنسانية تمجد الفضيلة و الخير و الأخوة، وعلى قيم نافذة تقدم مبدأ الاستئثار و العنصرية والاستكبار والابتزاز ." حين يذكر الأمير عبد القادر الجزائري في أي مناسبة تتوارد على الذهن صورة الأمير البطل وفروسيته التي استشهد بها وبطولته التي اجمع عليها العالم ، وتتمثله خواطرنا فارسا مغوارا كافح الاحتلال الفرنسي أكثر من سبعة عشر عاما دون ان يكل ان تفتر عزيمته، وتتجلى امامنا مهمته فتى ثم شابا ثم رجلا كاروع ما تكون عزائم الرجال ،و تتجسد فيه معاني الكفاح المسلح و الثورة التي لا تلين ضد الغزاة الأجانب "[45] وهذا ما يبين ان من أهم ما ميز شخصيته التي تفرد بها عن غيره من العظماء هو جمعه في معاملاته وسلوكياته

---

[43] مذكرات الأمير عبد القادر ،ص 25.

[44] مذكرات الأمير عبد القادر ،محمد الصغير بناني ،ديسمبر 1988، ص28

[45] ، (مجلة الحكمة عنوان المقال الكاتب الجزائري يصدرها إتحاد الكتاب الجزائريين)،ص57 العدد 02، إتحاد الكتاب الجزائريين، السنة 1997الجزائر ،ص57

بين القوة و اللين ،بين الشجاعة والتروي بين الإقدام وحسن التقدير بين الغلظة و القتل داخل رحى المعارك و الرحمة و الشفقة خارجها.

"وهناك جانب آخر للأمير ترك أثره في الثقافة العربية الإسلامية ونعني به الجانب الخاص بالإنتاج الفكري و الأدبي و الثقافي شعرا و نثرا ،فديوانه يعبر عن فروسيته و عن مشاعره الذاتية و الوطنية و الإنسانية ، ويعتبر البداية الحقيقية للأدب الجزائري الحديث لما يحمل من تجارب ناضجة وعواطف خاصة ومشاعر تتصل بحياته ومعاناته الذاتية ،ففيه ما يجسد نظرته للحياة و الكون و الطبيعة ،كما انه يمثل ارتباطه بوطنه وعقيدته ." [46] يبين هذا أن عظمة وعبقرية شخصيته تصطدم بمثبطات الواقع و تعقيداته و هذا ما ينزاح غالبا إلى وصف الواقع المحيط آنذاك ،بحيث كان الأمير يملك حوار الأديان و الحضارات مع ايلاء الثقافة بشموليتها والاهتمام اللائق بها ." فهو متعدد المواهب والجوانب و نادرا ما يجمع القادة و الرؤساء بين مواهب كثيرة مثلما نجد لدى الأمير عبد القادر ." [47]

و هذا ما يبين أن الشاب عبد القادر كان يعيش بزاد معرفي مزود برصيد تجاربي و علمي جعله يتفوق على جنرالات فرنسا و خريجي مدارسها العليا وأكاديمياتها و يهزمهم هزائم عسكرية و سياسية في عدة معارك و أن يقف معهم الند بالند في مناقشة المعاهدات ، الشيء الذي أكسبه تجربة جديدة زادته ثقة في النفس و في المصير الذي قدر له أن يكون فيه ، فان الأمير كان قد شكل ذاكرة قوية ومحصنة من التلف ، ذاكرة مليئة بمنجزات السلف و عبرهم و

---

[46] الكاتب الجزائري ،ص58

[47] المرجع نفسه ،ص59

موروثهم العلمي الدنيوي وغيره بين العصرنة و الحداثة ،وبهذه الذاكرة رسمت معالم كينونة شخصيته الوجدانية.

"فقد أخذ جملة العلوم التي حصلها أوجلها عن جملة من الفاسيين كالعلامة أبي حفص عمر الفاسي و المسناوي و أبي علي الحسن بن رحال وهم عن علامة وقته مالك زمام العلوم عقليها و نقليها أبي الحسن اليوسي ..أما العلوم النقلية و العقلية فأخذها عن فقهاء فاس وفضلائها كالفقيه الزروالي و اليزمي و الشيخ إدريس العراقي و سيدي حمدون بن الحاج المحقق و المدقق حائز الرياسة العلمية و العملية :الشيخ بن الطيب بن لحيران فسندهم هو سنده "[48].

بهذا كانت مسيرته حافلة بالأحداث الكبرى ،و استيعاب كينونة الواقع المر الذي بات يعيشه الوطن و المواطن .الا أن " عبد القادر شاب تقي فطين ،صالح لفصل الخصوم ومداومة الركوب مع كونه نشأ في عبادة ربه، ولا تعتقدوا أ،ي فديت به نفسي ،لأنه عضو مني ،وما أكرهه لنفسي أكرهه له" هذا ما قاله الشيخ محي الدين عن ابنه ،فهو يصفه بالثقة و الفطنة والمداومة على [49] الكفاح والنضال و القدرة على المشاق و التعب و السهر ." الشاب عبد القادر الذي على الرغم من يسر عائلته المادي ،كان يفضل الاعتماد على نفسه وعلى عبقريته و قوته الجسدية و شجاعته للولوج إلى عالم الريف بغاباته و فيافيه ،حيث كان يذهب إلى الصيد بمفرده و دون حراسة أو أعوان و بدون بهجة أو لفت انتباه بالموكب أو الاستحقار." وهو ما يوضح أنه ذا تجربة في الحياة و لوباع طويل في العلاقات الإنسانية . " في المستوى الثقافي :لقد اتفقت جميع المناهج و الإيولوجيات و النظريات المعرفية منذ القدم ، على مستوى الازدهار

---

[48] مذكرات الامير عبد القادر ،ص50-51.

[49] المرجع نفسه ، ص 141.

الثقافي ،مرتبط بمستوى الاستقرار لدى منتجي القيمة الثقافيةو كل شعرائنا في هذه الفترة لم يمنحوا كما ينبغي لهم من معين الأدب والبلاغة بعمق ودراسة متانيين ،علاوة على عدم توفر الظروف والمناسبات للاحتكاك بفحول شعراء العربية و بلغاتها ليفيدوا من تجاربهم بل اكتفوا بالاجتهادات الشخصية والكفاءات الفردية ... المستوى الاقتصادي :ان المعاينة البشرية تؤكد على الاياله الوهرانية التي تشمل المنطقة التي ولد فيها الأمير و نشا وتربى كانت تتوفر على خير وفير وتملك منتوجات فلاحية متميزة زيادة على امتيازها بمساحات معتبرة لتربية المواشي و الأغنام و ذات جبال ووهاد غنية بحيواناتها و أشجارها.

المستوى العسكري : إن فئة الحكام الأتراك الذين وضعوا ايديهم على المنطقة صحيح أن الكثير منهم أبلى بلاء حسنا في صد هجمات الاسبان الصليبية و ساهم في كثير من المرات بقسط وافر في حماية المسلمين وممتلكاتهم من همجية الغزو الصليبي الاسباني " [50] وهذا ما يؤكد معرفة الأمير بتقاعس السلاطين و الملوك و البايات ،و هذا لمحاربة الغزاة ،لان شخصيته تبوات مكانتها شخصية البطل و القائد من وقائع ايام البطولات العربية ومن دفاتر الفتوحات الإسلامية و من الذاكرة الشعبية ،تلك المعالم التي يتشكل بعدها الأول "الشعر" سواء بحفظه والامتثال به حالات الانتصار ،أو بروايته في المراتب العاطفية والمراحل التي تمر بها النفس،أو ينظمه تيمنا وافتخارا أبطال العرب و شجعانهم.

" كيف تسنى لهذا الشاب البدوي الريفي المثقف بثقافة دينية والمشبع بمنجزات عصر الانحطاط و الضعف الفكري و الأدبي أن يهزم جنرالات أوروبا و ان يوهن من عزيمة جيشها بل

---

[50] محمد بشير بويجرة: الأمير عبد القادر .(رائد الشعر العربي) الطبعة الثالثة، منشورات دار القدس العربي، وهران الجزائر .ص.20-22-23-24-27-28-29-30.

يمكن القول :أن يقهر علومها و تكنولوجيتها و ان يسخر مما كانت تلقته جامعاتها و مدارسها العليا "[51] و هذا ما يجعل القارئ يلاحظ ان كثيرا من المدونات توضح شخصية الأمير عبد القادر و مناقبه، لان لها مكانا راسخا مع العمالقة اتجاه الوطن الحبيب بفخر واعتزاز لأنه عملاق في أفعاله و مواقفه " حين نجد أثاره و مواقفه و منجزاته مازالت حديث الخاص والعام حتى الآن ، عصر العولم و التكنولوجيا. و يتجلى ذلك التجلي فيما كتب و يكتب حول منجزاته من كل الحقول التي عالج قضاياها و في كل ما صادفه في مسيرته من مثبطات للعزائم ومسرات على قلتها" [52] لأنه كان يرى الشعب من متممات شخصيته ووسام إنسانيته ورمز رقة ذوقه. "بل أتصور الأمير عبد القادر في اعتقادي يتبلور في أشكال وجودي فلسفي يرغمنا على تناوله وفق جدلية يتآزر فيها الإيمان بالغيب (الموهبة) و المنهج السوسيو ثقافي ،و كذا الإمكانات النقدية ورؤاها المنهجية التي تشتغل على نبع (العبقرية) في الإنسان"[53] بهذا نجد التمعن في وقائع و يوميات الأمير منذ وعيه للحياة وعبر مسيرته التعليمية وتسلمه لقيادة الكفاح ضد الآخر يبين ان البوح الشعري و انهماراته يبدو الاوفى في التغيير عن المبتغيات المكبوتة تحت وطأة الموروثات وحيثيات الواقع حينذاك .

ذلك لسبب بسيط يتمثل في مداومته على روح المقاومة مدة سبعة عشر سنة مرفوقة ببناء أسس دولة عصرية حديثة تعطي القضاء والعلم وصناعة السلاح و الذخيرة الأهمية الأولى،كما تتبدى الحيثية الثانية في ايلاء الثقافة بشموليتها و للأدب و الفكر و المعرفة العناية

---

[51] محمد بشير بويجرة :جدلية العبقرية و المعاصرة عند صاحب الإمارة، قراءة في مسار الأمير عبد القادر،ص8، منشورات دار القدس العربي، 2009م،ص08

[52] محمد بشير بويجرة: جدلية العبقرية و المعاصرة عند صاحب الإمارة، قراءة في مسار الأمير عبد القادر ،ص 22.

[53] المرجع نفسه ،ص23-24.

والاهتمام اللائق بها ،إلا أن الإشكال قائم حول اصالة الشعر وتعلقه بالقديم أو بالأصالة لقول احمد دوغان: " تبين لي من خلال الفترة التي قضيتها في الجزائر (1977-1984) إن علاقة الأدباء الجزائريين تكاد تكون جزءا من الاشكال الأدبي العربي، فالخصام بين الاجيال قائم ، جيل يتمسك بالقديم و يعتبره تراثا و أصالة ،و جيل يرسم لنفسه لغة جديدة ونصا يميزه... و جيل السبعينات وما بعد عكف مبدعوه على نفذ نصوصهم و مجموعاتهم في الصحافة الأدبية الجزائرية و العربية لترسيخ الذات الإبداعية " [54]وهذا مايبين أن الكثير من نصوص الأمير عبد القادر تكتسي طابع الإستراتيجية الموحي الى الكثير من القيم و الابعاد.

طبيعة الحياة الاجتماعية في عصر الأمير عبد القادر :

من المعلوم ان عصر الامحال الحضاري الذي عاشته الأمة الإسلامية على مدى عهود طويلة تقهقر بالشعرية إلى مستوى التمحل و النظم في مخاطبات ساذجة لا شعرية فيها، وتلك حال لا تعكس إلا بطالة اجتماعية ومدنية كان يعاني من وطأتها الفرد المسلم ،حيث جفت منابع العطاء المدني فيه ومن حوله." ينبغي ان نفرق بين طبيعة تراثنا الشعري من حيث هو فن خالد، ما يزال بعامة يهز إحساسنا من الأعماق، ويثير فينا تعاطفا إنسانيا مؤثرا، وبين المقاييس النقدية المقننة التي يفرضها النقاد القدماء و مقاييسهم الفنية في الحكم على طبيعة هذا الشعر."[55]وهذا لم يسعه جزاء ذلك إلا أن يستنيم لعوامل النكوص العام التي ظلت تنحسر به ، وتجرده من كثير من خواص الكرامة و الحيوية و القدرة على الإبداع التي كانت تميزه يوم كان

---

[54] احمد دوغان:الأدب الجزائري الحديث ،ص 9-10 .

[55] ابراهيم السعافين :مدرسة الاحياء و التراث، ذراسة في اقر الشعر العربي اقنيم لر مدرسة الاحياء في مصر دار الاندلس ط 1 1981ص 8.

مصدرا لصنع الحضارة وتسويقها الى الآفاق. "ولعل نظرة النقاد العرب الجمالية قد جعلت بعض المحدثين يتصورون ان الشعر القديم ينسجم تماما مع التنظير النقدي.فقد ذهب النقاد القدامى الى ابعد مدى عندما فهموا ان التخييل مرادف للزيف .و قلب الكذب حقيقة"[56] و في ذلك التقهقر ظلت الشعرية تراوح بين أغراض تقليدية لا تخرج عن دائرة الهجاء والمدح والعتاب و الوصف والترسل الاخواني المشحون بالعواطف المصطنعة والفجة في أحيان كثيرة ،و الخاطبات التي احترفت نوعا من تعاطي المجاملة الساذجة بحيث. اتجه الشعر العربي نحو الانحدار ... فقد أدى سوء الأوضاع الاجتماعية إلى تدهور الحالة السياسية ،والى جمود في الحياة الفكرية والأدبية،فلم يكن من الطبيعي ان يتنفس شاعر في هذا الجوهر إلى الحرية ،بل على العكس فانه من الطبيعي أن يتنفس شاعر في هذا الجوهر الى الحرية، بل على العكس فانه من الطبيعي ان يظهر شعراء مقلدون لا يتمتعون بادنى قدر من الحرية و الإبداع."[57] بهذا زادت الهوة اتساعا بين النموذج الشعري التراثي القوي وبين والمنتوج النظمي الذي باتت البيئات المختلفة تمارسه حتى لقد بلغ التناسب بين الطرفين مقدار تناسب الصوت إلى الصدى ،ولذلك ستكون جهود حركة الاستيعاب و الاحياء التي كان الأمير عبد القادر في طليعة روادها بلا منازع، مركزة على إعادة اللحمة بين التراث و المنتوج العصري بحيث كانت المرحلة الشعرية الأولى في الجزائر (1920-1954) مرحلة الشعر ألانبعاثي أو الاتباعي.كانت استمازت بالبكاء على الوضع الذي كان قائما ووصفه قاتما، كما هو في حقيقته ،وتجديف القدر الذي كان يومئذ تنكرا متعنتا، والانحناء باللوائم على صروف الحدثان ثم اذا كانت المرحلة الثانية (1954-1962) انبهرت بشؤون

---

[56] المرجع نفسه ،ص12.

[57] إبراهيم السعافين :مدرسة الإحياء و التراث ،ص15.

الثورة وحدها ،فوقفت كل عطائها الشعري عليها:تمجيدا لها و تخليدا لملاحمها ،وتغنيا بانتصاراتها ،وازدهاء بما فتحته من الأبواب العراض للآمال المعسولة، وانتشاءا بما رسمته من الاماني الحالمة ، فان المرحلة الثالثة (1970-1990) تكاد تقطع الصلة بالمرحلة الأولى من الوجهتين الشكلية و المضمونية جميعا ،من حيث تظل على صلة بالمرحلة الثانية ولكن في صورة تشبه التماس ما يمكن ان نطلق عليه عبارة "الشرعية المضمونية" [58] بهذا كانت مرحلة النهضه ارتدادا في الزمن وتشربا للنماذج التراثية للتحول فيما بعد الى وثبات متتابعة 52تستمد بعض جرائتها من استلهامها منتوجات الغرب الإبداعية ،تلك المنتوجات التي عرفت منذ حصول نهضتهم احوالا من الإقدام على التجريب و تجاوز التقاليد بصورة متواصلة ،ولقد انتهى الامر بمستويات كثيرة من الإبداعية العربية إلى أن تجرب هي أيضا ألوانا م التجديد دخلت بها عصر الحداثة بل و تجاوزتها الى ما بعد الحداثة بغض النظر عن مدى أصالة كثير مما جربه ويجربه المبدعونبحيث كان عهد الأمير (1830-1847) هو عهد انبعاث القوميات في أروبا وكان أصحابها يطالبون بالاستقلال والانعتاق مثل الصرب و اليونانيين و البلجكيين و البولنديين، فكان القادة الفرنسيون في الجزائر يخشون أن تتجدر الفكرة القومية بين الجزائريين أيضا وتنتشر منهم إلى البلدان المجاورة و تمد جسرا خطيرا نحو المشرق أيضا" [59] .

من هنا سنرى أن المعرفة العربية الإسلامية قد ارتكست إلى التنويه بجملة من العلوم الآلية مثل النحو و الفقه ،فعم الزهد في الحياة ولم تعد الحياة تدور إلا بدوافع الغريزة ونزوع

---

[58] دراسات جزائرية، دورية محكمة يصدرها " مختبر الخطاب الأدبي في الجزائر"العدد 2مارس2005، جامعة وهران ،العدد ،ص21-22.

[59] شارل هنري تشرشل:حياة الأمير عبد القادر،ترجمة وتعليق وتقديم: أبو القاسم سعد الله، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 2004 ،ص 10.

البقاء،إضافة إلى التصوف لملأ الفراغ الذي حدث حين غاب الفكر عن الساحة العقلية الإسلامية .لهذا نجد قارئ شعر الأمير لا يجد نفسه يخترق شيئا غريبا وانما يلفي نفسه في مناخ العتاقة الأدبية و ضمن منطقها وشعريتها ،فقارئه يتعامل مع تقاليد القصيدة العربية التقليدية ،و يتفاعل مع قيمها مستمدة من الشعر العتيق." كان ذلك هو مسار الشعر ذي الاتجاه الوجداني الرومنسي تحت تأثير العوامل السياسية و الاقتصادية و الاجتماعية (1925-1954)، حتى اذا اندلعت الحرب التحريرية في نوفمبر من سنة (1954) ظهر على المسرح الشعري نتيجة لذلك شعر يتجه اتجاها ثوريا ،إلى جانب المؤثرات السياسية و الاجتماعية و الاقتصادية، وجدت مؤثرات ثقافية ساعدت هي الأخرى على ظهور الشعر ذي الاتجاه الوجداني الرومنسي ".[60]

لا يعني هذا أن شعر الأمير خلا من المقومات الفنية التي تستخدمها قصيدة الشعر الحديث و المتمثلة في الرمز و الأسطورة و السرد الإخباري والحواري، بل ان قصيدة الأمير تصطنع رمزيتها من الوجود بل الزمان و المكان ، أي أن أغلب قصائده قد دارت حول مضامين تعلقت بشؤون الذات و القلب و الروح، و إنما تأثرت بها وقائع تجربة العمد في أطوارها المختلفة و التقلبات التي اتسمت بها حياة الأمير. "أحسب أنه من العوامل الأساسية التي ساعدت على انتشار أدب مدرسة الاحياء في الجزائر ، اتجاه الحركة الإصلاحية ،و موقفها السلفي الواضح من قضايا الفكر والثقافة، فما كان اعجاب الحركة الإصلاحية بأدباء النهضة العربية و شعرائها

---

[60] محمد ناصر: الشعر الجزائري الحديث ، اتجاهه و خصائصه الفنية ، 1925-1975م، الطبعة الثانية ، مزيدة و منقحة، دار الغرب الاسلامي،2006م، ص95-96.

يتقف عند حدود القراءة، و المتابعة ولكنه تجاوزها إلى التشرب و التقليد" [61] وهذا يعني أن مجال الشعر ليس تثبيت الأخبار،و الا أضحى تاريخا ،لأنه خطاب و تجسيد للمشاعر ، و الأمير كان يتعاطى مجموعة من الآليات المساعدة على لآداء دوره في المقاومة و النضال على أحسن وجه، ولم يبق القول الشعري في مجال التعبير عن الهموم الذاتية بل زوده بمحمولات ايديولوجية و استراتيجية تجاوزت به المفهوم الكلاسيكي للشعر نحو مفهوم جديد له يتماش مع مقتضيات الحال و مستجدات العصر.

بحيث" ظل مفهوم الشعر عند الشعراء المحافظين التقليديين، مرتبطا ارتباطا وثيقا بمفهوم النقاد العرب القدامى له." [62] بحيث نجد أن الرؤى و الأبعاد و الصور غني بها الموروث الشعري العربي الكلاسيكي ،سواء قبل الإسلام أو بعده ولوكانت رؤية الأميرالشعرية هذه متصلة بما كان متواترا،لكن والحال أن هذه الرؤية عادت من جديد في الجزائر على لسان الأمير و في فترة زمنية يتفشى فيها اللحن و هيمنت فيها الأعراف و السلوكات هذا بخاصة في شعر الأمير، أما فيما يخص عامة فنجد "إن القصيدة الجزائرية التي كتبت في فترة (1945-1954) بخاصة تمر حتما عبر تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية،ففي ضوء ذلك يمكن للمحلل اكتشاف العلاقة بين الشعري و السياسي كما يمكنه الوقوف على الجدل السائد بين الاثنين في ظل اثنية تاريخية تصادم و تناقض فيها الشعري والسياسي و الديني الكامن في الطرق الصوفية قد عجزت عن

---

[61] المرجع نفسه، ص52.

[62] محمد ناصر: الشعر الجزائري الحديث ، اتجاهه و خصائصه الفنية ، ص66.

تقديم الجديد الذي يكمن في الثورة ضد فرنسا" [63] بهذا ان وقائع تلك الزمنية كلها تؤكد على تراجع هيمنة الإيديولوجية العربية."

الشعر الجزائري في السجون الفرنسية حلقة في تلك السلسلة الطويلة الممتدة عبر الأجيال العربية التي كابدت الذل و الغربة في أوطانها، لقد تحكم الاستعمار الفرنسي في رقاب الشعب الجزائري عندما آل إليه أمره ، فتمكن منه كل التمكن ،وتصف في حريته كيفما شاء فأصبح غريبا في وطنه الذي تحول الى مساحات شاسعة من المسجون و المعتقلات و المحتشدات 64"

نجد كينونة الأمير كانت ممتلئة و متخمة بالأحداث والوقائع، مما جعل قصائده ملتصقة بلسان الشعب و سمعه حتى دخل بها المعركة ضد المستعمر الغازي، وجعلها تكتسي طابعا استراتيجيا زيادة على وظيفتها الشعرية و الأدبية ،حتى كان يرى في الشعر تكملة لشخصيته و لبطولته ولإنسانيته، و يتخذ من حلية يتباهى بها و يجيز عليها الشعراء و يساجل بها أقرانه من الشعراء و العلماء والقادة بحيث تعددت الصور و المشاهد سواء في شعره بخاصة أو في الشعر الجزائري بعامة. " إن صورة الفرنسي بهذا الادعاء انما هي مرهونة بأسباب حضارية ذات بعد تفكيكي تغريبي، و الضرورة مع هذه الحالة تحتم علينا أن نطور كيانا فكريا و أدبيا ووجدانيا عميق الفهم و الدراية. بما يجب أن تكون عليه علاقتنا بفرنسا و التطوير يأتي هنا وفق هذا الموضوع المؤيد بالتاريخي."

---

[63] عمر بوقرورة: دراسات في الشعر الجزائري المعاصر، نقد، منشورات إتحاد الكتاب الجزائريين،الجزائر،ط 2004. ص 81.

[64] المرجع نفسه.ص 41.

لهذا نجد بعض النقاد العرب وهم يتعرضون للحداثة في الشعر العربي عبر صيغ [65] مختلفة وقد وضعوا رأس الحداثة بين الذات المبدعة – الشاعر- وبين الذات المساهمة بقوة في هذا الإبداع – المجتمع- و هذا في حالة تفصيل و تفاعل بين مستجدات العصر مما يدفعه، سواء كانت أفكارا ومشاعر جديدة أو غيرها في ما يتعلق بالانسانبين الإنسان واليه وبين الفرد و المجتمع و غيرها. "

لقد حاول هؤلاء الشعراء أن يكتبوا من خلال الوطني الثائر فبدت فرنسا في أشعارهم مرعبة،مغتصبة،وهي محتلة الأرض، ومؤسسة للسجون و المعتقلات و المحتشدات،كما بدت مسيطرة ماسكة بأسباب الصراع الحضاري، وهي تغادر الوطن مخلفة وراءها مشروعا تغريبيا مجسدا في اللغة و الثقافة ، وفي عناصر بشرية مشبوهة نذرت فيها الردة لخدمة فرنسا " بحيث نجد أن المير عبد القادر كان يستخدم هذه العناصر رموزا لواقعه ووسيلة [66] إلى تصوير ما يتلقاه عنه من انطباعات، وذلك مصداقا لتجربته الوجودية و الشعرية و الالتزام بقضايا الأمة و مصائرها شريطة مرور كل ذلك عبر ذاتية الشاعر ووفق جوهر رؤيته الفنية و الجمالية و الفكرية.

بهذا نجد " يعتبر الأدب العربي القديم من أغزر الروافد التي صبت في الشعر الجزائري الحديث، فساعدته على الثراء و النماء ،و طبعته بالتالي بطابع القوة و الجزالة، وأشاعت في تضاعيفه التعبيرات المستمدة من الأدب القديم و هو ما جعل التعبير الشعري عند أغلب الشعراء تعبيرا يعتمد الجمل الجاهزة ، و الصور المستمدة من الذاكرة..." اذا لغة الشعر العربي

---

[65] عمر بوقرورة :دراسات في الشعر الجزائري المعاصر،.ص 8.

[66] عمر بوقرورة :دراسات في الشعر الجزائري المعاصر ،ص 12.

الحديث تؤكد على أن هناك علاقة تلازمية بين اللغة وبين الموقف[67] الاجتماعي و بين الموقف الذاتي لينتج عن تلك العلاقة ما يسمى بالقصيدة الشعرية حيث يرد المواقف الانفعالية و تيار المقاومة إلى مواقف اجتماعية و ذلك بسبب احتكاك الأديب – الشاعر- بمشكلات الحياة التي يعيشها وإدراكه لخطورة دوره في مواجهة هذه المشكلات و التزامه بواقعه و قضايا شعبه ."

إن الباحث في الشعر الجزائري الحديث يلحظ فيه مثلما يلحظ في بقية الشعر العربي منذ بداية نهضته الحديثة نزعتين: نزعة المحافظة و التقليد و كان لها أنصارها و التحمسون لها ،ونزعة التطوير والتجديد و كان لها روادها الداعون إليها .غير أن النزعة الأولى كان لها في الأوساط الأدبية الجزائرية معتنقون أكثر، ووجدت من الشعراء و النقاد استجابة تلقائية أكبر، فيما ظلت فيه النزعة التجديدية منحصرة لدى بعض النقاد و الشعراء القلائل المتأثرين بالحركة الرومانسية العربية و الفرنسية" [68] بهذا نفهم أن الروح الإنسانية تكبر بالشعر و تخضع لسلطانه وتستجيب لتأثيراته بطوعية، لذا ظلت الأمم على مر الزمن تعتز بما هو من روائع الشعر، بهذا تتفاوت الفنون و الأجناس الأدبية بتفاوت المدى الإبداعي الذي يحققه إنسان هذه الحضارة أو تلك في صوغ روائعه."وعلى الرغم من اتصاف هذه الحركة الشعرية بالبطء و التطع والتفرد، والضعف في بعض جوانبها ،فإنها كانت تعبيرا عن الظروف الصعبة التي كانت الجزائر تمر بها من جانب، و استجابة لإرادة التغيير و التطوير التي شارك بها الشعراء الجزائريون كل مراحل الشعر في الوطن العربي ،من مرحلة التقليد والمحافظة الى مرحلة التجديد و المعاصرة من جانب آخر"[69] .

---

[67] محمد ناصر: الشعر الجزائري الحديث ، اتجاهه و خصائصه الفنية.ص45.

[68] محمد ناصر: الشعر الجزائري الحديث ، اتجاهه و خصائصه الفنية.ص39.

[69] المرجع نفسه.ص 660.

اذن تتمايز قيم التراث الإنساني اعتبارا للأبعاد الإبداعية التي تعكسها الفنون و الألوان الجمالية المبتكرة لذا تدرجت الإنسانية في صنع الحضارة بدوافع نزوعية واحدة واختلاف المسارات هو باختلاف الظروف لأن عوامل المحيط و البيئة ظلت تعمل على توجيه الإنسان و ترسم الأفق أمامه ، وتحدد له حاجاته ،و تضعه أمام ضرورات ملحة ." و شاع التقليد المتكلف و اتخذ له طابع التشطير و التخميس و المعارضة و التضمين، ذلك لأن مفهوم الشعر نفسه لم يكن واضحا في أذهان هؤلاء النظاميين، وحسب الواحد منهم أنه يقلد أو يحاول أن يقلد ما حفظه من قصائد القدماء و يخيل إليه أنه في استطاعته أن يسبح على منوال، مشاهير الشعر العربي القديم" [70] وهو ما أعطى للعقل الإنساني هذه القدرة الحيوية التي طفقت تتنامى عبر الأعصر، وجعلته على تفاعل دائم و مستمر في مواجهة إشكالات الوجود، الأمر الذي هيأ تفاوتا بين المجموعات الانسانية ،في تمهيد المحيط و توفير مزيد من أسباب التقدم والسيطرة على الطبيعة. "لم يكن النص الشعري الجزائري منذ بداية عصر النهضة منعزلا عن تطور النص الشعري العربي في ديمومته الإبداعية المتصلة بالتأثيرات الخارجية و الداخلية و المتغيرات السياسية و الاجتماعية و الثقافية التي تشهدها الساحة المشرقية." [71] وهو ما يؤكد استعداد الإنسان للرقي والبناء والتطور، بهذا نجد الأمير عبد القادر، وبالاحتكام الى ظروف عصر هو إلى التوترات التي رافقت حياته، ،قد جمع أكبر قدر من معايير الحداثة ،وذلك لكونه وقف موقفا واضحا و محددا يستند إلى رؤية تقدم مصلحة الأمة والوطن على مصلحته ورغباته و نزواته ،مما

---

[70] المرجع نفسه.ص21.

[71] عبد القادر رابحي :النص و التقعيد، دراسة في البنية الشكلية للشعر الجزائري المعاصر، إيديولوجية النص الشعري، الجزء الأو ّل، دار الغرب للنشر والتوزيع.،ص61.

برفع درجة التفاعل و العلاقة بين هذه العناصر كلها إلى أرقاها و أقواها. " و الشعر في الجزائر يأخذنا إلى تلك الحرب التي كان لها الدور الأول في رحلة تكوين جديدة، إذ أن الثورة الجزائرية المسلحة التي انطلقت في الأول من نوفمبر (تشرين الثاني) عام 1954 لم تكن حرب التحرير ضد الاستعمار الفرنسي فحسب، بل عملت على تغيير الإنسان الجزائري" [72] هذا بعامة الشعر، بحيث نجد أن أغلب الشعراء الجزائريين استمدوا شعرهم من الواقع الذي عاشوه، وهو ما قام به الأمير عبد القادر الذي استمد نزعته الشعرية من التراث القديم و الأصالة بحيث "يمكن للتراث أن يسهم في تحقيق ما نطمح إليه و هو دفع المجتمع إلى السير خطوة جديدة في سبيل التطور،و الخروج من التقليد إلى التجديد و الابتكار ،فيتحول بذلك التراث الى قوة مبدعة في حاضرنا دافعة بهذا الحاضر إلى آفاق المستقبل. -المساهمة في إبراز شخصيتنا و تحقيق وجودنا في العالم فنيا و فكريا و حضاريا .

- توحيد أمتنا و القضاء على التمايز الطبقي الاجتماعي الذي ينخر أسس مجتمعاتنا .إعادة الثقة في مؤسساتنا التقليدية و تجديدها"[73]. وما يوضح أن الأمير كان يعتمد في شعره على الأصالة والتقليد هو رؤيته المؤسسة على اعتقاد ديني أصيل ،لأنه حفظ القرآن الكريم و تفقه في الدين و اللغة و كان شعره مزين بالفكر الصوفي لأنه هذا الأخير كان ميزة العصر و حليته ،و هذا ما أعلى من قيمة الشعر و الشاعر في صنع العلاقات الاجتماعية و إثرائها ذلك كله تعبيرا عن همومه ووقائعه المبثوثة في الريف الجزائري للتعبير بواسطة الشعر أو النص المقصود

---

[72] أحمد دوغان ،(الأدب الجزائري الحديث)،ص 29.

[73] الأثر مجلة الآداب واللغات، دورية أكاديمية محكمة، تصدر عن كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ص206، جامعة ورقلة، الجزائر، العدد الثالث ماي 2004م ،ص206.

"...أن للنص عالمه الخاص بعد أن ينطلق من الواقع ،وقد يواجه الشاعر نفسه ولكن هذا العالم لا يكون منعزلا لإتمام الانعزال عن عالم الشاعر النفسي، وواقعه الاجتماعي "[74] بحيث كانت مطامع الشعراء و آمالهم تقف عند الصناعة اللفظية و الزخرف الممزوج بالذوق الفني مع إثراء النص الشعري بشحنات قادرة على استيعاب ممكنات التأويل و التحليل ،وهو ما يبرز أن الأمير عبد القادر أكد كل من تدارس شعره بأنه كان انتفاضة للقصيد العربي في الجزائر في أواسط القرن التاسع عشر على الرغم من أنه ولد في بيئة دينية محافظة أثناء فترة جمود عقلي و استبداد سياسي في بلاده ذلك أن " ذاكرة الشعب الجزائري ،حبلى بمخاض السنوات الاستعمارية الحالكة ، وتقف اليوم في وجه مخططاتها الحربائية حاجزا منيعا اسمنته المسلح: اللغة العربية و الدين الإسلامي الحنيف" [75]

اذا أردنا أن نتحدث عن ظاهرة نهوض القصيدة العربية من كبوها و عودتها إلى ريادة البوح الشعري في الانجازات العربية اليومية؛ تلك الظاهرة التي منحت لها أسماء ومصطلحات متعددة مثل : مدرسة الإحياء، مدرسة أبولو،الشعر العربي الحديث أو الشعر العربي المعاصر وغيرها من المصطلحات التي لها دور معتبر في الابانة عن الفكرة و التوجه أو عن المنهج و الآلية في المعالجة." من هنا تكونت طلائع العالم العربي في إطار الفكر السياسي الإسلامي و لم تستشعر هذه الطلائع بوجه عام ضرورة التحول ضد هذا الفكر ، اذ لم يتحول الإسلام إلى مدرسة كادر للنظام الإقطاعي أو الأنظمة الرأسمالية في العالم العربي، و إنما ظل درعا واقية ضد

---

[74] عبده بدوي (دراسات في النص الشعري العصر العباسي،دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع القاهرة،د ط،د ت) ص12.

[75] عبد الله حمادي: مساءلات في الفكر و الأدب ،ص300، محاضرات، ديوان المطبوعات الجامعية، الساحة المركزية، بن عكنون، الجزائر،ص300..

الغزو الأجنبي ،أي أنه ظل جزءا لا يتجزأ من "الايجابية التاريخية" في عالمنا العربي ضد حملات الغزو "[76].

بحيث حتى الفترة التي ولد فيها الأمير فقد اشتد فيها القحط الثقافي حتى في أعرق العواصم الثقافية العربية مثل بغداد و دمشق و القاهرة وغيرها من مراكز التنوير التي كانت تشد إليها الرجال لطلب المعرفة أو للمناظرة كما كانت هذه الفترة تصنف ضمن أضعف فترات النظام السياسي العربي الإسلامي و كل ماحققه الأمير عبد القادر بعد ذلك يعتبر من الأجدر لهذا يعود الفضل لخصوصية شخصيته وأصالة عبقريته .كما أنه شهد الشعر العربي خلال السنوات الخمس و العشرين الماضية تحولات كبيرة ، وعلى أكثر من مستوى ،و برزت ظواهر جديدة، ليس بالضرورة أن تكون كلها ذات حضور يدفع بالقصيدة الى مزيد من التطور. كما أن الأحداث الكبرى التي شهدناها، تركت أثرها الواضح على مسيرة القصيدة و موقع الحلم في حياتنا " [77] .

بهذا نجد أن الأميرعبد القادر كان يمتلك في عمق جوانحه شواظا من البوح الشعري كان يجب عليه أن يخرجه وأن يعبر عن÷ بأية لغة كانت، لكن في هذه الظروف التي فرضت عليه قيادة الأمة الجزائرية لمواجهة الجيوش الفرنسية كان لزاما عليه أن يجد ما يوحد به صفوف هذه الأمة و كل ذلك مبني على الدين الإسلامي الخالي من الاستغلال و على اللغة العربية في

---

[76] أنور عبد المالك:(الفكر العربي)، ترجمة وإعداد: بدر الدين عرودكي، معركة النهضة، دار الآداب، الطبعة الثالثة 1981.
ص 227.

[77] أحمد دحبور: أفق التحولات في الشعر العربي،شهادات ونصوص،ص7، دار الفنون، مؤسسة عبد الحميد شومان، الطبعة الأولى 2001،ص7.

صياغاتها و سياقاتها المفهومة قدر الإمكان ،هذا ما يخص الأمير ،أما فيما يخص الشعر الجزائري "ان الباحث في الشعر الجزائري الحديث يلحظ فيه مثلما يلحظ في بقية الشعر العربي منذ بداية نهضته الحديثة نزعتين :نزعة المحافظة و التقليد وكان لها أنصارها و المتحمسون لها ونزعة التطوير و التجديد وكان لها روادها و الداعون إليها و إن الظروف السياسية و الثقافية والاجتماعية التي أحاطت بالشاعر الجزائري ، تضافرت كلها على توجيه الحركة الشعرية الى أن تتغلب عليه نزعة المحافظة والتقليد."[78]

غير أن التجربة الأدبية الجزائرية ليست قصيرة ،و انا هي تمتد من أشعار الأمير مرورا بجيل ابن باديس ،و الربيع بوشامة ." [79]

طالما اشرأبت نفس الأمير الى تحقيق أمل و رغبة ،هما أن يكون قادرا على إكمال واجباته الدينية فيتوجه بعمل آخر من عمل العبادة ..." [80] "و خلا الثني عشر شهرا من رجب 1279الى رجب 1280/كانون الأول 1862 الى كانون الأول 1863م التي قضاها في مكة ،لم يغادر الأمير حجرته إلا للذهاب الى الجامع الكبير .فقد خصص كل وقته للدراسات الدينية ،و التعبد والصلاة و كان حماس فكره الديني قد استبشر بأشد انكار الذات..." "وقد توفي (رحمه الله) عن زوجته ابنة عمه(أم البنين) وعشرة أولاد ذكور [81] ،وست بنات ،وثلاث جوار جركسيات، وجارية حبشية."

---

[78] محمد ناصر :الشعر الجزائري الحديث،اتجاهه و خصائصه الفنية ص39.

[79] المرجع نفسه ، ص174-175.

[80] فؤاد صالح السيد : الأمير عبد القادر متصوفا،المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر،1985 ،ص93.

[81] فؤاد صالح السيد : الأمير عبد القادر متصوفا،ص36

أم البنين :و هو اللقب الذي أسبغه الأمير على زوجته في قصائده الغزلية: [82]

جفاني من أم البنين خيال		فقلبي جريح و الدموع سجال

أبناءه الأمراء: محمد،محي الدين ،وهاشم ،وإبراهيم، واحد،و عبد الله ،و علي ،وعمر ،وعبد المالك ،وعبد الرزاق .[83]

ومن سلاطين بني عثمان الذين عاصروا المير عبد القادر الجزائري :

- مصطفى الرابع 1222-1223هـ/1807-1808م
- محمود الثاني 1223-1255هـ/1808-1839م
- عبد المجيد الأول 1255_1278هـ/1839-1861م
- مراد الخامس 1278-1282هـ/ 1861-1876م
- عبد الحميد الثاني 1293-1327هـ/1876-1909م

3) نبذة عن حياة الشاعر:

النشأة : ولد الأمير عبد القادر بن محي الدين بن مصطفى بن محمد بن المختار بن عبد القادر بن أحمد بن محمد بن عبد القوي بن يوسف بن أحمد بن شعبان بن محمد بن إدريس الأصغر بن إدريس الأكبر بن عبد الله (الكامل) بن الحسن المثنى (السبط) بن فاطمة بنت محمد رسول الله صلى عليه وسلم وزوجة علي بن ابي طالب ابن عم الرسول صلى عليه وسلم و

---

[82] المرجع نفسه،ص44.

[83] المرجع نفسه،ص46.

أيضا من عائلة رسول الإسلام محمد (الإحياء بعد الانساء) عبد الفتاح فحتي أبو حسن شكر .مصر 2011م.

هو عبد القادر ناصر الدين، الابن الرابع لعبد القادر محي الدين ،ولد في شهر ماي سنة 1807 في قرية القيطنة على ضفة وادي الحمام في منطقة أغريس التي تقع في إقليم التي تقع في إقليم وهران في الجزائر ...كان يقرأ ويكتب عندما كان في الخامسة من عمره ،وقد أصبح (طالبا) عندما كان في الثانية عشرة، أي أنه في هذه السن كان متمكنا من القرآن و الحديث، و أصول الشريعة ،وبعد سنتين حصل على تسمية (حافظ)...وفي السابعة عشر اشتهر الشاب عبد القادر بين زملائه بقوته العجيبة ونشاطه الواضح وكان لا يدانيه أحد فروسية، ولكن فتوة عبد القادر ظهرت خاصة في سباق الخيل مع الجواد الفاهم السواد اللون الذي كان يفضله ،و العين الثاقبة و اليد الثابتة و الرجولة الحقة..."[84] .

،شاب رشيق،أبيض اللون ،يرتسم النبل و الحلم على ملامح وجهه، و كانت عيناه ذات لون أزرق رمادي ،و لكنهما براقتان،ولحيته سوداء منتظمة ،و أسنانه التي انكسرت إحدى ثناياها ،ناصعة البياض،وكان صوته عميقا ،وكانت به نعومة ورقة ،وكان يحمل وشما صغيرا فوق جبينه وخده الأيمن و يده اليمنى.[85]

[84] شارل هنري تشرشل :حياة الأمير عبد القادر،ترجمة وتعليق أبو القاسم سعد الله،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر،1986ص 61_62.

[85] يوهان كارل بيرنت: الأمير عبد القادر، ترجمة : د.أبو العيد دودو،ص69، دار هومه، الجزائر، ص69.

- كان الشخص الجواد مكرسا نفسه كلية للصيد ،وليس من العجب أن يحصل تدريجيا شخص موهوب بالطبيعة وجاد في فن الثقافة العصامية والإصلاح الذاتي على تفوق عظيم ،قد تزوج عبد القادر شابا يافعا على الطريقة الاسلامية وطبقا لنصوص للقرآن ففي سن الخامسة عشرة تزوج ابنة عمه لالا خيرة التي كانت مثله تتمتع بجمال خارق و أخلاق عالية .[86]

- عينان صافيتان ولون البندق تحت جبهة عريضة في بياض الرخام مع نعومة مكتومة وحزينة أو تتألفان بأشعة العبقرية و الذكاء و عديم النوم خلال أسابيع ،و التعرض للصدام ،و ندرة اخماد سيفه .."[87]

- فهو السيد الجليل،العارف النبيل، الناسك العالم العامل، الزاهد المتورع السيد حاج عبد القادر بن محي الدين بن المصطفى بن محمد بن أحمد بن المختار ابن عبد القادر بن أحمد بن المختار ابن عبد القادر المعروف بخدة، (محشى صغرى السنوسي)بن أحمد القديم بن عبد القادر بن محمد بن محمد بن عبد القوي بن عبد الرزاق بن الغوث الرباني سيدنا عبد القادر الجيلاني بن صالح بن موسى بن عبد الله بن يحي الزاهد بن الإمام محمد بن الإمام داود بن الإمام موسى بن الإمام عبد الله بن الإمام موسى الجوني بن الإمام عبد الله المحض بن الإمام الحسن المثنى بن الإمام الحسن السبط بن الإمام علي بن ابي طالب وله سلستان أخريان من جهة الأطراف و يتصل بها طرفان من جهة عبد القوي ابن علي بن أحمد بن عبد القوي بن خالد بن موسى بن أحمد بن بشار بن محمد بن مسعود بن طاوس بن يعقوب بن عبد القوي بن محمد بن أحمد بن إدريس بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط ،السلسلة

---

[86] شارل هنري تشرشل: (حياة الأمير) ،ص 65.

[87] المرجع نفسه ،ص 63

الثانية من طرفي الأولى: عبد القوي بن عبد الرحمن بن ادريس بن إسماعيل بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زي العابدين السجاد بن علي بن الحسين السبط.نشأ رضي الله عنه بطرف غريس من الجهة الغربية على مرحلة من أم عسكر بمستقر أبيه في قرية اختطها والد والده على رأس المائة من القرن الثالث عشر، اشتهر اسمها بالقيطنة (مشتقة من القطن ضد الضعن لأن أهلها قاطنون ليسوا بأهل عمود) على مشارع وادي الحمام، وهو واد من أكبر الأودية وأعذبها ماء طيب و حلاوة ،ذا مروج عن يمينه و شماله متسعة صالحة للزروع و الضروع ،ينسب الوادي إلى ،مزار قبره ،معترض بين الحمام و القبلة ،اسمه سيدي محمد بن الحنفية .[88]

- البيئة التي تربى فيها الأمير ،وأن نهمه للعلم حتى تحدى الأهوال من أجل الحصول عليه،وأن المعارك التي خاض و الممالك التي رافقت حله و ترحاله.

الأمير قد أولى أهمية قصول للشعر قد تتجاوز النشاطات و الاهتمامات و المقاصد الأخرى التي كرسها لإقامة الدولة الوطنية و لتقوية الأنفة و الخصوصية الجزائرية الأصيلة .[89]

ان الأمير عبد القادر قد جبل و جد في انجاز عبقري متفرد مازج فيه بين الدين،العقيدة والشرع الإسلاميين.وبين الجدلي العقلي- معاينة الحالات والأوضاع واستشارة أهل الرأي ليصبح انجازه ذاك يجمع بين القداسة و الإبداع. [90]

---

[88] مذكرات الأمير عبد القادر، نبذة عن حياته، ص 44،45،46.

[89] بشير بويجرة: الأمير عبد القادر، رائد الشعر العربي الحديث ،ط3ن منشورات دار القدس العربي وهران ،ص 47_48.

[90] بشير بويجرة :جدلية العبقرية ،ص 152.

كان شخصية ذات تأثير قوي أينما حل وكيف ما كانت أوضاعه محاربا و مقاوما أو أسيرا بين الأصفاد ،و ما ذلك الا بما كان يتمتع به من قوة و اختراق لما كان سائدا في عصره ومن ذكاء و حنكة في تقدير الأوضاع المعاصرة وما تتطلبه من مواقف وقررات .[91]

أن الأمير عبد القادر كان يعيش عصرا مضطربا جدا لا يكاد يمر يوم حتى يظهر نزاع ما في منطقة ما ،ولا تطفأ نعرة ما حتى تشتعل نار نعرة أخرى.[92]

ان هذا الطفل الشاب ابن "القيطنة" الريف و البادية قد تجاوز المستعمر الفرنسي وذكاء استراتيجيات رجالاته ،فضلا عن تفوقه في انجازاته المقاوماتية و الإنسانية كل أبناء وطنه، حتى من الذين تربوا في المدن و اوتوا من العلم و الثقافة فيوضات لا حصر لها في جميع التخصصات و الحقول ،و ذلك لا لشيء الا لذلك التميز عن الغير بعبقرية جمعت العديد من الحقول و المعارف.

ان الأمير عبد القادر قد عب من العلوم النقلية الكلاسيكية في صغره ما شاء الله له ...ثم زاد على ثروتها الهائلة من تجارب و خبرات من تجاربه الشخصية المكتسبة من الريف /البادية، وضيفا الى كل ذلك اعمال فكره و عقله المقلب و المحلل للأمور المشاهدة التي كان يعايشها يوميا في كل مكان ارتحل إليه أو عاش فيه .[93]

تجربة ثرية وغنية امتزج فيها التعلم والنشأة في حضن الزاوية القادرية و الارتماء في أحضان البيئة الريفية وما يتصل بها من حميد الأخلاق وصفاء الرؤية وجليل السلوكات مع قيادة مقاومة

---

[91] المرجع نفسه ،ص 156.

[92] المرجع نفسه ،ص 191.

[93] بشير بويجرة :جدلية العبقرية ،ص 25-26.

وطنية تجاوزت 17 سنة مع أكبر قوة استعمارية في ذلك الوقت 1830-1647،و مع معايشته لتجربة السجن و العزلة عن الوطن والأحباب و الأهل و الأصدقاء وكل ما يتركه السجن من انطباعات وما يورثم آلام ومعناة و الشعور بالغبن والحرقة والغبن ،ثم معاينته عن قرب سلوك الآخر المسيحي حياله و معرفته لتفاصيل و جزئيات دقيقة جدا عن عادات و تقاليد أهل الكتاب.[94] ان الأمير اذن لم يقلد الإمارة بالسيف أو باستعمال وسائل و إمكانيات تشتم من رائحة الضغط أو الفرض ، بل قلد ذلك تحت تأثير الإمكانيات والقدرات ،المتجلوزة حتى للعصر التي كان يميزها و المنهج العلمي الدقيق الذي كان يطبقه على شؤونه الشخصية أو شؤون الحياة العامة .[95]

- اتصف بأنه كان مجاهدا و مصلحا و عالما وفقيها و شاعرا ،و داعية دؤوبا للتآخي بين شعوب الشرق،و قد استقر في دمشق من عام 1856 الى عام وفاته 1883 ،أي 27 سنة و منذ قدومه إليها من اسطنبول تبوأ فيها مكانة تليق به كزعيم سياسي وأديب وشاعو، كانت شهرته قد سبقته الى دمشق فأخذ مكانته بين العلماء و الوجهاء ،فكانت له مشاركة بارزة في الحياة السياسية و العلمية ،قام بالتدريس في الجامع الأموي .

- لا شك أن البيئة الهلالية الزناتية التي نشأ فيها الأمير قد صاغت وجدانه و أورثته خصائص اعرابية سوف تطبع شعره و تحدد صبغة ذلك الشعر.[96]

---

[94] المرجع نفسه ،ص 47-48.

[95] المرجع نفسه ،ص 65.

[96] عشراتي سليمان: الأمير عبد القادر الشاعر، مدخل إلى تحليل الخطاب الشعري ، دار القدس العربي للنشر والتوزيع ، وهران،ص 45.

- ولذلك ستكون جهود حركة الاستيعاب و الإحياء التي كان الأمير في طليعة روادها بلا منازع مركزة على اعادة اللحمة بين التراث و المنتوج العصري .[97]

- كان عهد الامير (1830-1847) هو عهد انبعاث القوميات في أروبا، وكان أصحابها يطالبون بالاستقلال و الانعتاق مثل الصرب و اليونانيين و البلجكيين و البولنديين ،فكان القادة الفرنسيون في الجزائر يخشون أن تتجدر الفكرة القومية بين الجزائريين أيضا ،وتنتشر منهم الى البلدان المجاورة و تمد جسرا خطيرا نحو المشرق أيضا تماما كما يخشون و يعرقلون اليوم الصحوة الإسلامية .[98]

- إن الأمير ولد 1807، و البارودي ولد 1839،مما يدل على تقدم الأمير على البارودي في العمر وفي تجربة المقاومة و النضال و الحياة العسكرية و في تجربة الإبداع الشعري على الخصوص .

- إن الأمير ولد في الريف و تربى فيه مما صعب من مهمة تكوينه و تعلمه تكوينا و تعليما نظاميا حديثا ، كما شاءت الظروف والأقدار أن يفني أجمل أوقات شبابه في الحرب وفي المعارك حتى وصل الى السجن و المنفى دون أن يتمكن من صقل موهبته بالاحتكاك بأصول الشعرية العربية من أساتذة حداثيين و مراجع و دواوين لعيون الشعر العربي الفصيح نظرا لانتشار التعليم الديني الذي كانت تضمنه الزوايا.

- ان الأمير عبد القادر امتلك البطولة و الشجاعة من الريف الجزائري و من الطبيعة الجزائرية المكسوة جبالا و شعابا وصحارى، و زاد من تمسكه بها معاركه و حروبه وهو بعد

---

[97] المرجع نفسه ،ص 51.

[98] شارل هنري تشرشل: حياة الأمير،ص 10

شاب صغير يتجاوز سنه الاثنين والعشرين سنة مما يجعل قربه من صدق تجربته الشعرية في أغراضها و مبانيها بصنوتها العربية الكلاسيكية ألصق و أصدق من البارودي الذي بعد أن شب عن تربية الخدم و الحشم و المربيات في القصور التحق و سنه إحدى عشرة سنة بالمدرسة الحربية سنة 1850" [99]

- عاش الأمير زلزال الاحتلال بكل فداحاته وانهياراته ، ونهض بمهمة الجهاد على أقدر ما يكون بطولة واستماتة و عزما ،و فاعل المحتل المستعمر بسلاح النار و قاومه بالصبر، و نازله بالكلمة و الموثق، و هزمه حينا وانهزم أمامه حينا آخر ، و دارت المواجهة بين الجزائر التي كانت لا تملك من شروط المواجهة الا درعا عتيدا من الإيمان ، و الا أنفة ورثتها الأمة عن سلالة لا تقدس من قيم الحياة الا الحمية و الآباء و الشموخ، لم يشأ لشعر الأمير بأكثر مما يكون عاناه، فقد كانت رجولته الجزائرية تأبى بطبعها الشكوى .[100]

- وأن لشعره اعتبارات مختلفة و مضامين و دلالات خاصة و متميزة ترتبط بالعصر و بالمعرفية السائدة فيه و بالبعد الاستراتيجي الذي كان الأمير بدون شك، قد رسم ملامحه و أقر بفعاليته عن المدى القريب، في حالة الانتصار ، و البعيد في حالة الفشل ،يطمح إليه "[101]

- و في عصر الأمير كان الفرد الجزائري على موعد مع التجدد و الانبعاث الجذري في كثير من جوانب حياته ، فنهضة المير الجهادية استهدفت تصحيح عقارب الزمن يجعل الإنسان

---

[99] بشير بويجرة: الأمير عبد القادر، رائد الشعر العربي الحديث ،ص 193-194.

[100] عشراتي سليمان: الأمير عبد القادر الشاعر،ص 7-8.

[101] عشراتي سليمان: الأمير عبد القادر الشاعر ،ص 60.

الجزائري يغادر و بصورة نهائية محطة الخذلان المبين ، لكن قوة المستعمر الغاشمة أعاقت الانطلاقة و ارتدت بالمجتمع الأهلي إلى حال أسوأ مما كان عليه.[102]

- ومولد هذا القبيل في أحد أو اثنين وعشرين و مائتين و ألف ،و كان في مبدأ صباه يشب شبابا لم يشبه أهل زمانه ومنذ كان في حال طفولته يافعا يتخلق بالأخلاق الجميلة والأوصاف النبيلة الى أن عقد القوى فاستجمع خصال الكبار المكلفين من أحوال دينية كالمجاهدة في تعلم دعائم الإسلام من صلاة وصوم بعد الاطلاع على كلمتي التوحيد، و البحث عن دلائلها و مدلولاتها و عللها و معلولاتهما ،فنا بعد فن ،الى أن جمع من الفنون و العلوم ما شاء الله أن يجمع، فأخذ التفسير و الحديث و الفقه و النحو و أصول الدين و الفقه عن والده وهو أخذ عن محط العلم و أهله: القاهرة المحروسة بأزهرها من الأجهوريين واللقانيين كشمس الدين اللقاني و ناصر الدين و الشيخ إبراهيم و كالشيخ أحمد و الشيخ عبد الرحمن الأجموري وكاهل القرافة الكبرى وأخذ أيضا النحو و جوهرة البيان و المنطق عن بعض علماء وهران كالسيد مصطفى بن الهاشمي ، و الشيخ محمد بن نقريد.[103]

- و أما حدته ،و نجدته و نجابته و حذاقته و رزانته و حسن رأيه و تدبيرهو ميزان أقواله وأفعاله وترتيبها فيما يناسب الناس خاصة و عامة و يليق بمنازلهم كبارا و صغارا ومواساة و معاملة و إحسانا بطيب القولو لين الكلام و الجناب و خفض الجناح وحسن الأدب وسائر الخصال التي يتمتع بها من نشأ من مثل زاويته ،وحاز زيادة على ذلك من آداب الفروسية

---

[102] المرجع نفسه ،ص 40.

[103] محمد الصغير بناني وآخرون: مذكرات الأمير عبد القادر، نبذة عن حياته ،شركة الأمكنة للطباعة والنشر والتوزيع برج الكيفان،الجزائر،ط1998،3ص48-49

و الشجاعة الأنيسة ما تنزل من المدائح المسطرة منزلة التاج من الاكليل و الغرة عن أي التنزيل. ولو تتبعنا ما وصف به ووالده و سلفه و ما عد من ثناء الناس في القديم والحديث لملأ الأرض وفات الطول والعرض وضاقت عن فحواه الطروس و تصلصلت بالعجز عن العد الجروس و منذ بدأ سنا شرخ شبابه وغده خير من الأمس ،ولا عدله من مآثره قمر ولا شمس كيف لا؟ والأول يفتتح في حد ذاته ويختتم بالنقص و الثانية تدانيه في محو الكسوف و الأفول و الرقص.[104]

- وهكذا قرأ هذا الطالب الشغوف المتحمس أعمال أفلاطون،وفيتاغورس، و أرسطو ودرس كتابات مشاهير المؤلفين من عهود الخلافة العربية عن التاريخ القديمو الحديث وعن الفلسفة والغة والفلك،والجغرافية،بل حتى عن الطب ،وقد تجمعت لديه مكتبة ضخمة ،و كانت أرواح النبوغ ترفرف حوله.[105]

- اعتمد الأمير على نفوذه الروحي و عائلته الارستقراطية لدى قبيلة الحشم لمد نفوذه لغيرها من القبائل المبايعة له و الموالية . وهو يمثل المستقبل صحيح أن ظهور الأمير يعبر عن عهد جديد يفضل أصحابه المقاومة على الاستسلام و يؤثرون الجهاد على القعود .[106]

- في جميع رسائله جملة ولا زلنا على العهد و الوفاء و المودة و الميثاق.

- وعندما تنتشر الذكريات و السير في هذا الصدد فإن سيرة الأمير عبد القادر ترتسم كنموذج باهر لسير قادة المعارك و النضال ضد الاستعمار الفرنسي،لقد كان الأمير بطلا قوميا و كان راسم الخطط العسكرية الأولى لمحاربة الاستعمار وواضع الفكرة الأساسية في أن إزالة

---

[104] المرجع نفسه ،ص 61-62-63.

[105] شارل هنري تشرشل :حياة الأمير عبد القادر،ترجمة وتعليق أبو القاسم سعد الله،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر،1986ص 71-72.

[106] دراسات الامير عبد القادر مع الجنرال،ص10.

الاستعمار لا تكون إلا بحد السيف أو في ظل البندقية ،فلا غرور بعدئذ أن تندلع أفكاره في ذاكرة كل محارب و كل شاعر باعتباره المجاهد الأول ضد فرنسا ،و قائد الحرب التي تواصلت في الأحفاد.[107]

- لقن قاضي أرزيو التلميذ عبد القادر بصبر و أناة وبطرق تربوية فلسفية أفلاطون و المنطق الأرسطي ،و علم اللاهوت و الفلسفة الخاصتين بحجة الإسلام الإمام الغزالي في تربية الأولاد، و الفكر العربي و المغربي بصورة عامة وعالم الأعمال الأوروبي الذي كان يعرفه في أدق تفاصيله. ولهذا السبب فإن معلمه (أحمد بن طاهر) لم يهمل ،فوق ذلك تعليمه التاريخ و الجغرافيا. بل إن هذا التعليم كـــان بالنسبة إلى عبد القادر وسيلة لاكتشاف أوطـان و شعوب و ثقافات وحضارات .[108]

- إن الشاب عبد القادر كان يعيش تخمة معرفية مزودة برصيد تجاربي وعلمي جعله يتفوق على جنرالات فرنسا وخريجي مدارسها العليا أكاديمياتها و يهزمهم هزائم عسكرية وسياسية في عدة معارك و أن يقف معهم الند بالند في مناقشة المعاهدات ،الشيء الذي أكسبه تجربة جديدة زادته ثقة في النفس و في المصير الذي قدر أن يكون فيه الشعر عند الأمير و في هذا الوقت و في هذه الظروف بالذات قد ينزاح عن عطائه الجمالي الفردي أو الأدبي الفني المحض نحو لبوس آخر يتسم بالمسح الإستراتيجية الموحية بالانتماء الى العروبة التي ديوانها الشعر.[109]

---

[107] محمد صالح الجابري : الأدب الجزائري م. ص82.

[108] قدور محصاجي: شباب الأمير عبد القادر ترجمة مختار محصاجي، ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر 2007م،ص71

[109] بشير بويجرة: (الأمير عبد القادر).ص41-42.

- كما أن الأمير يعرف جيدا ويؤمن أن بناء الدولة الحديثة و الأمة القوية يبدأ أولا و قبل كل شيء برص وحدة الصف و الحفاظ على القيم التي تصب في تماسك هوية الوطن وفي لملمة شتاته و ترسيخ إيديولوجية موحدة حول رمز من رموزه و قائد من قاداته.[110]

- الامير لم يبق القول الشعري في مجال التعبير عن الهموم الذاتية المحض بل زوده بمحمولات ايديولوجية و إستراتيجية تجاوزت به المفهوم الكلاسيكي للشعر نحو مفهوم جديد له يتماشى مع مقتضيات الحال ومستجدات العصر.[111]

- الشعر عند الأمير لم ينحصر دوره ،كما أشرت في الأغراض و المحمولات العاطفية المبتذلة ،بل أعطاه هوية أخرى أراها ممثلة في التخمة الإيديولوجية و الملمح الاستراتيجي،لأن دوافع نظمه له لم تكن عن غريزة عشقية أو تشبيبية أو غرامية أو اعتزاز بالنفس كما هي حال و عادة الشعراء عبر مختلف العصور،و ذلك بسبب ثقافته الدينية و مركزه الاجتماعي .[112]

- وقد يمكننا حوصلة إشكالية بناء شخصية الأمير و ترسيم شخصيته عبر أربعة ارتكازات أولهما ؛ ولادته في أسرة شريفة و متمكنة من ناصية العلوم الشرعية و منتسبة إلى طريقة صوفية –القادرية- و مؤسسة لمعهد القيطنة الشرعي ،و ثانيهما ؛ حيازته على ملكة التفوق و الذكاء و الكمال الجسماني ،و الاعتزاز والأنفة و الذود عن الحياض ،و ثالث

---

[110] المرجع نفسه، .ص 41-42.

[111] المرجع نفسه ،ص 66.

[112] المرجع نفسه ،ص70.

الارتكازات،اشعاع كل ذلك بالاطلاع عن تجارب الامم و الشعوب اما بصفة مباشرة مثل رحلاته المختلفة للحج مع أبيه أو بمفرده.[113]

- إن الأمير كان يرى الشعب من متممات شخصيته ووسام إنسانيته ورمز و رقة ذوقه من أهم مميزات شخصيته التي تفرد بها عن غيره من العظماء هو جمعه في معاملاته وسلوكاته بين القوة واللين بين الشجاعة و التروي بين الإقدام و حسن التقدير بين الغلظة و القتل داخل رحى المعارك والرحمة والشفقة خارجها.[114]

- بهذا نجد أن كل الدراسات النقدية التي تعالج النص الشعري الحديث رأت بأنه كان قد مر بمرحلة قبل الحداثة تسمى مرحلة الإحياء التي كان يتزعمها الشاعر محمد سامي البارودي.[115]

- وفي خضم هذا الجدب وتحت ظلال هذه القساوة في المعيش وسط عمق الريف في منطقة "القيطنة " ولد الأمير عبد القادر في سنة 1807 ليتقاطع ذلك مع عنصرين أساسين هما ،قساوة البيئة وشدة العوز،ثم تملك الأمير لبوادر العبقرية وخصائص نفس تنتقد ذكاء وتوثب روح مجللة بالحياء و الكومن والذكاء و دقة الملاحظة ...

1- المستوى السياسي :يمكن القول بأن الوضع العام في الجزائر في فترة ما قبل 1830 لم يكن محكوما الى عمق سياسي موحد يعتمد على تفعيل المناطق و الجهات و دمجها في رؤية سياسية موحدة تضم الوطن كله ،بل كان الوضع يتسم بالنفوذ والمبادرات المرتبطة بأمزجة حكام المناطق

---

[113] بشير بويجرة: (الأمير عبد القادر) .ص 33.

[114] المرجع نفسه.ص 35.

[115] المرجع نفسه.ص 6

أو المدن و الحواضر أو الجهات ،مما ساعد على تفشي روح التواكل و تبعثر الجهود و ضعف البعد الاستراتيجي للدولة أو السلطة الموحدة في مواجهة تحديات المستعمر المتأهب على الأبواب .[116]

- كان من الطبيعي أن ينظم الأمير عبد القادر شعرا فيه الإساءة إلى سمعة فرنسا ومؤسساتها أو إلى الدين المسيحي أو يتجاوز أساليب اللياقة على الرغم من أنه كان يعرف بأن ما تقوم به الجيوش الفرنسية هو غزو صليبي و تجاوز صارخ للمبادئ الإنسانية لكنه لم شيئا من ذلك.[117]

- لم يأت شعر الأمير لإشباع غريزة أو لإطفاء نزوة ،بل كان ليرسم و يعاين حالات و أوضاعا تهيمن عليها السلبية و تطغى عليها التواكلية،قصد انجاز أوضاع أخرى قد تنقشع فيها ومن حولها غيوم السلبية لتتسلل من مسامها نسائم الحداثة و الجمالية ،حتى باتت قصائده كلها لا تترك شيئا ذا أهمية إلا وخاضت فيه وتناولته،ولعل أدلة ذلك نجدها في ديوانه الذي لا يخلوا من قصيدة واحدة من الإحالة على المناسبة التي قيلت فيها.[118]

- شاعرية الأمير وشعره يمثلان ،مقارنة مع ما كان متوفرا في عصره نقلة جادة ورؤية واعية بالميكانيزم الشعري ، وبفاعليته ضمن المنظمة المعرفية البانية لمقومات الشخصية الوطنية،والموجبة بضرورة ربط البوح الشعري بمسوغات العصر و المساوق لهذا البوح.[119]

---

[116] بشير بويجرة: (الأمير عبد القادر) ،ص 17-18.

[117] محمد بشير)،الامير عبد القادر،ص148.

[118] محمد بشير:الامير عبد القادر ،ص 152

[119] المرجع نفسه،ص177.

- إن الأمير لم يكن منغلقا على نفسه ومنقطعا عن الناس،بل كان منفتحا أشد الانفتاح على الناس وعلى العالم ربما سبب حب أبيه له لما توسمه فيه من ذكاء واتزان في الشخصية ورجاحة في العقل حتى كان يصطحبه معه في كل تحركاته ورحلاته.[120]

- الشاعر الجزائري الأمير عبد القادر قد ساهم بقسط وافر مد الجسور بين شعرية مغاربية كانت تنبثق من تحت رماد الشعرية العربية في المشرق التي كانت قد أفل نجمها منذ استيلاء المماليك العثمانيين على الحكم، شعرية عربية حديثة ومعاصرة قد تجلت بعض ملامحها، عند الأمير في امتلاكه الجرأة و الشجاعة على الإبداع الشعري في مضامين وقضايا مازالت حتى الآن تشكل المحنة العربية والهم الوطني.[121]

- كانت للأمير عبد القادر صلات دولية واسعة،مكثفة،ومتعددة ومتنوعة مع الكثير من سادة العالم، وقادته العسكريين و السياسيين و المفكرين ، و حظي بالتقدير و الإكبار من طرف الجميع بفضل مواقفه البطولية الخالدة في الحرب، والسلم وسعة إطلاعه وتفهمه للمشاكل وعمق ثقافته وتفكيره ، وبعد نظره في القضايا والأبعاد السياسية و العسكرية.[122]

- إن دوره كما هو معروف لدى الخاص و العام ليس له مضاه في أخبار الرجال العظماء غير العاديين لظهوره المفاجئ غير المتوقع ، ولتنوع مراحله و غرابتها ولأطوار تطوره غير المنتظرة فكم يكن هناك دور أكثر نموذجية للغز الوجود الإنساني والأكثر تعبيرا.[123]

---

[120] محمد بشير:الامير عبد القادر ،ص 182

[121] المرجع نفسه ،ص191.

[122] أبو القاسم سعد الله:تاريخ الجزائر الثقافي،ج1500،2-1830هـ ،دار الغرب الإسلامي ط1998،1،ص 231.

[123] شارل هنري تشرشل:حياة الأمير ،ص371-372

- أن الأمير عبد القادر هو الأمير بل السلطان كما تنعته الجماهير الجزائرية و مناقبه و خصاله في الميدان الحربي عديدة يعرفها كل من اعتنى - ولو قليلا- بتاريخ الجزائر ، كما أن خاصة الناس من المثقفين يذكرونه كأديب أو فقيه أو شاعر أو صوفي حسب تكوينهم وهواهم،ولكن على المثقف الباحث أن يتحاشى هذه النعوث القاطعة وهذه الهالة التي وضعت حول شخص وشخصية بطلنا ابن محي الدين من كلتا اليدين: يد المستعمر الغاشم لتخفية مناقبه ومزاياه فراحت تخيط حوله حلة تتفق ومساعيها و نواياها ،ويد شعبنا المنكمش على نفسه أيام المحنة لتنقل إلى الأجيال الآتية صورة عن – رجل عبقري - حسب تعبير أحد أعدائه –الجنرال بيجو- فساهمت هي الأخرى وأطنبت في تعداد خصاله، فأصبح بحكم الضرورة محل النقاش و الغلو.[124]

- روحه الدينية التي نعثر عليها في جميع الأغراض الأدبية التي تعرض إليها لأننا نلمسها حتى في غزله لأن هناك ما يكفينا دليلا على ما نقول كما أن تصوفه ولو كان مستوحى من لدن محي الدين بن عربي بصفة عامة وفتوحاته الملكية بصفة لا يخلو من هذه الروح الإسلامية التي قيدت "شطحاته" وعلقت اندفاعاته وأبقته متمسكا بمالكيته في سلوكه ومعاملاته رغم ما أبداه من أفكار صوفية تكاد تتنافى ومبادئ الإسلام الحنيف إلا أن تكوينه التقليدي من حفظ قرآن واستظهار أشعار لعنترة و أبي فراس الحمداني والمعري و إلمام بفلسفة اليونان عامة وفلسفة أرسطو بصفة خاصة عن طريق أبي علي بن سينا.ومطالعة الأمهات من الكتب الأدبية و التاريخية و الفقهية التي وصلته أو اطلع عليها بالمشرق عندما حج البقاع المقدسة لأول مرة بمرافقة

[124] عبد القادر بن حراث: الأمير عبد القادر الرجل مساره ومؤلفاته،جوانب من شخصية الأمير من خلال مؤلفاته الأدبية،مؤسسة الأمير عبد القادر، 2001. ،ص6.

أبيه محي الدين هذا علاوة على تدقيقه لكل من موطأ مالك و صحيح سيدي بخاري .كما كان يقال بشمال إفريقيا.[125]

- - وهو إذ يحي بذلك تقاليد عريقة في آدابها العربية الإسلامية مما سنة أبوتمام في بديعة و أبوفراس في"رومياته" وابن جبير في رحلته يسهم في إثراء الأدب الحديث الذي أنتجه العصر الحديث عصر النهضة ويهدف إلى ما تهدف إليه جميعا من ثبات في الصراع القائم مع الخصوم وجمع بين المشرق و المغرب وحرص على إبقاء الكلمة العربية مسموعة بين الكلمات "[126] فقد تجلت سبالة الأمير الحربية و مواهبه العسكرية في معاركه الثلاث: خنق النطاح الأولى وخنق النطاح الثانية،وبرج رأس العين،وتم له الانتصار فيها، وذكرها في قصيدته (شددت عليه شدة هاشمية) مطلعها:

توشد بمهد الأمن قد مرت النوى وزال لغوب السير من مشهد الثوى[127] فمن ألقاب الأمير نجدأمير المِؤمنين : اللقب أسبغه عليه والده عند مبايعته البيعة الولى الخاصة.

1)ناصر الدين و الأمين: هو اللقب الأكثر شهرة ، عرف به، وبقي يلازمه طيلة حياته.

2)الجزائري: نسبة إلى وطنه الجزائر، وكان الأمير هذا اللقب، خصوصا بعد نفيه عن بلاده

---

[125]عبد القادر بن حراث: الأمير عبد القادر الرجل مساره ومؤلفاته ،ص 7-8.

[126] مذكرات الأمير ع.محمد الصغير بناني وآخرون،ص27.

[127] ديوان الأمير، ص52.

3)إبن الراشدي وإبن خلاد:هما لقبان لقب بهما نفسه في قصيدة من قصائده الفخرية (شددت عليه شدتها هاشمية)« يبدو أنه من مفارقات الصدق أن تكون حياة الشيخ الأكبر ومريدة الأكبر متشابهة إلى درجة كبيرة جدا، فمن أوجه التشابه التاريخية والجغرافية،والفكرية و النفسية:

1- مجيئهما إلى ديار المشرق، فالشيخ الأكبر محي الدين بن عربي كما مر بنا سابقا أندلسي الأصل .لذايمكن اعتباره بحق "سفير الأندلس إلى المشرق" أما الأمير فهو جزائري الأصل .وقد اعتبر بحق "سفير الغرب الى لمشرق".

2-استقرارها النهائي في مدينة دمشق،ووفاتهما بها،ودفنهما عند سفح جبل قاسيون في الحي المعروف اليوم باسم "الصالحية"

3- لم يعد ابن عربي إلى موطنه الأصلي. ألأندلس منذ أن غادرها عام 598هـ/1201م لتأدية فريضة الحج في الديار المقدسة. وكذلك الأمر بالنسبة إلى الأمير عبد القادر.

فإنه لم يعد إلى موطنه الأصلي الجزائر،منذ أن غادرها مكرها عام 1847/1264م إثر استسلامه للفرنسيين.

4- الفترة الزمنية الطويلة التي استغرقها كل منهما في تأليف مصنفه الصوفي الشهير كما أن التأليف كان خارج أرض الوطن...

"كما أن "مسألة البحث في تحديد مفهوم الدولة الوطنية وأصالتها في الفكر العربي الإسلامي عموما،وفي فكر الأمير عبد القادر خصوصا تعد من بين أهم المسائل التي شكلت انشطارا وانشقاقا في الفكر الإصلاحي ذاته نتيجة الاختلاف حول المفاهيم الأساسية التي امتدت صيرورتها التاريخية منذ فترة زمنية طويلة حيث أن تحديد المفاهيم التي تأسست عليها النهضة كانت محور اختلاف المفكرين و الباحثين ،هل يمكن إرجاع النهضة للإصلاح الاجتماعي و السياسي أو كليما أو الإصلاح الاقتصادي و الثقافي.[128]

- فمن صفاته حاجياته نجد—بندقي التونسية الطويلة ، مرصعة بالفضة .أما مسدسه فكان مرصعا بالجواهر، وكان لسيفه الدمشقي غمد من فضة".[129]

- - نجد أن الحكومة التركية عندما أفرجت عن والده، وأذنت له بأداء فريضة الحج[130] عام 124-هـ/1825م... إصطحب معه دون سائر إخوته ، نظرا لما يتسم به من نباهة وفطنة، إلى جانب معارفه الواسعة،وشجاعته الحكيمة ، فقد أتاحت هذه المرحلة المشرقية للأمير الفتق فرصة الإطلاع على أوضاع البلاد العربية وسير حياتها في الحكم و الإدارة و مختلف الميادين السياسية و الاجتماعية و المعمارية ." ودرس كتابات مشاهير المؤلفين من عهود الخلافة العربية عن التاريخ القديم والحديث و تعمق في دراسة الفقه،والحديث و الجغرافيا، والفلك،وفنون اللفة و البلاغةو الأصول وعلم الكلام" [131]

---

[128] فؤاد صالح السيد: الأمير عبد القادر متصوفا ص 171-172

[129] مجلة دراسات ،العدد الأول ،رقم01.

[130] فؤاد صالح السيد : الأمير عبد القادر متصوفا ،ص 36.

[131] المرجع نفسه ،ص 44.

- ومن دايات الجزائر الذين عاصروا الأمير عبد القادر الجزائري : عهد الدايات:1801

- 1246هـ/1671/1830م

-أحمد باشا 1220-1223هـ/1805-1808م

-علي باشا الغسال 1223-1224هـ/1808-1809م

-الحاج علي باشا 1224-1231هـ/1809-1815م

-عمر باشا 1230-1233هـ/1815-1817م

-علي خوجة 1233-1234هـ/1817-1818م

-حسين باشا 1234-1246هـ/1818-1830م [132]

[132] المرجع نفسه ،ص46.

الفصل الثاني

حضور النص الغائب في أغراض الأمير عبد القادر الشعرية

1) المدح و الفخر وشعر المناسبات.

2) الوصف و الغزل والحكمة.

3) الزهد والحنين والاعتذار.

المدح و الفخر وشعر المناسبات: الأميرعبد القادر الجزائري صوت فذ من أصوات العروبية و الجهاد في القرن الثالث عشر الهجري – التاسع عشر ميلادي – فقد كانت سيرة حياته بخطوطها القريبة والبعيدة ترجمة آمنية لتآلف الوجدان العربي، مشرقة و مغربة ،وشوقه للخلاصة من سطو الجهل و الخرافة وعبادة الذات القبلية. "ان الديوان عبارة عن منتجات شعرية كما هو معنون على غلافه باللغة الفرنسية في طبعاته الثلاث للدكتور المحقق ممدوح حقي poèmes choisies أي "قصائد مختارة " ، وعلى كل حال فإن الباقي من شعر الأمير كاف ليعطينا صورة واضحة عن قيمة الأمير الأدبية ،و قوته الشعرية، ومقدرته الفنية في الفخر و الحماسة ،و المدح والتغزل و التصوف و غيرها " [133] و التأمل في دفتر هذه الحياة يعجب و يتساءل كيف حفلت حياة واحدة بما يمكن أن تحفل به حيوات أخرى و عدة؟

و كيف اتسعت لكل تلك الحوادث المتباينة الشؤون و الشجون؟ و كيف نظم في سلك واحد بين الإمرة و الفقه و الجهاد و الشعر." فمن الآثار النثرية : وشاح الكاتب و زينة العسكر المحمدي الغالب: رسالة في فنون الحرب ، تتضمن ملخص الأنظمةو القوانين العسكرية ،و أنواع الكافآت والعقوبات التي سنها الأمير لجيشه الفني و تدل الرسالة على ما كان للأمير من بعد النظر ، و ثاقب الرأي في أمور الحرب ، ونظام الجيوش ، مع حداثة عهده بالحرب "[134] و هذا ما يدل على دلالة تلك الشخصية الثرية التي جمعت في اهابها ألوانا من المكرمات، ومنحت عصرها كثيرا من التجليات ، بحيث يضم ديوانه كل شعره بما في ذلك أشعاره في

[133] فؤاد صالح السيد: الأمير عبد القادر متصوفاوشاعرا ،المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر،1986،ط1،ص 92

[134] المرجع نفسه.ص 93

المواقف و التصوف والوعظ و الإرشاد و المذكرات " المقراض الحاد لقطع لسان الطاعن في دين الإسلام من أهل الباطل و الإلحاد : رسالة رد بها الطاعنين في دين الإسلام ممن عموا عن فضائله و تشبتوا بما ليس منه في شيء من بدع المارقين و أهل النفاق " [135] و هذا ما يوضح أن الجزائر الثقافية ممتدة الجذور في الماضي و هذا من أسباب المعاصرة و معانقة الأصالة بالآنية .

و من آثاره الشعرية نجدها تقسم الى قسمين: "

1- **الديوان:** و هو أكبر آثاره الشعرية، و هذا الديوان كما سنرى في حينه لم ينظم في فترة زمنية معينة، و لا في بقعة جغرافية ، بل نظم على فترات متقطعة، ،فقد رافق حياة الأمير منذ شبابه في أرض الجزائر إلى وفاته في دمشق .

2- القصائد الشعرية الواردة في مقدمة كتابه الصوفي الشهير ، المعروف باسم "المواقف" وقد ورد بعض هذه القصائد –وهو القسم الأول- في الديوان." [136]

لم ينل الأمير عبد القادر ، فخر الأجيال الجزائرية بالانتساب إليها فحسب ولكنه أيضا حصل على إعجاب معاصريه ، ومنهم قادة و ملوك الدولة الكبرى آنذاك و مفكروا و أدباء عصره ، كما نال احترام العامة، و ذلك لقوة شخصيته و تفردها ، و تميزها بعدة خصال قلما اجتمعت في غيره. "فالديوان رتب ترتيبا موضوعيا ،تبعا لموضوعاته وفنونه، لا ترتيبا تاريخيا ،حسب تاريخ نظم القصائد ،أو ترتيبا ألفبائيا حسب حرف الروي ..." [137] وهو ذو النسب

---

[135] فؤاد صالح السيد :الأمير عبد القادر متصوفاوشاعرا.ص 95.

[136] المرجع نفسه.ص 88.

[137] المرجع نفسه.ص 90.

الشريف ، السند القوي ، المجير الأمين الباذل المغيث سيد الأسياد وقائد القواد ،وعارف العرفان ،وإمام الائمة، و أديب الأدباء ، بحيث حرصت اسرته على تكوين شخصيته تكوينا حربيا و سياسيا ، و عاطفيا و أدبيا ،فكان مثلما تشغل باله أمهات الكتب التراثية ،فكذلك قد كانت تشغل باله مصانع البارود و الأسلحة ، و مصانع العملة الوطنية و إنشاء المدارس و المراكز التعليمية ." فان أقدم قصيدة مؤرخة في الديوان هي قصيدة " شددت عليه شدة هاشمية" و مطلعها :

توسد بمهاد الأمن قد مرت النوى ❁ وزال لغوب السير من مشهد الثرى .

المؤرخة سنة 1247 هـ-1832م." [138] فمن أهم المصادر التي أسهمت في تكوين شخصية الأمير عبد القادر العلمية خصوصا جانبها العقائدي ، المصادر التالية: الشفا للقاضي عياض، و كتاب الإحياء للإمام الغزالي ، و الرسالة للإمام محمد بن ابي زيد القيرواني، والملل و النحل للشهرستاني ،و الفتوحات المكية، وفصوص الحكم،و ترجمان الأشواق لمحي الدين بن عربي، و تهذيب الاخوان لابن مسكويه فالنصوص تتوزع مصادرها المتنوعة على ذاكرة واسعة يتداخل فيها العربي بالأجنبي ،القديم بالحديث ، العلمي بالأسطوري،الشعبي بالأكاديمي بالتالي رصد النص الغائب و تحديده إلى مهمة صعبة،لذا كل نص شعري هو تركيب معقد لنصوص كثيرة و متنوعة ، وهو قراءة و إعادة كتابة لها من خلال نموذج فكري ، و جمالي معين لان النص الغائب في حد ذاته هو مجموع النصوص التي ساهمت في حضور النص الحاضر تعمل على

[138] فؤاد صالح السيد :الأمير عبد القادر متصوفاوشاعرا ص 91.

تحقيق النص و تشكل دلالته، ومن ثم تتعطل عملية فهم استيعاب النص (الدلالة الغامضة فيه).

" فلعل طبيعة الإعمال الشعرية المطبوعة في القرن التاسع عشر تحملنا على الاعتقاد بأن الناشرين في الأغلب الأعم، كانوا يراعون أذواق الفئات المتلقية للشعر ،ولم يكنوا يصدرون عن ذوق الطليعة أو ذوقهم الشخصي وحسب، مع تسليمنا باختلاف أذواق الناشرين أنفسهم "[139].

نجد القديم و الجديد لغة لفظتان،قديما قدم اللغة نفسها ،لكن مفهوم القديم و الجديد أدبيا مفهوم حديث ظهر بفعل التطور الأدبي لبذي عرفته حقبة معينة من تاريخ الأدب العربي الحديث ، ثقافي و فكري أي الصراع بين ذاتية الفكر و موضوعيته ، أي بين القومي و العالمي .حضاري تجلى في الصراع بين الحضارة الشرقية في أخلاقها و قيمها ، ومحور سياسي تجلى في الصراع بين القوى الوطنية أو القومية ، وبين القوى الاستعمارية الغربية في المجال السياسي . ومحور اجتماعي تجلى في التناقضات التي زخرت بها فترات المخاض الاجتماعي بعد دخول المجتمع العربي غمار التحديث و التنمية الاجتماعية .

" لهذا حظى الشعر في بداية مرحلة بعث التراث باهتمام بارز، و ذلك لعراقته في البيئة العربية ، ولأصالته في حضارتها و لأن النثر لم يكن يحظى بالاهتمام الذي كان يحظى به الشعر في التراث القديم .." [140] ولهذا نجد الانكباب على التراث القديم بتحقيق مخطوطاته ونشرها

---

[139] ابراهيم السعافين:مدرسة الإحياءو التراث،ص41.

[140] المرجع نفسه ص .78

نشرا علميا ييسر على القارئء الانتفاع بها من غير جهد ،فمن بين ما يؤكد إحياء الشعر العربي القديم.

-نشر الدواوين المخطوطة وتحقيقها وشرح الغريب فيها و تزويدها بالملاحظات و الهوامش.

-مجاراة هذا الشعر ونظم قصائد على منواله لإقناع الناس الذين كادوا يظنون أن الشعر العربي قد ولى عهده الزاهر ومضى إلى غير رجوع.

-وجود نص غائب أو مواز إلى جانب النص الشعري يسمى عند علماء النص في العصر الحديث (تناص) أو ضرب من تداخل النصوص .

-بهذا نستخلص أن لكل مذهب أدبي ،ولكل طريقة فنية،جانبا يتعلق بوسائل الأداء وجانب يعكس ذات المبدع وهموم بيئته و انتقائية الروافد الثقافية تتوازى انتقائية العناصر المكونة لمفهوم الحداثة أو النهضة . والتأثر بالتراث نوع من التفاوت يتراوح بين الضعف و القوة ، والتمثل المتصل بالنسيج و المصل بالمعاني و الصور. فالشاعر يستحضر المعنى و النص و يتمثل النسيج برمته ولكن بتغيير جديد من دون تنصل الموروث ،لهذا الشعر هو لسان المجتمع و الأمة و المعبر عن جوهر الشعب و حقيقة الحياة وآلام و أحلام الناس.

" لقد اشتهر الأمير عبد القادر الجزائري في بلاده بنزعته البطولية و الحماسي و النضالية ضد الغزو الفرنسي لأرض الوطن ، فعرفه أهل الجزائر مناضلا وطنيا ، وبطلا صنديدا ومقاتلا شجاعا، قاوم الجيوش الفرنسية النظامية ، المدربة أحسن تدريب ،و المجهزة بأحسن وسائل التجهيز العسكري و الحربي ، في ذلك الوقت ، فأظهر صلابة قوية و خبرة عسكرية مع حداثة

عهده بالحرب." [141] كما تعد البيئة الاجتماعية و الجغرافية التي نشأ فيها ، بالإضافة إلى مؤثرات روح القرن التاسع عشر (19) من ضمن أهم المصادر الأساسية التي عملت على صقل وعيه المعرفي،و رسمت معالم سيرته، و شخصيته الثقافية على الرغم من نفيه."

نفي خارج الوطن، وأمضى بقية عمره منفيا في دمشق ،فتابع في تثقيف نفسه في العلوم الدينية والدنيوية، وجالس العلماء و الفقهاء، ورجال الشريعة و الحقيقة و أخذ عنهم الشيء للكثير فأضاف كل ذلك إلى ثقافته و خبرته في الحياة العملية،فتوسعت آفاق معرفته ، وازدادت نموا و علوا." بهذا شغل منزلة رفيعة بين قادة و مشاهير،و هذا ما جذب غليه أنظار الشرق و الغرب[142]، وحظي بمحبة الناس في الشرق و الغرب، وبذلك يعتبر الشخصية الأكثر احتراما ، وشهرة طوال القرن التاسع عشر ، و قد ساعده على تبوء هذه المنزلة العالية خصاله الحميدة، و مواقفه الإنسانية النبيلة. "كان الشاعر كغيره كيانا مسحوقا ، يصارع من أجل كسب لقمة الحياة كل همه أن يحافظ على حيلته من الجوع فليس طبيعيا، و الحالة هذه أن يفتخر الشاعر مكابرا و نحن بطبيعة الحال لا نحجر على الشاعر أن يفتخر بموهبته على أسوأ تقدير ، غير أن ظروف الشاعر النفسية التي يشكلها كل ما يحيط به من وقائع و أحداث هي التي تحفزه إلى الفخر أو تقعد به عنه ." [143]

بهذا شغل مكانة عالية لا تقل رفعة و منزلة ضمن الشخصيات الثقافية المعاصرة له. "

لعل القصيدة العربية بعامة تفتقر إلى الوحدة العضوية ،ذلك أننا إذا طاعنا دواوين الشعراء في مختلف العصور لا نجد تماسكا واضحا بين أبيات القصيدة المختلفة ، وذلك راجع بطبيعة الحال

---

[141] فؤاد صالح السيد :الأمير عبد القادر متصوفا ،ص 10.

[142] فؤاد صالح السيد :الأمير عبد القادر متصوفاوشاعرا ،ص 93.

[143] المرجع نفسه ،ص 104.

إلى فهم الشعراء لبناء القصيدة ، فالقصيدة لا تقوم على وحدات فنية تلتقي معا على رسم صورة عامة للقصيدة ، وإنما تقوم على وحدة البيت ، فالبيت يشكل وحدة أساسية في القصيدة." فقد كان أحد المثقفين العرب البارزين في عهده، و أهم شخصية ثقافية عربية أثارت الجدل و الإعجاب، والتقدير و الاحترام على امتداد القرن التاسع عشر، إذ لم يعرف هذا القرن شخصية مثل شخصيته جمعت بين السيف و القلم ، و اللين و الحزم ، والعاطفة و العقل ، و الاطلاع على المعرفة التراثية و التطلع على امتلاك المعرفة المعاصرة و ما نبتدئ من ديوانه الفخر.

"كينونة الأمير كانت ممتلئة و متخمة بالأحداث و الوقائع ، ومعلوم عند المشتغلين على الحقول الأدبية ، أن مثل هذه الظاهرة تجعل الحقل الأدبي و جنسه المراد التعبيربه عن هذه التخمة أو هذا الشبع التجاربي قد يؤدي إلى نوع من اللاتوازن و يساهم في خلق تعون بين الشكل و المضمون." [144] وقد تنوعت الأغراض في شعره. أما الفخر عند الأمير فقد يحتاج منا إلى وقفة متأنية و رصينة بسبب كون الأمير صاحب ثقافة شرعية ويعرف جيدا أن الفخر هو ضرب من التفاخر و التعالي عن الغير و هي خلقة غير محمودة شرعا و خاصة عندما تكون من المفتخر بنفسه."[145] و من قصائده الفخرية :

لئن كان هذا الرسم يعطيك ظاهري ❁ فليس الرسم يريك صورتنا العظمى

فثم -وراء الرسم -شخص ❁ له همة تعلو بأخمصها النجما [146]

محجب ،

---

[144] بشير بويجرة الأمير عبد القادر، رائد الشعر العربي الحديث ،ص 79-80.

[145] المرجع نفسه،ص 81.

[146] العربي دحو،ديوان الشاعر الأمير عبد القادر-1807م،1883م ،جمع وتحقيق شرح وتقديم-ثالة-عاصمة الثقافة العربية،19981.ص 45.

أبونا رسول الله

أبونا رسول الله ،خير الورى طرا ❁ فمن في الورى يبغي يطاولنا قدرا

وبالله أضحى عزنا و جمالنا ❁ بتقوى وعلم والتزود للأخرى[147]

وهذا البيت له معنى في القرآن الكريم من الآية:" وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ" البقرة :197

"إن الأمير لم يكن في نيته انتاج نص شعري في الفخر يشيد بخصاله و بنسبه هو لذاته ان اتكاءه على غرض الفخر يدخل ضمن استراتيجية دعائية إعلامية – بحسب ما يتوفر في ذلك العصر- القصد منه تقديم نفسه للآخر الذي يجهل الأرض و الشعب اللذين قام بغزوهما فجأة، كما يقدم نفسه لأمته ولشيوخ القبائل الذين قد لا يعرفونه نظرا لحداثة سنه ولعدم بروزه قبل ذلك بأعمال تعرف به." [148] ومن قصائده في الفخر :

بنا افتخر الزمان

لنا في كل مكرمة مجال ❁ ومن فوق السماك لنا رجال...

فبالجد القديم علت قريش ❁ ومن فوق ذا طابت فعال.

و كان – دوام الدهر- ذكر ❁ بذا نطق الكتاب ولا يزال.[149]

ففي هذا البيت نجده استأنس **بقوله تعالى:**

---

[147]المرجع نفسه.ص 45

[148]بشير بويجرة: الأمير عبد القادر، رائد الشعر العربي الحديث ،ص83-84.

[149] العربي دحو:ديوان الشاعر الأمير عبد القادر ، ص 46.

" إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا " الأحزاب

لبيك تلمسان

إلى الصون مدت تلمسان يداها ❁ ولبت هذا حسن صوت نداها.

وقد رفعت عنها الإزار ،فلج به ❁ وبرد فؤادا،من زلال نداها.[150]

بي يحتمي جيشي

تسائلني أم البنين ،و إنها ❁ لأعلم من تحت السماء بأحوالي

اذا ما اشتكت خيلي الجراح ❁ أقول لها:سبرا كصبري و اجمالي.

تحمحما

و أبذل يوم الروع نفسا كريمة ❁ على أنها في السلم أغلى من الغالي.

وعني سلي جيش الفرنسي تعلمي ❁ بأن منایاهم بسيفي وعسالي.[151]

وفي هذه الأبيات نجد ما له صلة بقول عنترة العبسي:

فأزور من وقع القنا بلبنه ❁ . و شكا إلي بعبرة و تحمحم.

وقد استوحى منها كذلك قول عنترة أيضا:

---

[150] الأمير عبد القادر : الديوان ،ص 47.

[151] المصدر نفسه ،ص49.

هلا سألت الخير يا ابنة مالك ❁ ـ إن كنت جاهلة بما لم تعلمي.

يخبرك من شهد الوقيعة أنني ❁ أغش الوغى واعف عند المغنم.

" الفخر في شعر الأمير يماثل تماما الشعر الوطني الآن الذي يفتخر فيه الشاعر بمناقب وطنه و بمفاخر أساطين أمته و العادات و التقاليد الانسانية التي يتمسك بها سكان هذا الوطن الذين يفاخر بهم ومن أجلهم."[152] " فالفخر سرعان ما تتحول أريحته إلى هيام بالمرأة والى شموخ بالشمائل حيالها، والغزل لا يلبث أن يتحول الى فخر يستعرض مآثر الذات و خصالها ، و التواجد الصوفي ما يبرح أن يغدو أنشودة وجد متولهة بمفاتن الحبيب و جمال خلقته." [153] ومما قاله في الفخر كذلك :

ما في البداوة عيب

يا عاذرا لامرئ قد هام في الحضر ❁ وعاذلا لمحب البدو و الفقر

نحن الملوك فلا تعدل بنا أحدا ❁ و أي عيش لمن قد بات في خفر ؟ [154]!

ولعل هدا البيت فيه فيه بعض ما في قول الزبرقان من بدر " نحن الكرام فلا حي يعادلنا ".

---

[152] بشير بويجرة: الأمير عبد القادر، رائد الشعر العربي الحديث ،ص 89.

[153]عشراتي سليمان: الأمير عبد القادر الشاعر، مدخل إلى تحليل الخطاب الشعري.ص 62.

[154] الأمير عبد القادر : الديوان ، ص51 .

شددت عليه شد هاشمية.

توسد بمهد الأمن قد مرت النوى ❁ وزال لغوب السير من مشهد الثوى

وحل بكهف لا يرام جنابه ❁ فمن حل فيه مثل من حل في طوى

لذاك عروس الملك كانت خطيبتي ❁ كفجأة موسى بالنبوة في طوى .

وقد علمتني خير كفء لوصلها ❁ وكم رد عنها خاطب بالهوى [155]

بيوم قضى نحا أخي فارتقى الي ❁ جنان له فيها نبي الرضا أوى

فنجد في أبياته استحضار للنص الغائب مثلا كلمة طوى :هي الجبل الذي نزل به النبي موسى عليه السلام وقد ورد في قوله تعالى " فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى " طه :12 كذلك في قوله (بيوم قضى) فيه معنى من قوله تعالى :"(مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا " الأحزاب: 23 وفي قوله عن الملك بذهب غلى أنه تفاجأ بالإمارة كما تفاجأ موسى عليه السلام بالنبوة في الوادي المقدس.

بل نرى أن أشعار الأمير في قصائده الفخرية على الخصوص قد حددت بوضوح كبير الصفات التي جبلت عليها شخصيته فقد رأينا التنويه يتواتر في تلك القصائد بنعوت بعينها لا نحسب الا أنها هي النعوت التي كان يعتد بها الأمير ،وربما كانت قصيدته " لنا في كل مكرمة مجال .. هي إلا حفل بالقيم الافتخارية و الأكثر إعرابا عن أريحية الأمير ونفسيته و خصاله

[155] الأمير عبد القادر : الديوان ،ص 52-53-54.

..." [156] ،بهذا نجد أنه :" خرج الأمير بالشعر و أغراضه عن نطاقها العرفي واقتحم بها حدود المقاومة فالمدح لم يعد أنانية وتضخيما مبالغا فيه للذات ، والفخر لم يعد مكاثرة وعنتريات انفعاليته لا طائلة ورائها، و الفروسية لم تعد شموخا وتطاولا كاريكاتوريا على ابن العم أو ابن العشيرة و إنما أضحت تلك الأغراض جميعا حدثا قتاليا وفعلا بنائيا تواجه به الأمة شروطا قومية جديدة و مستلزمات حضارية طارئة وحاسمة "[157] بهذا نجد استحضار الأسماء المجيدة له له أثر معنوي فاعل،لأنه يقرن التابع باللاحق، ويعمل على الارتفاع بالخلق إلى درجة السلف من حيث ما ينتظر منه على مستوى معين ،و الشعرية تمارس فعلا و تعقد صلة القربى على المستوى الشعوري بين صانعي أمجاد الأمس و بين الجموع المبتلية بالعدوان اليوم.

تعد المدائح النبوية لازمة ثابتة من لوازم الشعر التقليدي في الشعر العربي الحديث فهو من فن التاريخ الشعري دليل على المحافظة عند الشاعر وتجمعت الخطوط وافترقت أو ذهبت مذاهب شتى في التصوير فلما قومت الحصيلة كان الرسول شخصية بطلة.و توارث الشعراء في أول هذه الفترة مدح النبي صلى عليه وسلم عن أسلافهم فأصبح الشاعر لا يعد شاعرا بحق إلا إذا مدح النبي بمناسبة وبغير مناسبة ، للتبرك ، وصار هذا تقليدا بقي مستمرا حتى العقد الخامس من هذا القرن ،حيث بدأ يتوارى قليلا ويغيب عن شعر كثير من الشعراء الذين مازالوا يمثلون المدرسة التقليدية رغم وجودهم وسط مدارس موغلة في التجديد.."

---

[156] عشراتي سليمان: الأمير عبد القادر الشاعر، مدخل إلى تحليل الخطاب الشعري ،ص 105.

[157] عشراتي سليمان:الأمير عبد القادر الشاعر، مدخل إلى تحليل الخطاب الشعري ع نفسه،ص10.

فمن المديح في ديوان الأمير نجد قصيد : يا أيها الريح.... فهي قطعة مدحية خالصة[158] يتركز القول فيها حول تعداد خصال الصحب والعصية والتبعة ، وهي من اللون التجنيدي وبث مشاعر الثبات : الباذلون نفوسهم .

يكفيهم شرفا و فخرا باقيا ❁ حمل اللواء الهاشمي الأطول.[159]

إن سياقها القائم على تعداد المكارم و المنجزات يدرجها ضمن سلك القصائد التجنيدية ، وتلك هي مرامي الشعر الامتدادي الجمعي ،اذ دوافعه تحقيق الحافزية وإدامة حيويتها ومن قصائد المدح نجد القصيدة الأولى في مدح مدينة (أطلون) وكيفية إكرامها ،ومرساها و مراكبها ومنزلتها من مدائن فرنسا. " أطلون:طولون Toulon" مدينة جنوب شرق باريس على بعد 840 كلم قاعدة بحرية و تجارية على ضفة البحر الأبيض المتوسط بها نزل مركب الأمير عندما حول اتجاهه وهو سائر من وهران الى المشرق .وقد رسمت في جميع المخطوط بألف قبل الطاء. ويبدو أن الأمير ورفاقه كانوا ينطقون بها أطلون لسماعهم لها في درج الكلام مصحوبة بأداة "a" الدالة على انتهاء الغابة Toulon à فظنوا أنها جزءا من الكلمة." [160]

في مدينة طولون

أطلون أغمرتنا بالبسط ❁ أنلتنا كرما بالفضل منفعم .

---

[158]أحمد قبش: تاريخ الشعر العربي الحديث، دار الجيل، بيروت،د ط،دت ،ص35.

[159] الأمير عبد القادر: الديوان ،ص.85.

[160] مذكرات الأمير ،ص 206.

أطلون طلت رفيعا شدت في غرق ❁ تعلو على غرف بالموج منتظم

أطلون قد علت الجبال منزلة ❁ يا حبذا الرفع مثوى كل منفعم.

"فنجد هذا يمدح أرضه بكثرة المياه للاتساع في الشرب و الطهارة و النقاوة ونحو ذلك ،وهذا بمدح أرضه بالبعد عن المياه كجود منابتها وصحة هوائها وذهاب الوخم منها.

وهذا يمدح أرضه بالسهولة ، بجودة المزارع فيها وكثرة ربيعها واتساع خيرها، وهذا يمدح أرضه لكونها جبالا لتمنعها،وعزة أهلها وحسن مائها وهوائها و قناعتها وغير ذلك. "

وقد مدح السلطان العثماني عبد المجيد الأول بثلاث قصائد مطلعها :

آمن من حمامة مكة

الحمد لله تعظيما واجلالا ❁ ما أقبل اليسر بعد العسر اقبالا...

لازال تخدمه نفسي و أمدحه ❁ مستغرق الدهر أبكارا و آصالا.[161]

فالبيت الأول معنى قوله تعالى :" **إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا** " الانشراح :05 والثاني له صلة بقوله سبحانه " وسبحوه بكرة وأصيلا" الأحزاب:42.

توسلات و دعاء

يا رب يا رب يا رب الأنام ❁ إليه مفزعنا سرا و اعلانا

[161]الأمير عبد القادر : الديوان ،ص 90-91.

يا ذا الجلال و ذا الإكرام مالكنا ❁ يا حي يا موليا فضلا و إحسانا

فانصره عزيزا لا نظير له ❁ حتى يزيد العدا :هما و أحزانا

والراكبون عتق الخيل ضامرة ❁ تخالها في مجال الحرب عقبانا

جيش إذا صاح صياح الحروب لهم ❁ طاروا إلى الموت فرسانا ورجلانا

وجهت وجهي أناني ما دعوت ❁ بأهل بدر حماة الدين أركانا.[162]

فنجد هنا استحضار قوله تعالى: "تبارك الله ذي الجلال والإكرام " الرحمن:78.

وقوله : "وينصرك الله نصرا عزيزا " الفتح: 3 وفي البيت الرابع نجد البيت على صلة ببيت أبي البقاء الرندي:

يا راكبين عتاق الخيل ضامرة ❁ كأنها في مجال السبق عقبان.

وفي البيت الخامس نجد المعنى مستمدا من قول قريط بن أنيف :

قوم اذا الشر أبدى ناجديه لهم ❁ طاروا اليه زرافات ووحدانا

ووجهت وجهي مأخوذ من قوله : "وجهت وجهي للذي فطر السموات و الأرض وما أنا من المشركين."

---

[162] المصدر نفسه،ص 92-93.

نعم الأكرمين.

ولم أرى أعظم من نعمة ❁ منحت ولم تك في حساب.

سأشكرها شكر وقت السرور ❁ وأذكرها ذكر وقت الشباب.[163]

بهذا أعد شعر الأمير ظاهرة فريدة تعتبر وترصد ما تتعاطاه اليوم تحت مصطلح (التناص)

.

إن على مستوى القيمات أو على مستوى البنيات ،حين تقع على الكثير من محاورات الأمير مع لوامع الشخصيات ..فقارئ شعر الأمير يتعامل مع تقاليد القصيدة العربية التقليدية، و يتفاعل مع قيمها ويتعاطى مبادءها من الشعر العتيق . وأشعاره هي تشكيل مفرد و منظومة متواشجة لأنها ارتبطت جميعا بذات مفردة و بتجربة واسعة .

شعر المناسبات: ان الدارس لديوان الأمير عبد القادر ،يلاحظ أول ما يلاحظ محدودية الرؤية التاريخية التي أنجز بها هذا الباحث عمله ، فقد خصص مساحة ضيقة و فير وافية بشرط الرؤية التاريخية للقصائد التي نظمها الديوان في بيان الوقائع التي دارت حولها تلك قيلت فيها.فمن شعر المناسبات نجد قصيدة (ما في البداوة عيب) التي نظمها بمناسبة إنشائه مدينة الخيام المتنقلة بحيث يقول فيها:

يا عاذرا لامرئ قد هام في الحضر وعادلا لمحب البدو و القفر .[164]

---

[163] الأمير عبد القادر : الديوان ،ص 94.

[164] الأمير عبد القادر : الديوان ،ص 50

وقصيدة ذات خلخال :

خليلي وافت منكم ذات خلخال ❁ تتيه على شمس الظهيرة بالخال.[165]

وقصيد: طال ليلي يا أحبائي:

يا سواد العين يا روح الجسد ❁ يا ربيع القلب يا نعم السند [166].

وقد نظمها بمناسبة فصل إخوته عنه وإرسالهم إلى سانت ماكريت.

ومن الواضح أن الإحالة الى المناسبات التي نظمت فيها تلك القصائد ،جاءت مختلفة لدى كل منهما . وهو ما يجعل القارئ و الدارس يفقد مرتكزا لا تستغني عنه أي مقاربة للشعر القديم.

فالشعر جمالية انطمست فيها مؤشرات المناسبة و المحددات التاريخية و تعمقت تعبيريتها الجمالية، بقدر ما ارتفعت قيمة شعريتها.

ظلت قراءة الشعر القديم تستمد من المناسبة التي قيلت فيها القصائد مرتكزا لمعرفة إشاراتها وفهم إفادتها . وشعر الأمير كان واجهة وخطابا يشكلان مصدرا أساسيا في بناء علاقات متعددة وثرية مع شريحة اجتماعية من الجزائر أو مع بعض الأعلام و الملوك و السلاطين في العالمين العربي و الإسلامي ، وتعدد أسفاره ،ولقاءات متعددة للرجالات الفاعلة في العصر، وإعجاب الكثير من طبقات النبلاء و الأمراء و الملوكك في فرنسا و في العالم الغربي،

---

[165] المصدر نفسه ،ص 62.

[166] المصدر نفسه،ص 79.

نجد ما ذكره (برونو ايتين) من أن الأمير كان له دور بارز في حفر قناة السويس وصاحبه (دي لسبس). وإسهامه مع (شارل هنري تشرتشل) في تغيير صورة الشرق عند الغربيين

"و لقد ساهمت هذه العلاقات في تبادل المجاملات أثناء المناسبات أو تبادل بعض الآراء في بعض القضايا التي كانت تشغل الرأي العام حينذاك أو في شكل أسئلة توجه للأمير تحت غطاء كثير من المقاصد ." [167] وهذا ما دفع بالأمير الى نظم مقاطع أو قصائد شعرية للرد أو للمساهمة في نقاش أو للتهنئة أو للتعبير عن اعجاب : مثلا قوله في قصيدة أهلا بالحبيب :

أهلا وسهلا بالحبيب القادم ❁ هذا النهار لدي خير مواسم. [168]

وقد استقبل بها محمد الشادلي القسنطيني. وقصيدة : متى ينقلب نحسي

أخي نلت الذي قد كنت تطلبه ❁ فزت دوني بما ترجو و ترغبه. [169]

وهي التي بعث بها الأمير إلى كاتبه (قدور بن روبلة) وهو في المدينة المنورة ، وغيرها من القصائد.

---

[167] بشير بويجرة: الأمير عبد القادر، رائد الشعر العربي الحديث ،ص 96.

[168] الأمير عبد القادر : الديوان ،ص 69.

[169] المصدر نفسه،ص 69.

2) الوصف والغزل والحكمة:

إن من يتأمل أشعار الأمير وتراثه الفكري ، لن تفوته الخلفية التعليمية التي أسس عليها الأمير ثقافته. فقد طفق الأمير في سائر ما كتب ونظم تقريبا يثير من المسائل القديمة والفكرية والكلامية و الفلسفية والمذهبية ما يؤكد ارتباطه الوثيق التراث.

وقد انتمى الأمير إلى القرن التاسع عشر، وهذا القرن موصول بعصر ما قبل النهضة العربية الحديثة على الرغم مما شهده ذلك العصر من أحداث هيأت إلى الذهاب نحو التغيير والتحول ، ومناهج التعليم التقليدي لتلك العهود ظلت تعتمد مادة التراث المعرفي كما توارثه الأجيال . وعند قراءتك لشعر الأمير ترى تأثره بالشعر العربي القديم جلي وملموس في الجملة، بل انك سترى التناص يتجلى مع قيم وصور وتقاليد خطابية جاهلية لا سيما ما تعلق منها بقيم الفروسية و النخوة والوصف والإشادة بجمال المرأة وبالبادية و فضائلها.

لقد استلهمت قصائد الأمير بعض أشعار عنترة وأضرابه من الشعراء الجاهليين واستحضرت مجد أولئك الشعراء في الإعراب عن الحب وإظهار شمائل العزة والكبرياء والفروسية." بل لقد استمد الأمير شيئا من خصائص الأدبية التراثية كما جسدتها تجارب الفحول من أمثال طرفة والنابغة والمتنبي والبحتري وأبي تمام وغيرهم" [170]وربما كانت ظاهرة الاقتباس جلية نصيا ومعنويا في عديد من قصائده، وهو ما دل على إحيائيته العملية في مضمار

[170] سليمان عشراتي :الأمير عبد القادر الشاعر ، ص: 108.

قول الشعر ونظمه. كما كانت ظاهرة التناص واضحة في شعره، وهي تعكس قراءة وتفاعل وتواصل ليس فقط بين الأمير وبين التراث العربي فحسب ، بل بينه وبين الإنتاج الشعري و الأدبي الذي عاصره كذلك.

نجد ما ميز الشعر الأمير بما يلي:" الشكل العمودي الذي استغل بجوره ونسج على منواله موضوعاته الشعرية المختلفة.

الأغراض الشعرية: إذ تعاطى المعهود من الألوان الشعرية الرئيسية التي تعاطاها الشعراء عبر العصور من فخر وغزل ووصف واخوانيات وما إلى ذلك.

والملاحظ أن الأمير لم ينظم في الرثاء، وذلك غرض كان يصرفه عنه، ولا شكمركزه كأمير للأمة وتصرفه عنه من جهة أخرى سيرته المتدينة والمستسلمة لقضاء الله وقدره .

الصورة الشعرية التي ظلت واقعية بيانية.

البنية الخطابية واعتماد المسكوكات التراثية أو الصوغ على غرارها." [171]

" نلاحظ أن معظم المضامين الشعرية توزعت على محاور كبرى يمكن حصرها في بعض هذه، دون أن ندعي لها الحصر و الشمولية و الإحاطة :

1- التغني بالثورة الجزائريةو تمجيد الشهداء.
2- التغني بما كان يطلق عليه على عهد الحزب الواحد: "الثورة الزراعية".

[171] سليمان عشراتي: الأمير عبد القادر الشاعر ، ص: 113-114.

3- التغني بالمكتسبات و

المبادئ الاشتراكية تكريسا للخطاب السياسي الذي كان سائدا في وسائل الإعلام الجزائرية .

4- التغني بالقضايا التحررية في العالم ...

5- مضامين ذاتية (الاغتراب، الإحساس بالإهمال، الانطواء على الذات) ؟

6- تمجيد الفقراء و العمال الكادحين

7- وصف رسيس الحب، والتغني بالجمال" [172]

وبهذا وجدنا في ديوان الأمير محورا قائما بذاته تدور فيه القصائد حول الفخر و الاعتدال والشهامة، وتلك نزعة إنسانية تعاطتها الجماعات عبر العصور ومجدت بها عظماءها و حفظت مآثرها ." فيعتر فن الوصف من أدعى موضوعات الشعر إلى التصوير ،لأن الوصف بطبيعته يدفع الشاعر الى التعبير عن موضوعه بالأسلوب الذي يحسم الإحساس و تجسيم الإحساس لا يمكن أن يكون في قالب من الصور ،و لأن الوصف يعتبر من أغزر منابع الشعر الذاتي، لأن الشعراء لا يدفعون الى هذا اللون بدافع خارجي ، و إنما هم يصدرون فيه عن رغبة شخصية و إحساس باطني ولكن الشعراء يتفاوتون في التعبير عن تلك الرغبة وهذا الإحساس، حسبما يملكون من مقدرة خيالية ،و موهبة شعرية وقدرات عقلية تعتمد أساسا على ثقافة الشاعر"[173] فقد ظل الأمير يعتمد في عدته الشعرية على الموروث الناجز كما تلقاه من ثقافته و من أعراف تلك الثقافة بنحو ما كان يعتمد في كفاحه ضد العدو على ذات الجاهزية الحربية

[172] دراسات جزائرية،مجلة، ص22.

[173] محمد ناصر : الشعر الجزائري الحديث.ص427-428.

التي ورثها عن حضارته العربية الإسلامية و التي كانت بيئته و أمه لا تزالان تعتمدانها أساليب عدة و استفاتة.

ومما ذكره في الوصف نجد قصيدتان (وصف رحلة الى بو) يقول فيها:

إذا ما سألت عن خير و خبري ❁ فإني لنعمة الإله شاكر

وقد وافيت عزا في فرنسا ❁ ولينا في الأصاغر و الأكابر.[174]

وقصيدة : في مدينة طولون:

سهلت سهلا فجرت أهلا في سمة ❁ أوجه لحسان الوجه في تيم

لها السماحة إذ قد زانها حور ❁ ممشى جداء بحضر صفرة النعم .[175]

الغـزل:

لابد من التأكيد أن الشعر العربي هو كذلك أخذ منحى ظاهرة التقليد شأنه في ذلك شأن باقي المعارف والفنون العربية الإسلامية خلال عهود الانحطاط. وقد عرف الأدب العربي تنويعا في بعض الإغراض الشعرية مثل غرض الغزل ،اذ ارتبط به لاحقا ما يمكن أن يسمى شعر البطولة، سواء ما قيل منه في عهود ازدهار الحضارة العربية الإسلامية أو بعد ذلك، لاسيما تلك القصائد اليتيمة التي كانت تصدر أحيانا عن فرسان شعراء من أمثال المتنبي و أبي الفراس في

---

[174] الأمير عبد القادر ، الديوان ،ص 135.

[175] المصدر نفسه،ص 136

القديم، و الأمير عبد القادر و البارودي في العصر الحديث زيادة عن تلك الأشعار التي ورثناها عن مرحلة ما قبل الإسلام ، والتي كان شعر عنترة في طليعة نماذجها ."ففي هذا العصر، عصر النهضة برزت اذن ظاهرة جديدة في شعر الغزل، إذ كف الحب عن أن يكون تجربة تبدأ بشخصين وتنتهي عندهما، بل تحول هذا الحب إلى موجود اجتماعي، واتصلت معاناة العاشقين بمعاناة العالم بأسره، و راح الشاعر يعي أن شرط السعادة العاطفية لا يمكن أن يتحقق في عالم تكبله العبودية و التقاليد و الأفكار الموروثة، فامتزج لقلق العاطفي بالقلق الاجتماعي و راحت المرأة ،للمرة الأولى، ربما تعبر عن خصوصية معاناتها منطلقة إلى حريتها وحقوقها، من خلال قصائد العديد من شاعرات وشعراء هذا العصر." [176]

نشأ الأمير في بيئة كانت شعريتها قد تفتحت منذ قرون على ألوان الملحون، فقد تعاطت الهلالية شعرا عاميا ونبغت فيه، وباتت منظوماته تستأثر بالذوق العام إلى جانب الشعر الفصيح. "ان من يدارس حياة الأمير في الطفولة و يتمعن في تفكيره و يتابع مراحل تعلمه قد يميل نحو ابعاد غرض الغزل من شعره نهائيا، لأن تكوينه الأول كان ينأى به بعيدا عن هذا الغرض ، زيادة على أن الظروف البيئية و المنشأ العائلي الأسري و نسبه الشريف كلها تقلل من نسبة إمكانية الخوض في هذا الغرض." [177] بحيث نجده نشأ في تلك البيئة التي كانت لا تزال ترتبط في تراثها ومخيالها ومواجدها و أعرافها و تقاليدها بالبيئة العذرية، تلك البيئة التي عاش بها أسلافه من بني عذرة في الجزيرة العربية عصر بني أمية. فكان عليه أن يتأثر بشيء مما تحفل به

---

[176] جودت فخر الدين: حسن عبد الله، الغزل:،دار المناهل، دار الحرف العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت،لبنانص 43.

[177] بشير بويجرة: الأمير عبد القادر، رائد الشعر العربي الحديث ،ص90.

تلك التقاليد من أشعار تتحنن الى مواطن الحجاز. " غرض الغزل كان أوفر حظا و أبرز من بقية الأغراض الشعرية و أصدقها تعبيرا عن كينونة الأمير وعن إنسانيته وعن رقة شعوره و احساساته، حين نجد له احدى عشرة مقطوعة و قصيدة شعرية ذات مستوى راق موضوعا و أسلوبا ، مقارنة مع الفترة التي وجد فيها و ماكان يميزها من ركاكة في اللفظ و فداحة في اللحن، ومع ما كان مفروضا عليه من قيود أخلاقية." [178] بحيث نجد غزلياته تتقاطع في مستويات عدة مع شعر الفروسية وما يتصل بذلك – عادة – من تمجيد لقيم البأس و الحمية و الر جولة ."

الأمير على الرغم من معايشته لفترى مليئة بالتخلف و بانعدام ثقافة تشبه نهمه الثقافي و العلمي و الجمالي ، فإنه كان أجدر منها و أقدر من شعرائها على قلتهم ، على التصريح بهواجس نفسه وبرؤاه عن الجمال وفي علاقة الرجل بالمرأة و في التعبير عن كل ما يجول في ذهنه وداخل عواطفه، دون رقابة أو حذف من أحد أو إحساس بالذنب تجاه أي أحد أو أي موضوع أو غرض شعري."[179] من هنا نجد شعر الأمير قد اتسم بخصائص شعورية وعاطفية تتلاقى مع خصائص الشعر العذري،من قبيل إعظام المرأة و اعتبارها أنفس ما تأنس به النفس و أروع ما تتعلق به المواجد وتتغنى به الألحان. "غزل الأمير يحمل شحنات ايديولوجية و منظومة جمالية وعلائقية بين الرجل و المرأة بغية تمرير رسائل حضارية وفكرية و جمالية الى " الآخر" المصر دائما على أن سكان هذه المنطقة عبارة عن مجموعة من البربر و الأعراب همهم الأول و الأخير

---

[178] بشير بويجرة: الأمير عبد القادر، رائد الشعر العربي الحديث ،ص91-92.

[179] المرجع نفسه،ص94-95.

هو السلب و النهب و القتل ولا أثر في قلوبهم للحب والعشق والعلاقة الشبقية/العاطفية بين رجالهم و نسائهم" [180].

أشعار الأمير تعبر عن غاية أبعد مما يتضمنه محتواها الغزلي. "شعر الأمير عامة ينتظم ضمن إيديولوجية كاملة متكاملة متجددة و تطمح إلى التجديد في كثير من الرؤى و المناهج وفي الأساليب ، تلك الأيديولوجية التي لا تستثني غرضا شعريا واحدا دون غيره من الأغراض، كما تعتمد أسلوبا واحدا دون غيره من الأغراض ، كما تعتمد أسلوبا واحدا أو آلية واحدة في خوض غمار الحياة في عمارة البلاد/الوطن و في لفت انتباه العباد و على هذا الأساس أرى بأن غرض الغزل عنده يتساوق ضمن نظريته للجمال وللفن ولتذوق الحياة ،تلك النظرية التي كانت تحمل في عمقها نقدا للأوضاع العربية الإسلامية في مختلف أبعادها و تجلياتها." [181] ، من أشعاره الغزلية قصيدة (مسلوب الرقاد)

ألا قل للتي سلبت فؤادي ❁ أبقتني أهيم بكل واد

تركت الصب ملتهبا حشاه ❁ حليف شجى يجوب بكل ناد

وقصيدة : (دموع ونار)

لم فؤادي بالحبيب هتور ؟ ❁ ونار الجوى بن الضلوع تثور

وحزني مع الساعات يربو مجددا ❁ وليلي طويل و المنام نفور .

---

[180] المرجع نفسه،ص70-71.

[181] بشير بويجرة: الأمير عبد القادر، رائد الشعر العربي الحديث ،ص72-73.

ويقول في قصيدة (منوبلقياكم):

فإن كان هذا البعد تأديب مذنب ❁ فإنا بهذا القدر صرنا على الشفا.

وإنا لنخشى إن تطاول بعدكم ❁ يصير لكم سلوى لا يرتجى شفا.[182]

- ففي القصيدة الأولى نجد أثر القرآن الكريم واضحا عند قوله :" أهيم بكل واد " مأخوذ من قوله تعالى " ألم ترى أنهم في كل واد يهيمون " الشعراء :226. "فمن يقرأ شعر الأمير لا جرم يرى أن تأثره بالشعر العربي القديم جلي وملموس في الجملة بأنه سيرى التناص يتجلى مع قيم وصور وتقاليد خطابية جاهلية لا سيما ما تعلق منها بقيم الفروسية و النخوة والوصف والإشادة بجمال المرأة وبالبادية و فضائلها" [183]، ومن قصائده الغزلية كذلك قوله في قصيدة (يتيه بدله عمدا):

أود بأن أرى ضبي الصحارى ❁ أرقب طيفه والليل سار.

وأطلب قربه، فيزيد بعدا ❁ قديما من وصال في نفار.

وقوله في (بنت العم):

أقاسي الحب من قاسي الفؤاد ❁ و أرعاه ولايرعى ودادي

(أريد حياتها وتريد قتلي) ❁ بهجرأو بصد أو بعاد.[184]

---

[182] الأمير عبد القادر : الديوان ، ص57.

[183] عشراتي سليمان:الأمير عبد القادر الشاعر،ص 108.

[184]الأمير عبد القادر:الديوان ،ص58.

لقد كانت غزلياته تتقاطع في مستويات عدة مع شعر الفروسية وما يتصل بذلك الشعر، لأن القصيدة الغزلية عنده تصدر عن روح إحيائية ، اذ المد التراثي المحفوظ في الذاكرة من أجل صنع لوحة واقعية وبناء موقف شعري يعكس عن حق حالات من التواجد عاشها الشاعر وعبر عنها على تلك الكيفية.

يقول كذلك في (جودي بطيف):

جفاني من أم البنين خيال ❁ فقلبي جريح و الدموع سجال

ولو قلت : دمعي قد ملكت فكاذب ❁ بدعواي بل ذاعرة وضلال.

وفي قصيدة: (فراقك نار):

أقول لمحبوب تخلف من بعدي ❁ عليك بأوجاع الفراق و البعد .

أما أنت حقا لو رأيت صبابتي ❁ لهان عليك الأمر من شدة الوجد.[185]

- تشغل أشعار الغزل من الديوان مساحة مهمة و تستغرق الكر و الفر بين المحب و حبيبته فضاءات معتبرة، وتأخذ المسافات الخطابية و الوجدانية فيها مناجي تبدو في ظاهرها مختلفة المرامي متنوعة الملابسات. " فالغزل أسبق الفنون الشعرية إلى نفس الشاعر، أشدها حرارة، وأقومها نتاجا إذ أنه يتصل بالمرأة،وهي كانت و ما تزال ملجأ الرجل و ملاذه ، إذ أجدبت نفسه بالحوادث الأزمة والكوارث العاصفة، فيحس في حضرتها خصبا ولفيا وسعادة ، ويرى في بسمتها ابتسام الحياة وبهجة الدنيا وسعادة العيش ، ولا عجب فهي نصفه الآخر.

[185] الأمير عبد القادر : الديوان ،ص60

ومبعث آلامه وآماله و ناحيته الفياضة المنيرة ، أليس في جمال نفسها و حبسها معين للشعر ثرار ، والهام جليل خالد روحي، لا ينقطع بينان ، الرجل و بين سماء الشعر ورباته؟ بلى وقلما نجد شاعرا في الشرق أو الغرب إلا وكانت المرأة أول شعره ومطلع قصيدته و " فينوسة الأولى" [186] .

بهذا نجد أن قصيدة الأمير تصطنع هي أيضا رمزيتها بنوع من التفوق ، وتقيم أسطورتها الخاصة لترى من خلالها الوجود وتحدد في ضوئها صلاتها بالإنسان والكائنات، بل وبالزمان و المكان ، فجميع قصائد الديوان نص أوحد ، ولابد أن تكون تجربة الشاعر متنا واحدا عنوانه هو تجربة العمر التي عاشها ذلك الشاعر و اعتز بها . و من أشعاره الغزلية نجد قصيدة (أرضي بطيف خيال) يقول فيها:

أحباب قلبي كم بيني وبينكم ❁ من أبحر وصفها قد دق عن حد

قد خانني الصبر ما أجدى بمنفعة ❁ سيل المدامع قد سالت خدي .[187]

وقد جاءت هذه القصيدة معبأة بالبديع مجاراة من الشاعر للمشاعر داود البغدادي الذي مدح الأمير بقصيدة طافحة بالبديع مطلعها:

جاءت مبشرة الأحباب بالبشر ❁ حيت فأحيت بنشر ميت البشر

صبت على الصب أنواع التفضل إذ ❁ سرت فسرت معنى بالغرام سرى

---

[186] أحمد الشايب: الغزل في تاريخ الأدب العربي ، دار المعارف للطباعة والنشر، سوسة-تونس ،ص 17-18.

[187] الأمير عبد القادر : الديوان ،ص62

ويقول في قصيدة (ذات خلخال):

خليلي وافت منكم ذات خلخال ❁ تتيه على شمس الظهيرة بالخال

فما نسج داود كنسج عناكب ❁ ولا الغادة الهيفاء تزهو بخلخال[188]

بحيث نجد في هذا البيت مثل قوله تعالى : " **وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِتُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ** ".الأية80،سورة الأنبياء

إن قراءة أشعار الأمير تستوجب الاستناد على حظ من التأويل اليقظ، لا سيما أشعاره العاطفية و الوجدانية ،فقد استطاع الأمير أن يتوفق بها ، أو على الأقل ببعض مستوياتها عند نقطة شارفت تقاطعات متعددة، إذ جاء الخطاب يحتمل المنحى الغزلي الموضوعي (التغزل بالمرأة) وجاء في ذات الوقت يحتمل دلائل التواجد الروحي المتسامي بالذات الإلهية وجاء ثالثة يحتمل أمارات معنوية تجبل على هم جسيم سكن قلب الشاعر واستوطن روحه القضية."[189]

بحيث نجد من المعروف الشائع أن الغزل هو الحديث عن المرأة وما قد يكون لها من جمال و فتنة ، وما قد تؤثر في نفس الرجل وتبعث فيها الحرقة و الجوى ،أو كما تقول كتب اللغة إن الغزل هو الهو مع النساء، فأنت تجد أن هذا الكلام فيه خلط ومزج يجمع شتى الألوان و أنواع المعاني و الموضوعات التي ترجع في الحقيقة إلى أصول متباعدة وقد تكون متنافرة أيضا،فما كان كل حديث عن المرأة غزلا وليس كل شعر فيه ذكر المرأة فنا ترى فيه تلك العاطفة التي تصل بين الرجال و النساء.

---

[188] المصدر نفسه،ص62-63.

[189] عشراتي سليمان:الأمير عبد القادر الشاعر، مدخل إلى تحليل الخطاب الشعري، ص58-59.

ومن قصائده الغزلية كذلك ، قصيدة (ليس للحب دواء) يقول فيها:

سألت رجال الطب أخبر كلهم ❁ وهم أهل تجريب و أهل ذكاء

بأن سقيم الحب هيهات ماله ❁ دواء إذا ما الحب أصبح نائي.[190]

وقوله في قصيدة (باللحظ تخدش وجنة):

أقول لقوم لا تفيد نصيحتي ❁ لديهم ولو أبديت كل الأدلة

ألا فاتركوا ورد الخدود وشأنه ❁ فتخديدكم في الحد أقبح فعلة.[191]

- من هنا نستنتج عمق إنسانية الأمير وهشاشة مواقفه تجاه المرأة وضعف ارادته أمام من يحب ويعشق حين يبدو التصريح بالغبن وانعدام المقاومة بتكريس لقطتي الهجر و الظلم.

" وقد يعثر الباحث على بعض القصائد القليلة التي تعالج موضوعات ذاتية ولكنها لا تتجاوز الغزل التقليدي المتكلف و الفخر القائم على التباهي بالأجداد و الأنساب، والتذمر من العصر و أهله بطريقة متهافتة ،ضعيفة، الى جانب المجاملات و الاخوانيات مثل التهنئة بمولود أو بترقية ،أو بوسام ،أو بمناسبة عيد ، أو للتعزية في مصاب "[192]

من خلال هذا نجد أن الشعر الجزائري المعاصر قبل الثورة ،ثورة نوفمبر 1954 و بعدها أن شعر هذه الفترة يخلو من الغزل، ويرجع النقاد السبب الى أن الشاعر الجزائري كان مشغولا بقضايا مصيرية."صحيح أن ثورة الجزائر و نضالها أقامت الدنيا و أقعدتها، والشاعر يعيش أتون

---

[190] الأمير عبد القادر : الديوان ،ص64.

[191] الأمير عبد القادر:الديوان ،ص 64

[192] محمد ناصر:الشعر الجزائري الحديث،ص 19.

هذا النضال ويلتزم بقضايا وطنه وشعبه الا أن هذا الالتزام لا يعني أن يخلو قلب الشاعر من حب امرأة ،فالنص الشعري مهما كان موضوعه تخلده قيمته الفنية شكلا ومضمونا"[193].

ونستخلص من هذا كله أن الغزل الحق إنما هو الحديث عن الرجل لا عن المرأة ،هو ذلك الشعر الذي يصف نفس الرجل و آلامه و آماله في المرأة و منها، ويصور تلك الحرقة التي أصابت الرجل لما أسره جمال المرأة، ثم امتنعت عليه فأورثته حسرة و نارا،فشكا المرأة وتضرع اليها و شكا الحب و آثاره ، وساهر النجوم واستلهمها أخبار من يحب و رأى في كل مظاهر الحياة حبا وقطيعة و شوقا وعجزا بما تسد له نفسه على الدنيا من الألوان و الآثار. "لأن الحديث عن المرأة أول الأمر يكون وصفا لمحاسنها وجمالها ثم يتبع هذا وصف هذا الأثر في نفس الرجل و هيامه وغرامه و آخر الأمر يكون الشعر حديثا و قصصا عما يكون بينهما من لهو وعتب وتسام واسناف. وليس بعد الاسناف الا هدوء العاصفة والانصراف الى درس المرأة كلغز أو شيء من أشياء الدنيا ثم التصون عنها و البحث فيها قد يكون أسمى ، من جمال عام في جميع مظاهر الكون." [194]

شعر الجيش و الوطنية : نجد في قصيدته (غلاء الدار بالجار) يقول:

أبى القلب أن ينسى المعاهد من بروسا ❁ وحبي لها من بين الجوانح قد أرسى

أكفله سلوانها وهو مغرم ❁ فهيهات أن نسلوا وهيهات أن ينسى ...

---

[193] أحمد دوغان: (الأدب الجزائري الحديث) ،ص 5-6

[194] أحمد الشايب: الغزل في تاريخ الأدب العربي ،ص 15.

بلاد لها فضل على كل بلدة ❁ سوى من يشد الزائرون لها الحلسا.[195]

وهو في هذا البيت الأخير يريد البقاع التي عناها الرسول صلى عليه وسلم. " لا تشد الرحال إلا لثلاث..." ،ففي هذه القصيدة يتحنن الشاعر الى منزله في (برسا)بتركيا حيث كانت إقامته أول الأمر بعد إطلاق سراحه من سجون فرنسا .وهذه مقومات كانت كافية لأن تجعل قلب المسلم يخفق بمحبة الأمصار و البلدان أينما حل من أقطار دار الإسلام. وهو يبين حال التكتم العاطفي التي كان الأمير يعيشها تجاه وطنه و الحنين إليه، وبعض هذه الإفادات يكشف لنا سر سكوت الأمير عن الوطن الأم في شعره وعدم استدعائه إياه تصريحا ، ويقول في قصيدة (عابد فكرة):

يا مد عذا عابدا لفكره فقف ❁ فأنت يا غافلا على على شفا جرف.

جعلت عقلك هاديا ونور هدى ❁ أضلك العقل أين أنت في تلف.[196]

فهذه القصيدة روحية فكرية ، وهناك من القصائد ما تستحضر مشاهد الحشر، بحيث الموت هو الضفر الحقيقي الذي تتوج به حياة الإنسان في هذا الوجود ،إذ به يرتقي الإنسان إلى عالم الوجود الحق، ونجد هذا في قوله في قصيدة (لو حضرت) :

يا صاح أنك لو حضرت سماءنا ❁ وقت انشاقها حين لا تتماسك

---

[195] الأمير عبد القادر: الديوان ،ص95-96.

[196] الأمير عبد القادر : الديوان ،ص:127

وشهدت أرضا زلزلت زلزالها ❁ ألفت ما فيها و الجبال دكادك

وشهدت صعقتنا والاله قائل ❁ الملك في اليوم مالي مشارك.[197]

ففي هذه القصيدة نجد معاني سورة الزلزلة ، وهناك كذلك ما أخذه من قوله تعالى: " لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ " غافر :16 ، ونجد كذلك قوله في قصيدة (الباذلون نفوسهم):

يا أيها الريح الجنوب ! تحملي ❁ مني تحية مغرم و تجملي.

و أقر السلام أهيل ودي و آنشري ❁ من طيب ماحملت ريح قرنفل [198]

- ففيها اشادة بالمجاهدين و تضحياتهم ،فهو قصيد صالح لأن يكون نشيدا وطنيا لعصره وفيه يتعهدهم بالدعاء ، فشخصية الشاعر هنا تتوزعها المسؤوليات وكان غيابه عن جانب من جبهة القتال يقتضي منه مثل ذلك الحضور المعنوي ،فلذلك كانت هذه القصيدة التي تدعمت بمددها المضموني و ذلك بارسال الأمير الشاعر دعائه لجنوده، إذ أن الدعاء في موقف كهذا هو مظهر من مظاهر المشاركة في عين المكان ،أما في قوله في قصيدة (تحصنت لا خوف من الموت):

الله أعلم أن هذا لم يكن ❁ مني على الأمر الطويل دليلا

كلا و ان منيتي لقريبة ❁ مني و أصبح في التراب جديلا .[199]

---

[197] المصدر نفسه،ص 129.

[198] الأمير عبد القادر : الديوان ،ص84.

[199] المصدر نفسه،ص84.

وهذا ما يوضح أن الواقع العام الذي عاشه المسلمون على مدى تلك العهود الطويلة من الانحطاط قد نمى لديهم وازع التوجس وعمق فيهم مشاعر التجرد و التقلل لما رأوا عليه أحوالهم المختلفة من تقلب لا تضمن فيه سلامة العاقبة . وقد تجسدت فلسفة تلك العصور في هذا التكفف وهذا الشعور بالتأثم الذي لبت يعرب عنه المسلمون نحو الفعل المثمر و المهام البنائية.

3- الزهد والحنين- والاعتذار:نشأ الأمير نشأة بدوية وأن يتثقف ثقافة دينية محض يلتزم بها بأن يصبح رجل دين و شيخا للطريقة القادرية مكان والده وجده لا أن يترك لنا ديوان شعر كاملا في جميع أغراضه و بحوره و أساليبه التي تذكرنا بنفحات البطولة العربية."نجد أن غنى العلاقات التي كانت تربط الأمير بمحيطه أو بالفاعلين الأساسيين فيه كان له الأثر الفعال و الأساسي في إثراء التجربة الشعرية لدى الأمير وفق رؤية تجديدية للمضامين و الموضوعات التي لم يكن يلتفت إليها قبله و التي استطاع أن يكرس فعاليتها ضمن بعد النظم الشعري المحمل بالبعد الوطني و بالنظرة الواعية بمكامن النفس المبدعة وبمواقف الرجال و مصائر الأمم و الشعوب."[200]

حاول الأمير أن يبعد التصوف عن المشاحنات التيكان يتخبط فيها في هذه الفترة و أن يبعده عن الشعوذة والاستغلال الذين كان يدور في فلكهما عندما كان يربط بالمناقب و الكرامات." نجده ملزما منذ الوهلة الأولى بالأسس و التقاليد المتوارثة أبا عن جد فيه، فزيادة على أنه قرأ الأمهات من المدونات ذات الصلة بالموضوع سواء كانت مؤلفة أصلا من طرف

[200] بشير بويجرة: الأمير عبد القادر، رائد الشعر العربي الحديث.ص 97-98.

علماء و أصحاب الشأن من المتصوفة من داخل الأمة العربية الإسلامية أو كانت موضوعية من أقلام تنتمي إلى حضارات عالمية أخرى كاليونانية والهندية و الفارسية "[201] فمن قصائده في التصوف نجد قوله:

أغث يا مغيث المستغيثين ! والها ❁ ألم به من بعد أحبابه الضر

وما حاتم؟ قل لي وما حلم أحنف؟! ❁ و ما زهد ابراهيم أدهم ؟ اما الصبر

ذليل الأهل الفقر لا عن مهانة ❁ عزيز ولا تيه لديه ولا كبر.[202]

فهو يقصد هنا حاتم الطائي الشاعر العربي الكريم الذي عاش الجاهلية ، يضرب به المثل لكرمه وواحد من حكماء العرب كذلك و إبراهيم أدهم. أحد نساك سوريةالذي صرف نفسه عم متاع الدنيا عبادة لله وحده. و هناك في البيت الأخير معنى قوله تعالى: "أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين." المائدة:54 في نفس القصيدة يقول :

حريص على هدي الخلائق جاهد ❁ رحـــــيم بها بر خيـــــــــر له القدر

فذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ❁ وليس على ذي الفضل حصر ولا حجر.[203]

---

[201] بشير بويجرة: (جدلية العبقرية)، ص:267-268.

[202] الأمير عبد القادر :الديوان ،ص108.

[203] الأمير عبد القادر : الديوان ،ص 109.

فالبيت الأول معنى الآية " عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ " التوبة:108 و الثاني فيه معنى الآية : " ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ " الجمعة :04 ، يقول أحدهم :" أرى في تصوف الأمير بعض التميز عن تصوف غيره ،لعل من أبرز ذلك : كان الأمير يلبس تصوفه غلالة من التجريب و الممارسة أكثر من تغليب الغلالة التنظيرية المحض "[204]

الأمير عبد القادر قد طرق في شعره أكثر الفنون الشعرية المعروفة في عصره. وليست هذه الأنسخة مطابقة لما تناوله الشعراء القدامى في شعرهم. فمن الناحية التاريخية ارتبطت كل مرحلة تاريخية من مراحل حياة الأمير بفن معين من الفنون الشعرية ،فشعر الفخر و الحماسة مثلا أوثق صلة بحياة الأمير من شعر الوصف. وما ذلك إلا لأن شعره في الفخر و الحماسة كان نتيجة معاناته الحروب وخبرته وتجربته الحربية ، كما أن مصدر عظمته تجلى في أمرين اثنين: أحدهما فطري غير إرادي ،و الآخر وضعي اكتسابي إرادي،فالمصدر الأول أي (الحسب و النسب) مرده إلى أن الأمير ابن عائلة شريفة ،عظيمة الشأن، كريمة المنشأ و أنه ابن والد اجتمعت فيه خصال البطولة، وشرف النسب و السطوة الروحية،اذ كان الطريق القادرية.

وأما المصدر الثاني (أي المناقب الأخلاقية و العملية) مرده الى أن الأمير خاض معارك ضارية ضد الجيوش الفرنسية استمرت سبعة عشر عاما.من هنا انقسم شعر الفخر و الحماسة عند الأمير إلى قسمين: قسم طبيعي أو فطري أو غير إرادي ، وقسم وضعي أو اكتسابي أو إرادي ،إلا أنه كان متصوفا إسلاميا متحررا من قيود التقليد المميت ومن عالم المادة

[204] بشير بويجرة: (جدلية العبقرية)، ص:277.

الضيق والمغلق ، متطلعا الى عالم الروح الأسمى والأعلى، وكان شاعر البطولة و الحماسة لا في بلاد المغرب الأوسط (الجزائر) فحسب بل في المغرب العربي بأكمله ".[205]

ليس التصوف عند الأمير تواكلا وتكاسلا وتخاذلا بل التصوف عنده فتوة ومرابطة وجهاد في سبيل الله. "بحيث كلما تدانت الديار بين الأمير ، وبين المحبوب ،زاده هذا القرب أشجانا و أحزانا .فلا القرب يشفي، ولا البعد ينسي ، وكلما ازداد قربا من الحبيب الأول ، زاده هذا القرب عطشا إلى معرفة الحبيب المطلق، واجب الوجود." [206] في قوله (أنا الحب و المحبوب والحب جملة):

وإذ قلت – يوما – قد تدانت ديارنا ❁ لأسلوا عنهم زادني القرب أشجانا.

فما القرب لي شاف ولا البعد نافع ❁ وفي ربنا عشق دعاني هيمانا[207]

نجد أن الأمير ملأ قلبه معف بالله، وهياما بمحبته .هذه المحبة الالهية التي عرف حلاوة مذاقها ونعمة عطائها ،فلا يستطيع أن يسلوها ،وأن يبتعد عنها ،هي محبة ملكت عايه قلبه ،فاشتعلت فيه نار الشوق،لمعرفة الحبيب وازدياد الشوق و المحبة له لقوله في قصيدة (أنا الحب و المحبوب و الحب جملة):

عن الحب مالي كلما رمت سلوانا ❁ أرى حشو أحشائي من الشوق نيرانا ؟ !

---

[205] فؤاد صالح السيد :الأمير عبد القادر متصوفا.ص:10.

[206] المرجع نفسه.ص: 151.

[207] الأمير عبد القادر : الديوان ،ص: 116-117.

لو اعج لو أن البحار جميعها ❁ صين لكان الحر أضاف مكانا

فلو أن ماء الأرض طرا شربته ❁ لما نالني ري ولا زلت ضمآنا.[208]

بهذا نجد المحبة عند الأمير درجات و مراتب ، وعلى مراتبها محبة للمجاهدين ، الذين جاهدوا الجهاد الظاهر،والجهاد الباطن في سبيل معرفة الحبيب ، واجب الوجود ، وهذا مستمد من قوله تعالى في سورة النساء:4 ." فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ" ،فقد بدأ الأمير مجاهدته بالسير في خطا الشرع، ملازما طريقة الشرع الظاهرية ،لا يحيد عنها قيد نملة بل يردد ما جاء به الشرع في مفهومه للحق. فإذا قال الشرع بالتوحيد المحض قال الأمير: هو ذا .وإن قال الشرع بالتشبيه و التجسيم وافق الأمير على ذلك لقوله في قصيدة : (عابد فكرة):

عليك بالشرع فالزم طريقته ❁ فحيثما سار سر و إن يقف فقف.

إن قال ليس كمثلي قل هو ذا ❁ أو قال لي أعين فقل بذا كلفي.[209]

حتى إنه قال : ومازلت ممتطيا صهوتي النسر والغراب ،محملا نفسي كل مكروه مستعذبا أنواع العذاب، لا تطمئن بي دار، ولا يستقر بي قرار، إلى أن ظهرت لي الأعلام التي ظهرت لمن قبلي من الوافدين الأعلام، ونادى المنادي ،وحدا الحادي:

أبشر بوصل فهذه العلامات ❁ كم طالبين ودون الوصل قد ماتوا." [210]

---

[208] المصدر نفسه،ص : 116.

[209] الأمير عبد القادر : الديوان ، ص:128.

[210] المصدر نفسه ،ص: 161.

- فالأمير شديد التحفظ من ناحية الخوض في المكاشفات،شديد التكتم و التقية.

إذ لولا لجام الشرع ما لم يقل في قصيدة:

ولكن لجام الشرع أحكم حكمة ❁ لذاك تراني حائما ومموها.[211]

وهناك مقطوعة شعرية تتمثل فيها نفسية الشاعر المؤمنة المطمئنة في أجلى مظاهرها ويبدو فيها موقفه من النبي محمد صلى عليه وسلم .لأن المير يعتبر أن الرضا النبوي فخر له، وشرف كبير،فقال في قصيدة: يا سيدي يا رسول الله:

يا سيدي ! يا رسول الله ! يا سندي ! ❁ ويا رجائي ! ويا حصني !ويا مددي!.

ويا ذخيرة فقري يا عياذي! يا ❁ غوثي! ويا عدتي للخطب و النكد !

يا كهف ذلي! ويا حامي الذمار ! ويا ❁ شفيعنا في غد! أرجوك يا سيدي

أبغي رضاك ولا شيء أقدمه ❁ سوى افتقاري وذلي واصفرار يدي.

ن أنت ر اض فيا فخري ويا شرفي ! ❁ ماذا علي إذا واليت من أحد ؟

ففي البيت الثاني نجد كما في قوله تعالى :" **قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ.**" .الأية01،سورة الفلق

ويصل به الاعتزاز، والفخر و التشامخ الى الذروة،حين يخص نفسه بعلم لم يحض به أحد من البشر سواه، وفي كل ذلك يظهر التذمر من حساده والمشنعين عليه، الذين ينسبون أليه

---

[211] فؤاد صالح السيد :الأمير عبد القادر متصوفا ص : 165

الكفر و الزندقة.و تبدو نفسيته في الاعتداد والفخر والتشابه قريبة الشبه من نفسية أستاذه،فعنده اللب والجوهر ،وغيره يرنو الى الصدف، وبأن الناس ليسوا أهلا ليستخرج لهم كنوزه المعرفية الدفينة، وينبغي على أهل زمانه تقاعسهم وتخاذلهم عن طلب المعالي لقوله في قصيدة:

عندي من العلم لبه وجوهره ❁ أعينهم ترنوا الى الصدف.

قد قيدتهم عوائد وثبطتهم ❁ من يمشي نحو الظلمة السدف.

فلو وجدت له أهلا لبحث به ❁ مستخرجا كنزه المحفوف بالطرف.

لكن أهله قد مضوا فلا طالب ❁ تلقاه يسموإلى العلباء و الشرف.[212]

كذلك نجده قد بالغ في الحديث عن شيخه محمد الفاسي،مبالغة تخرج عن حدود المعقول وتذلل إليه تذللا ، حتى قبل إقدامه وبساطه، عند مثوله بين يديه بعد أن طال انتظار شيخه له سنوات طويلة خلت.لقوله في قصيدة : (أستاذي الصوفي):

أمسعود ! جاء السعد والخير واليسر ❁ وولت جيوش النحس ليس لها ذكر.

ليالي صدود وانقطاع وجفوة ❁ وهجران سادات فلا ذكر الهجر .[213]

فالشيخ محمد الفاسي هو ملاذ الأمير، وعمدته وعدته، وكهفه الأمين الذي يلتجأ إليه وهو محيي نفس الأمير بعد أن كانت روح هذا الأخير كالرمة، فلقد تجدد عمر الأمير و اكتسب العمر الجديد، والحياة الجديدة. فشيخه محيي النفوس:

---

[212] فؤاد صالح السيد :الأمير عبد القادر متصوفا.ص : 174.

[213] الأمير عبد القادر : الديوان ،ص:102

عياذي ملاذي عمدتي ثم عدتي ❁ وكهفي إذا أبدى نواجده الدهر.

غياثي من أبدي العداة و منقذي ❁ منبري مجيري عندما غمني الغمر.

و محيي رفاقي بعد أن كنت رمة ❁ أكسبني عمرا لعمري هو العمر

وما حاتم؟ قل لي و ما حلم أحنف ؟! ❁ وما زهد ابراهيم أدهم ؟ ما الصبر

حريص على هدي الخلائق جاهد ❁ رحيم بهم خبير له القدر.[214]

- ففي قوله عن حاتم ، يقصد حاتم الطائي الشاعر العربي الذي عاش الجاهلية يضرب به المثل لكرمه، وواحد من حكماء العرب .و ابراهيم أدهم ،أحد نساك سورية الذي صرف عن متاع الدنيا عبادة لله وحده ، وفي البيت الأخير معنى الآية: " عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ " التوبة:108 .

فهو كان يعتقد أن شيخه يسوس الكون ويتداركه ويحميه ، وأعطي مطلق الحكم و التصريف والنهي والأمر ، وفي ذلك مبالغات خيالية عجيبة ،على أنه من جهة أخرى ، يعتقد أن كل هذه القوى الهائلة التي أعطيت لشيخه مستمدة من رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فمفهوم التصوف عند الأمير: جهاد النفس في سبيل معرفة الله عن طريق الرياضات الشاقة ، والعبادة الخالصة لله ، والحضور الدائم مع الله ، فالأسباب التي حملت الأمير على سلوك طريق التصوف كثيرة و متنوعة ،منها:

1- نزعته الإنسانية.

---

[214] المصدر نفسه،ص :108-109

2- انتماؤه إلى آل البيت النبوي.

3- تربيته الدينية.

4- إيمانه الشديد بالقضا-+-ء و القدر.

5- محاربته التقليد و المقلدين .

6- تركه الحياة السياسية والعسكرية بعد استسلامه.

7- عزلته في أسره بأمبواز Amboise في فرنسا.

وأكثر ما تبدو نزعة الأمير الإنسانية، في قصائده الصوفية التي أكد في بعضها على وحدة الأديان السماوية، فهو تارة هذا المسلم الزاهد ، وطورا هذا الراهب الذي يسرع إلى الكنائس ، وقد أحكم شد الزنار إلى وسطه ، ومرة يلتحق بمدارس اليهود لتدريس التوراة . فيقول في قصيدة (أنا مطلق):

فطورا تراني للكنائس مسرعا ❁ وفي وسطي الزنار أحكمته شدا

أقول باسم الابن والأب قبله ❁ وبالروح روح القدس قصدا ولا كيدا.

وطورا بمدارس اليهود مدرسا ❁ أفرز توراة وأبدي لهم رشدا.[215]

- وقد افتخر الأمير بذلك النسب النبوي الشريف، وظهر فخره في العديد من القصائد الفخرية والحماسية، التي نظمها في المرحاتين، الأولى والثانية من حياته ، والتي دامت

[215] الأمير عبد القادر : الديوان ،ص: 120.

من عام 1222الى عام 1264هـ/ 1807-1847م ، ومن بين القصائد التي يفتخر فيها بنسبه النبوي الشريف قوله في قصيدة ، (أبونا رسول الله) ويقول فيها:

أبونا رسول الله،خير الورى طرا ❁ فمن الورى يبغي يطاولنا قدرا...

وبالله أضحى عزنا و جمالنا ❁ بتقوى وعلم و التزود للأخرى.[216]

وهذا في معنى الآية :" **وتزودوا فإن خير الزاد التقوى** " البقرة: 197 ويقول في قصيدة (بنا افتخر الزمان) ومطلعها:

لنا في كل مكرمة مجال ❁ ومن فوق السماك لنا رجال

لنا الفخر العميم بكل عصر ❁ ومصر،هل بهذا ما يقال؟!

وقد استأنس بقوله تعالى: " **إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا** ." الأحزاب:56.

بهذا نجد تصوفه " قد مر بمراحل تاريخية توازي في نموها و تصاعدها المراحل التاريخية لسيرة حياته الذاتية. و إن هذه المراحل قد نمت عند نموه نموا طبيعيا ، وتدرجت تدرجا سليما في تصاعدها من نقطة البداية ، بداية التوبة و الورع، إلى نقطة النهاية،نهاية النفس الأمارة بالسوء، حيث الشاهد و اليقين، وهذه المراحل كثيرة الشبه بإنسان أبي تمام حيث يقول:

وإذا انتهى في قلة من سؤدد ❁ قالت له الأخرى :بلغت تقدم" .[217]

---

[216] المصدر نفسه،ص :45.

[217] فؤاد صالح السيد :الأمير عبد القادر متصوفا ،ص:125.

وهذه القصيدة لأبي تمام يمدح بها أبا الحسين محمد بن الهيثم في شبابه.

ومراحل التصوف هي:

1- **المرحلة الأولى:** مرحلة التلقن و التعلم والمطالعة (1222-1246 هـ/1807-1830م)

2- **المرحلة الثالثة:** مرحلة الفتوة والمرابطة (1246-1264هـ/ 1830-1847م)

3- **المرحلة الثالثة :**مرحلة التأمل والتفكير (1264-1269 هـ/ 1848-1852م)

4- **المرحلة الرابعة :** مرحلة النضج والتعبير(1269-1300هـ/ 1853-1883م).[218]

وتحت ظلال هذه العقيدة التي تجمع ما بين العبادة النظرية؛ أي العلم و مابين العبادة العملية؛ أي الجهاد بنوعيه الأصغر و الأكبر ، كتب الأمير من خلوته تلك إلى أستاذه (الشيخ محمد الفاسي) يصف بدايته و نهايته ، ويثني على الله بما أولاه على يده ، بقصيدة عنوانها : (أستاذي الصوفي) و مطلعها:

أمسعود ! جاء السعد والخير واليسر ❁ وولت جيوش النحس ليس لها ذكر.

ليالي صدود وانقطاع وجفوة ❁ وهجران سادات، فلا ذكر الهجر

كما أن رسائله متعددة،فقد تعددت كتاباته إلى معارفه ومحبيه وهي رسائل لو جمعت لبلغت عدة مجلات ، فكثيرا ما كان يوجه الأسئلة إلى مجالس العلماء وكبار الفقهاء طيلة حياته، سواء بالمغرب الأوسط أو الأقصى ،أو بالمشرق وفرنسا ، وكان يجيب بنفسه على القضايا التي

---

[218] المرجع نفسه،ص:126.

ترد عليه من كبار علماء الإسلام ومفكري الغرب ، مسهبا في الإجابة تلك الاستفسارات إلى درجة تبكت المعاند . من بين رسائله " ذكرى العاقل و تنبيه الغافل " : وهي رسالة مطولة أيضا تتضمن مسائل جمة في مختلف العلوم كالتاريخ والفلسفة ، والدين والإصلاح الاجتماعي و الأخلاق، وهي رسالة في الحكمة و الشريعة و توافقهما ." [219]

" المواقف في التصوف والوعظ والإرشاد وهو كتاب في ثلاثة مجلدات في نحو خمسمائة و ألف صفحة من القطع الكبير، يشتمل على اثنين وسبعين وثلاثمائة موقفا ، موضوعه التصوف و الفكرة التصوفية، على غرار " الفتوحات المكية" للشيخ محي الدين بن عربي وفيه ملاحث صوفية ، وتفسير آيات قرآنية ، وشرح أحاديث نبوية ، وبسط للعقيدة الإسلامية " [220] .

وقد كانت له تعليقات على حاشية جده عبد القادر في علم الكلام ... وقد دونها في المرحلة الأولى من حياته ، بعد عودته من المشرق و تأدية فريضة الحج. وله كذلك الصافنات الجياد وقد وردت هذه التسمية حرفيا في القرآن الكريم في سورة (ص) . الآية 38-31-32.

وهي كتاب في محاسن الخيل وصفاتها. بحيث كان يتعبر التصوف من أهم المميزات للخصوصيات في المجال الديني، وذلك لما تراكم فيه من رصيد تربوي أسهم بصورة فعالة جدا في تشكيل الوجدان الديني المغاربي و السلوك الاجتماعي الوطني .فعلى هذا الأساس كان وهج التصوف عند الأمير ، وهو ابن الطريقة وابن زاويتها، قد سبغ كثيرا من الدسامة والثراء تجربتيه الشعرية و الصوفية معا، مما أهله لأن يبني رؤى جديدة في التصوف و أن يفتح في محيطه الرحب

---

[219] فؤاد صالح السيد :الأمير عبد القادر متصوفا، 96-97.

[220] المرجع نفسه ص: 99.

توجها مستحدثا يبنى على "العزلة و الاختلاء " ثم يعود إلى ابتكار منهج يمزج مابين " التنسك و التعبد " بنفس القدر والعزيمة على إبقاء الاتصال والحفاظ عليه مع المحيط والواقع ، رغبة منه في خلق التوازن ومفهومه في التجربة الصوفية .بهذا نجح عبد القادر في تحقيق أعلى المراتب الدينية التي تعتبر أساسية و جليلة ،بعد عمل شاق و إنكار طويل للذات .فدوره معروف لدى الخاص و العام ليس له مضاه في أخبار الرجال العظماء غير العاديين ، لظهوره المفاجئ غير المتوقع ولتنوع مراحله و غرابتها ، ولأطوار تطوره غير المنتظرة.لقوله:" إن رحيل الإنسان من أمر الله؛ فكيف اذن يستطيع الإنسان أن يفهم طريقه" [221] ، اذن بالرجوع إلى قصائده ومقطوعاته الشعرية المحققة في الديوان يمكن اعتبار الأمير قد أنفح التصوف الإسلامي بروح جديدة وزوده بدفع حداثي متميز يدخله في عمق الوجود الإنساني ولا يقصيه أو يبعده عن دواليب السيرة الوجودية. بحيث نجد أن ما يحمله تصوف الأمير من تحديث و مزايا ، مرده إلى أنه حاول أن يبعد التصوف عن المشاحنات التي كان يتخبط فيها في هذه الفترة ، وأن يبعده عن الشعوذة والاستغلال اللذين كان يدور في فلكهما عندما كان يربط بالمناقب و الكرامات على الرغم من أن الأمير كان يقود حربا تمكنه من استغلال الكرامات رغبة في النصر و دوام الإمارة .

- نستخلص من هذا كله أن الممارسة الصوفية قبل الأمير عبد القادر كانت تجنح نحو التجريد المحض وبحر الفردوس المتخيل فقط في أدمغة و آفاق المبدعين للقصيدة الصوفية و المشتغلين عليها،أما عند الأمير فاعتقدها وقد اندست جذورها في عمق تربة الإنسانية المنجزة على صرح النصر و الهزيمة والعزة والمذلة و الرفع في القيادة و الإلقاء بإهمال واللامبالاة في أعماق

[221] شارل هنري تشرشل :حياة الأمير عبد القادر،ترجمة وتعليق أبو القاسم سعد الله،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر،1986،ص: 372-371.

السجون وفي أركان الدهاليز المظلمة إلى غير ذلك من الممارسات والتجليات التي كانت قبل ذلك تتخيل وتتهيأ لكنها باتت حقيقة معيشة في يوميات الأمير الذي قال في قصيدة : (الحمد لله):

الحمد لله الذي خصني ❁ بصفات كل الناس لا التساس

الجود والعلم النفيس وانني ❁ لأنا الصبور لدى اشتداد البأس.

تحدثي شكرا لنعمة خلقي ❁ إذا كان في ضمني جميع الناس.[222]

وقد ورد مضمونا في قصيدة " الشيخ عبد المجيد الخاني" التي مدح فيها الأمير ، وهي مثبتة في كتاب " تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر " ص:223.

فنجد أن "الجود" و"العلم "و " الصبر عند اشتداد البأس" و" التحدث بالنعمة للخالق"، كلها حلات و أوضاع صوفية استخرجت واستنتجت من ممارسات كان الأمير يتعاطاها في يومياته ، فهو لم يتحدث عن جود قرأ عنه أو لقن عنه ، ولم يذكر "العلم" كحيلة يزايد بها عن غيره بل هو العالم الحق الذي شهد له بذلك العدو، وهو الشكور على كل ما وقع له، رغم أنه كان يبغي وجه الله ومصلحة الوطن و المواطنين ، ولاحظنا هذا جليا في قصيدته المعنونة "أستاذي الصوفي" أكبر دليل على ذلك البعد الذي أضفاه الأمير على ماهية التصوف. بحيث وجدنا التصوف عنده هو ذلك التواصل الممتد بين الإنسان و أخيه الإنسان عبر مدة زمنية ممتدة و مختلفة منذ أن يولد إلى أن يلتحق بربه ، ليصبح التصوف تسلحا بالإيمان بالله و

[222] الأمير عبد القادر : الديوان ، ص:102

الإفادة من تجارب الذات وليس هروبا من دسائسها ومفاجآتها واللجوء إلى أوهام و تخبلات قد لا تمت للواقع بصلة.

- مما لاحظناه في ديوان الأمير عبد القادر الجزائري أنه كان موجود فيه تناص أو بالأحرى نص غائب سواء من النصوص الشعرية القديمة أو حتى من القرآن الكريم، فهو دائما يستحضر القديم في قصائده وهذا ما يدل على انفتاح نصوصه وتعدد دلالاتها، وهذا كله موجود في التناص بحيث " أدى الوقوف على انفتاح النص وتعدد دلالاته وقراءته إلى الانتماء إلى واحدة من أهم سماته التي سيكون له دور كبير جدا في تطوير النظر إليه والى أهم خصوصياته، وهي تفاعله مع غيره من النصوص السابقة عليه أو المعصرة له، إذ كل نص يتفاعل مع غيره من النصوص، بل يمكن الذهاب أبعد من ذلك بالقول إن كل نص تناص."[223]

بحيث نجد أن التعلق النصي و التناص يتصلان بالتداخل الحاصل بين اللاحق والسابق للنصوص، وكل منهما يتجلى في طريقة خاصة. فقد حدد "لوران جيني" آليات اشتغال التفاعل النصي، أما ما يسميه "التناص" باعتباره المفهوم الجامع من خلال ما يلي :

1- **التلفيظ:** والمقصود بذلك أن النص وهو " يتفاعل" مع نص آخر، ينقله من نظام العلامات الذي ينتمي إليه ، ولا سيما إذا كان من غير نظام العلامات اللغوية، ويمنحه بعدا لفظيا.

[223] سعيد يقطين: من النص الى النص المترابط.مدخل الى جماليات الابداع التفاعلي.المركز الثقافي العربي ،الطبع الاولى 2005، بيروت .لبنان.ص.ب 5158-113 .الحمراء . شارع جاندارك.بناية المقدسي.ص:120.

2- **الخطية:** إن النص المكتوب مثلا حين يتفاعل مع أي نص فهو ينقله إلى نظامه الخطي، ويقدمه إلينا متسلسلا و متناميا تماما كما هو الحال مع أي نص مكتوب حتى وان كان النص المتفاعل معه من طبيعة مغايرة .

3- **التضمين:** ويتمثل في إدراج النص المتفاعل معه في نطاق النص، بصورة تجعله يبدو وكأنه جزء من رغم كونه طارئا عليه وعملية التضمين هاته تستدعي عملية بناء النص، وهو يتفاعل مع غيره من النصوص."[224]

- كل هذا يوضح لنا أن الباحث في الشعر الجزائري الحديث يلحظ فيه. مثلما يلحظ في بقية الشعر العربي منذ بداية نهضته الحديثة.نزعتين: نزعة المحافظة والتقليد وكان لها أنصارها والمتحمسون لها ونزعة التطوير والتجديد وكان لها روادها والداعون إليها.وهذا كله مرده إلى الظروف السياسية والثقافية والاجتماعية التي أحاطت بالشاعر الجزائري ، تضافرت كلها على توجيه الحركة الشعرية الى أن تتغلب عليه نزعة المحافظة والتقليد . وقد رأى في هذا الأمر "أحمد حمدي" رأيا معاكسا تماما حيث ذهب إلى " أن التجربة الأدبية الجزائرية ليست قصيرة ، وإنما هي تمتد من أشعار الأمير مرورا بجيل ابن باديس، والربيع بوشامة".

- نستخلص أن تصوفه في صفاء النفس والانصراف الكلي الى الذات الإلهية، وهذا اللون من شعره يذكرنا بأبيات ابن الفارض، والسهروردي و محي الدين بن العربي .و هكذا عاش الأمير متصوفا ومنصرفا للعبادة ونشر العلم والتأليف وخدمة الإنسانية إلى آخر يوم من حياته.

---

[224] سعيد يقطين: من النص الى النص المترابط.مدخل الى جماليات الابداع التفاعلي ،ص 103-104 .

الفصل الثاني

حضور النص الغائب في أغراض الأمير عبد القادر الشعرية

4) المدح و الفخر وشعر المناسبات.

5) الوصف و الغزل والحكمة.

6) الزهد والحنين والاعتذار.

المدح و الفخر وشعر المناسبات: الأميرعبد القادر الجزائري صوت فذ من أصوات العروبية و الجهاد في القرن الثالث عشر الهجري – التاسع عشر ميلادي – فقد كانت سيرة حياته بخطوطها القريبة والبعيدة ترجمة آمنية لتآلف الوجدان العربي، مشرقة و مغربة ،وشوقه للخلاصة من سطو الجهل و الخرافة وعبادة الذات القبلية. "ان الديوان عبارة عن منتجات شعرية كما هو معنون على غلافه باللغة الفرنسية في طبعاته الثلاث للدكتور المحقق ممدوح حقي poèmes choisies أي "قصائد مختارة " ، وعلى كل حال فإن الباقي من شعر الأمير كاف ليعطينا صورة واضحة عن قيمة الأمير الأدبية ،و قوته الشعرية، ومقدرته الفنية في الفخر و الحماسة ،و المدح والتغزل و التصوف و غيرها " [225] و التأمل في دفتر هذه الحياة يعجب و يتساءل كيف حفلت حياة واحدة بما يمكن أن تحفل به حيوات أخرى و عدة؟

و كيف اتسعت لكل تلك الحوادث المتباينة الشؤون و الشجون؟ و كيف نظم في سلك واحد بين الإمرة و الفقه و الجهاد و الشعر." فمن الآثار النثرية : وشاح الكاتب و زينة العسكر المحمدي الغالب: رسالة في فنون الحرب ، تتضمن ملخص الأنظمةو القوانين العسكرية ،و أنواع الكافآت والعقوبات التي سنها الأمير لجيشه الفني و تدل الرسالة على ما كان للأمير من بعد النظر ، و ثاقب الرأي في أمور الحرب ، ونظام الجيوش ، مع حداثة عهده بالحرب "[226] و هذا ما يدل على دلالة تلك الشخصية الثرية التي جمعت في اهابها ألوانا من المكرمات، ومنحت عصرها كثيرا من التجليات ، بحيث يضم ديوانه كل شعره بما في ذلك أشعاره في

[225] فؤاد صالح السيد: الأمير عبد القادر متصوفاوشاعرا ،المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر،1986،ط1،ص 92

[226] المرجع نفسه.ص 93

المواقف و التصوف والوعظ و الإرشاد و المذكرات " المقراض الحاد لقطع لسان الطاعن في دين الإسلام من أهل الباطل و الإلحاد : رسالة رد بها الطاعنين في دين الإسلام ممن عموا عن فضائله و تشبتوا بما ليس منه في شيء من بدع المارقين و أهل النفاق " [227] و هذا ما يوضح أن الجزائر الثقافية ممتدة الجذور في الماضي و هذا من أسباب المعاصرة و معانقة الأصالة بالآنية .

و من آثاره الشعرية نجدها تقسم الى قسمين: "

1- **الديوان:** و هو أكبر آثاره الشعرية، و هذا الديوان كما سنرى في حينه لم ينظم في فترة زمنية معينة، و لا في بقعة جغرافية ، بل نظم على فترات متقطعة، ،فقد رافق حياة الأمير منذ شبابه في أرض الجزائر إلى وفاته في دمشق .

2- القصائد الشعرية الواردة في مقدمة كتابه الصوفي الشهير ، المعروف باسم "المواقف" وقد ورد بعض هذه القصائد –وهو القسم الأول- في الديوان." [228]

لم ينل الأمير عبد القادر ، فخر الأجيال الجزائرية بالانتساب إليها فحسب ولكنه أيضا حصل على إعجاب معاصريه ، ومنهم قادة و ملوك الدولة الكبرى آنذاك و مفكروا و أدباء عصره ، كما نال احترام العامة، و ذلك لقوة شخصيته و تفردها ، و تميزها بعدة خصال قلما اجتمعت في غيره. "فالديوان رتب ترتيبا موضوعيا ،تبعا لموضوعاته وفنونه، لا ترتيبا تاريخيا ،حسب تاريخ نظم القصائد ،أو ترتيبا ألفبائيا حسب حرف الروي ..." [229] وهو ذو النسب

---

[227] فؤاد صالح السيد :الأمير عبد القادر متصوفاوشاعرا.ص 95.

[228] المرجع نفسه.ص 88.

[229] المرجع نفسه.ص 90.

الشريف ، السند القوي ، المجير الأمين الباذل المغيث سيد الأسياد وقائد القواد ،وعارف العرفان ،وإمام الائمة، و أديب الأدباء ، بحيث حرصت اسرته على تكوين شخصيته تكوينا حربيا و سياسيا ، و عاطفيا و أدبيا ،فكان مثلما تشغل باله أمهات الكتب التراثية ،فكذلك قد كانت تشغل باله مصانع البارود و الأسلحة ، و مصانع العملة الوطنية و إنشاء المدارس و المراكز التعليمية ." فان أقدم قصيدة مؤرخة في الديوان هي قصيدة " شددت عليه شدة هاشمية" و مطلعها :

توسد بمهاد الأمن قد مرت النوى ❁ وزال لغوب السير من مشهد الثرى .

المؤرخة سنة 1247 هـ-1832م." [230] فمن أهم المصادر التي أسهمت في تكوين شخصية الأمير عبد القادر العلمية خصوصا جانبها العقائدي ، المصادر التالية: الشفا للقاضي يحض، و كتاب الإحياء للإمام الغزالي ، و الرسالة للإمام محمد بن ابي زيد القيرواني، والملل و النحل للشهرستاني ،و الفتوحات المكية، وفصوص الحكم،و ترجمان الأشواق لمحي الدين بن عربي، و تهذيب الاخوان لابن مسكويه فالنصوص تتوزع مصادرها المتنوعة على ذاكرة واسعة يتداخل فيها العربي بالأجنبي ،القديم بالحديث ، العلمي بالأسطوري،الشعبي بالأكاديمي بالتالي رصد النص الغائب و تحديده إلى مهمة صعبة،لذا كل نص شعري هو تركيب معقد لنصوص كثيرة و متنوعة ، وهو قراءة و إعادة كتابة لها من خلال نموذج فكري ، و جمالي معين لان النص الغائب في حد ذاته هو مجموع النصوص التي ساهمت في حضور النص الحاضر تعمل على

[230] فؤاد صالح السيد :الأمير عبد القادر متصوفاوشاعرا ص 91.

تحقيق النص و تشكل دلالته، ومن ثم تتعطل عملية فهم استيعاب النص (الدلالة الغامضة فيه).

" فلعل طبيعة الإعمال الشعرية المطبوعة في القرن التاسع عشر تحملنا على الاعتقاد بأن الناشرين في الأغلب الأعم، كانوا يراعون أذواق الفئات المتلقية للشعر ،ولم يكنوا يصدرون عن ذوق الطليعة أو ذوقهم الشخصي وحسب، مع تسليمنا باختلاف أذواق الناشرين أنفسهم [231]".

نجد القديم و الجديد لغة لفظتان،قديما قدم اللغة نفسها ،لكن مفهوم القديم و الجديد أدبيا مفهوم حديث ظهر بفعل التطور الأدبي لبذي عرفته حقبة معينة من تاريخ الأدب العربي الحديث ، ثقافي و فكري أي الصراع بين ذاتية الفكر و موضوعيته ، أي بين القومي و العالمي .حضاري تجلى في الصراع بين الحضارة الشرقية في أخلاقها و قيمها ، ومحور سياسي تجلى في الصراع بين القوى الوطنية أو القومية ، وبين القوى الاستعمارية الغربية في المجال السياسي . ومحور اجتماعي تجلى في التناقضات التي زخرت بها فترات المخاض الاجتماعي بعد دخول المجتمع العربي غمار التحديث و التنمية الاجتماعية .

" لهذا حظى الشعر في بداية مرحلة بعث التراث باهتمام بارز، و ذلك لعراقته في البيئة العربية ، ولأصالته في حضارتها و لأن النثر لم يكن يحظى بالاهتمام الذي كان يحظى به الشعر في التراث القديم .." [232] ولهذا نجد الانكباب على التراث القديم بتحقيق مخطوطاته ونشرها

---

[231] ابراهيم السعافين:مدرسة الإحياءو التراث،ص41.

[232] المرجع نفسه ص .78

نشرا علميا ييسر على القارئء الانتفاع بها من غير جهد ،فمن بين ما يؤكد إحياء الشعر العربي القديم.

-نشر الدواوين المخطوطة وتحقيقها وشرح الغريب فيها و تزويدها بالملاحظات و الهوامش.

-مجاراة هذا الشعر ونظم قصائد على منواله لإقناع الناس الذين كادوا يظنون أن الشعر العربي قد ولى عهده الزاهر ومضى إلى غير رجوع.

-وجود نص غائب أو مواز إلى جانب النص الشعري يسمى عند علماء النص في العصر الحديث (تناص) أو ضرب من تداخل النصوص .

-بهذا نستخلص أن لكل مذهب أدبي ،ولكل طريقة فنية،جانبا يتعلق بوسائل الأداء وجانب يعكس ذات المبدع وهموم بيئته و انتقائية الروافد الثقافية تتوازى انتقائية العناصر المكونة لمفهوم الحداثة أو النهضة . والتأثر بالتراث نوع من التفاوت يتراوح بين الضعف و القوة ، والتمثل المتصل بالنسيج و المصل بالمعاني و الصور. فالشاعر يستحضر المعنى و النص و يتمثل النسيج برمته ولكن بتغيير جديد من دون تنصل الموروث ،لهذا الشعر هو لسان المجتمع و الأمة و المعبر عن جوهر الشعب و حقيقة الحياة وآلام و أحلام الناس.

" لقد اشتهر الأمير عبد القادر الجزائري في بلاده بنزعته البطولية و الحماسي و النضالية ضد الغزو الفرنسي لأرض الوطن ، فعرفه أهل الجزائر مناضلا وطنيا ، وبطلا صنديدا ومقاتلا شجاعا، قاوم الجيوش الفرنسية النظامية ، المدربة أحسن تدريب ،و المجهزة بأحسن وسائل التجهيز العسكري و الحربي ، في ذلك الوقت ، فأظهر صلابة قوية و خبرة عسكرية مع حداثة

عهده بالحرب." [233] كما تعد البيئة الاجتماعية و الجغرافية التي نشأ فيها ، بالإضافة إلى مؤثرات روح القرن التاسع عشر (19) من ضمن أهم المصادر الأساسية التي عملت على صقل وعيه المعرفي،و رسمت معالم سيرته، و شخصيته الثقافية على الرغم من نفيه."

نفي خارج الوطن، وأمضى بقية عمره منفيا في دمشق ،فتابع في تثقيف نفسه في العلوم الدينية والدنيوية، وجالس العلماء و الفقهاء، ورجال الشريعة و الحقيقة و أخذ عنهم الشيء الكثير فأضاف كل ذلك إلى ثقافته و خبرته في الحياة العملية،فتوسعت آفاق معرفته ، وازدادت نموا و علوا." بهذا شغل منزلة رفيعة بين قادة و مشاهير،و هذا ما جذب غليه أنظار الشرق و الغرب[234]، وحظي بمحبة الناس في الشرق و الغرب، وبذلك يعتبر الشخصية الأكثر احتراما ، وشهرة طوال القرن التاسع عشر ، و قد ساعده على تبوء هذه المنزلة العالية خصاله الحميدة، و مواقفه الإنسانية النبيلة. "كان الشاعر كغيره كيانا مسحوقا ، يصارع من أجل كسب لقمة الحياة كل همه أن يحافظ على حيلته من الجوع فليس طبيعيا، و الحالة هذه أن يفتخر الشاعر مكابرا و نحن بطبيعة الحال لا نحجر على الشاعر أن يفتخر بموهبته على أسوأ تقدير ، غير أن ظروف الشاعر النفسية التي يشكلها كل ما يحيط به من وقائع و أحداث هي التي تحفزه إلى الفخر أو تقعد به عنه ." [235]

بهذا شغل مكانة عالية لا تقل رفعة و منزلة ضمن الشخصيات الثقافية المعاصرة له. "

لعل القصيدة العربية بعامة تفتقر إلى الوحدة العضوية ،ذلك أننا إذا طاعنا دواوين الشعراء في مختلف العصور لا نجد تماسكا واضحا بين أبيات القصيدة المختلفة ، وذلك راجع بطبيعة الحال

---

[233] فؤاد صالح السيد :الأمير عبد القادر متصوفا ،ص 10.

[234] فؤاد صالح السيد :الأمير عبد القادر متصوفاوشاعرا ،ص 93.

[235] المرجع نفسه ،ص 104.

إلى فهم الشعراء لبناء القصيدة ، فالقصيدة لا تقوم على وحدات فنية تلتقي معا على رسم صورة عامة للقصيدة ، وإنما تقوم على وحدة البيت ، فالبيت يشكل وحدة أساسية في القصيدة." فقد كان أحد المثقفين العرب البارزين في عهده، و أهم شخصية ثقافية عربية أثارت الجدل و الإعجاب، والتقدير و الاحترام على امتداد القرن التاسع عشر، إذ لم يعرف هذا القرن شخصية مثل شخصيته جمعت بين السيف و القلم ، و اللين و الحزم ، والعاطفة و العقل ، و الاطلاع على المعرفة التراثية و التطلع على امتلاك المعرفة المعاصرة و ما نبتدئ من ديوانه الفخر.

"كينونة الأمير كانت ممتلئة و متخمة بالأحداث و الوقائع ، ومعلوم عند المشتغلين على الحقول الأدبية ، أن مثل هذه الظاهرة تجعل الحقل الأدبي و جنسه المراد التعبيربه عن هذه التخمة أو هذا الشبع التجاربي قد يؤدي إلى نوع من اللاتوازن و يساهم في خلق تعون بين الشكل و المضمون." [236] وقد تنوعت الأغراض في شعره. أما الفخر عند الأمير فقد يحتاج منا إلى وقفة متأنية و رصينة بسبب كون الأمير صاحب ثقافة شرعية ويعرف جيدا أن الفخر هو ضرب من التفاخر و التعالي عن الغير و هي خلقة غير محمودة شرعا و خاصة عندما تكون من المفتخر بنفسه."[237] و من قصائده الفخرية :

لئن كان هذا الرسم يعطيك ظاهري ❁ فليس الرسم يريك صورتنا العظمى

فثم -وراء الرسم -شخص ❁ له همة تعلو بأخمصها النجما [238]

محجب ،

---

[236] بشير بويجرة الأمير عبد القادر، رائد الشعر العربي الحديث ،ص 79-80.

[237] المرجع نفسه،ص 81.

العربي دحو،ديوان الشاعر الأمير عبد القادر-1807م،1883م ،جمع وتحقيق شرح وتقديم-ثالة-عاصمة الثقافة العربية،19981.ص 45.[238]

أبونا رسول الله

أبونا رسول الله ،خير الورى طرا ❁ فمن في الورى يبغي يطاولنا قدرا

وبالله أضحى عزنا و جمالنا ❁ بتقوى وعلم والتزود للأخرى[239]

وهذا البيت له معنى في القرآن الكريم من الآية:" وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ" البقرة :197

"إن الأمير لم يكن في نيته انتاج نص شعري في الفخر يشيد بخصاله و بنسبه هو لذاته ان اتكاءه على غرض الفخر يدخل ضمن استراتيجية دعائية إعلامية – بحسب ما يتوفر في ذلك العصر- القصد منه تقديم نفسه للآخر الذي يجهل الأرض و الشعب اللذين قام بغزوهما فجأة، كما يقدم نفسه لأمته ولشيوخ القبائل الذين قد لا يعرفونه نظرا لحداثة سنه ولعدم بروزه قبل ذلك بأعمال تعرف به." [240] ومن قصائده في الفخر :

بنا افتخر الزمان

لنا في كل مكرمة مجال ❁ ومن فوق السماك لنا رجال...

فبالجد القديم علت قريش ❁ ومن فوق ذا طابت فعال.

و كان – دوام الدهر- ذكر ❁ بذا نطق الكتاب ولا يزال.[241]

ففي هذا البيت نجده استأنس **بقوله تعالى:**

---

[239] المرجع نفسه.ص 45

[240] بشير بويجرة: الأمير عبد القادر، رائد الشعر العربي الحديث ،ص83-84.

[241] العربي دحو:ديوان الشاعر الأمير عبد القادر ، ص 46.

" إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا " الأحزاب

لبيك تلمسان

إلى الصون مدت تلمسان يداها ❁ ولبت هذا حسن صوت نداها.

وقد رفعت عنها الإزار ،فلج به ❁ وبرد فؤادا،من زلال نداها.[242]

بي يحتمي جيشي

تسائلني أم البنين ،و إنها ❁ لأعلم من تحت السماء بأحوالي

اذا ما اشتكت خيلي الجراح ❁ أقول لها:سبرا كصبري و اجمالي.

تحمحما

و أبذل يوم الروع نفسا كريمة ❁ على أنها في السلم أغلى من الغالي.

وعني سلي جيش الفرنسي تعلمي ❁ بأن منایاهم بسيفي وعسالي.[243]

وفي هذه الأبيات نجد ما له صلة بقول عنترة العبسي:

فأزور من وقع القنا بلبنه ❁ . و شكا إلي بعبرة و تحمحم.

وقد استوحى منها كذلك قول عنترة أيضا:

---

[242] الأمير عبد القادر : الديوان ،ص 47.

[243] المصدر نفسه ،ص49.

هلا سألت الخير يا ابنة مالك ❁ ـ إن كنت جاهلة بما لم تعلمي.

يخبرك من شهد الوقيعة أنني ❁ أغش الوغى واعف عند المغنم.

" الفخر في شعر الأمير يماثل تماما الشعر الوطني الآن الذي يفتخر فيه الشاعر بمناقب وطنه و بمفاخر أساطين أمته و العادات و التقاليد الانسانية التي يتمسك بها سكان هذا الوطن الذين يفاخر بهم ومن أجلهم."[244] " فالفخر سرعان ما تتحول أريحته إلى هيام بالمرأة والى شموخ بالشمائل حيالها، والغزل لا يلبث أن يتحول الى فخر يستعرض مآثر الذات و خصالها ، و التواجد الصوفي ما يبرح أن يغدو أنشودة وجد متولهة بمفاتن الحبيب و جمال خلقته." [245] ومما قاله في الفخر كذلك :

ما في البداوة عيب

يا عاذرا لامرئ قد هام في الحضر ❁ وعاذلا لمحب البدو و الفقر

نحن الملوك فلا تعدل بنا أحدا ❁ و أي عيش لمن قد بات في خفر ؟ [246]!

ولعل هدا البيت فيه فيه بعض ما في قول الزبرقان من بدر " نحن الكرام فلا حي يعادلنا ".

---

[244] بشير بويجرة: الأمير عبد القادر، رائد الشعر العربي الحديث ،ص 89.

[245] عشراتي سليمان: الأمير عبد القادر الشاعر، مدخل إلى تحليل الخطاب الشعري.ص 62.

[246] الأمير عبد القادر : الديوان ، ص51 .

شددت عليه شد هاشمية.

توسد بمهد الأمن قد مرت النوى ❁ وزال لغوب السير من مشهد الثوى

وحل بكهف لا يرام جنابه ❁ فمن حل فيه مثل من حل في طوى

لذاك عروس الملك كانت خطيبتي ❁ كفجأة موسى بالنبوة في طوى .

وقد علمتني خير كفء لوصلها ❁ وكم رد عنها خاطب بالهوى [247]

بيوم قضى نحا أخي فارتقى الي ❁ جنان له فيها نبي الرضا أوى

فنجد في أبياته استحضار للنص الغائب مثلا كلمة طوى :هي الجبل الذي نزل به النبي موسى عليه السلام وقد ورد في قوله تعالى " فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى " طه :12 كذلك في قوله (بيوم قضى) فيه معنى من قوله تعالى :"(مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا " الأحزاب: 23 وفي قوله عن الملك بذهب غلى أنه تفاجأ بالإمارة كما تفاجأ موسى عليه السلام بالنبوة في الوادي المقدس.

بل نرى أن أشعار الأمير في قصائده الفخرية على الخصوص قد حددت بوضوح كبير الصفات التي جبلت عليها شخصيته فقد رأينا التنويه يتواتر في تلك القصائد بنعوت بعينها لا نحسب الا أنها هي النعوت التي كان يعتد بها الأمير ،وربما كانت قصيدته " لنا في كل مكرمة مجال .. هي إلا حفل بالقيم الافتخارية و الأكثر إعرابا عن أريحية الأمير ونفسيته و خصاله

[247] الأمير عبد القادر : الديوان ،ص 52-53-54.

..." [248] ،بهذا نجد أنه :" خرج الأمير بالشعر و أغراضه عن نطاقها العرفي واقتحم بها حدود المقاومة فالمدح لم يعد أنانية وتضخيما مبالغا فيه للذات ، والفخر لم يعد مكاثرة وعنتريات انفعاليته لا طائلة ورائها، و الفروسية لم تعد شموخا وتطاولا كاريكاتوريا على ابن العم أو ابن العشيرة و إنما أضحت تلك الأغراض جميعا حدثا قتاليا وفعلا بنائيا تواجه به الأمة شروطا قومية جديدة و مستلزمات حضارية طارئة وحاسمة "[249] بهذا نجد استحضار الأسماء المجيدة له له أثر معنوي فاعل،لأنه يقرن التابع باللاحق، ويعمل على الارتفاع بالخلق إلى درجة السلف من حيث ما ينتظر منه على مستوى معين ،و الشعرية تمارس فعلا و تعقد صلة القربى على المستوى الشعوري بين صانعي أمجاد الأمس و بين الجموع المبتلية بالعدوان اليوم.

تعد المدائح النبوية لازمة ثابتة من لوازم الشعر التقليدي في الشعر العربي الحديث فهو من فن التاريخ الشعري دليل على المحافظة عند الشاعر وتجمعت الخطوط وافترقت أو ذهبت مذاهب شتى في التصوير فلما قومت الحصيلة كان الرسول شخصية بطلة.و توارث الشعراء في أول هذه الفترة مدح النبي صلى عليه وسلم عن أسلافهم فأصبح الشاعر لا يعد شاعرا بحق إلا إذا مدح النبي بمناسبة وبغير مناسبة ، للتبرك ، وصار هذا تقليدا بقي مستمرا حتى العقد الخامس من هذا القرن ،حيث بدأ يتوارى قليلا ويغيب عن شعر كثير من الشعراء الذين مازالوا يمثلون المدرسة التقليدية رغم وجودهم وسط مدارس موغلة في التجديد.."

---

[248] عشراتي سليمان: الأمير عبد القادر الشاعر، مدخل إلى تحليل الخطاب الشعري ،ص 105.

[249] عشراتي سليمان:الأمير عبد القادر الشاعر، مدخل إلى تحليل الخطاب الشعري ع نفسه،ص10.

فمن المديح في ديوان الأمير نجد قصيد : يا أيها الريح.... فهي قطعة مدحية خالصة[250] يتركز القول فيها حول تعداد خصال الصحب والعصية والتبعة ، وهي من اللون التجنيدي وبث مشاعر الثبات : الباذلون نفوسهم .

يكفيهم شرفا و فخرا باقيا ❁ حمل اللواء الهاشمي الأطول.[251]

إن سياقها القائم على تعداد المكارم و المنجزات يدرجها ضمن سلك القصائد التجنيدية ، وتلك هي مرامي الشعر الامتدادي الجمعي ،اذ دوافعه تحقيق الحافزية وإدامة حيويتها ومن قصائد المدح نجد القصيدة الأولى في مدح مدينة (أطلون) وكيفية إكرامها ،ومرساها و مراكبها ومنزلتها من مدائن فرنسا. " أطلون:طولون Toulon" مدينة جنوب شرق باريس على بعد 840 كلم قاعدة بحرية و تجارية على ضفة البحر الأبيض المتوسط بها نزل مركب الأمير عندما حول اتجاهه وهو سائر من وهران الى المشرق .وقد رسمت في جميع المخطوط بألف قبل الطاء. ويبدو أن الأمير ورفاقه كانوا ينطقون بها أطلون لسماعهم لها في درج الكلام مصحوبة بأداة "a" الدالة على انتهاء الغابة Toulon à فظنوا أنها جزءا من الكلمة." [252]

في مدينة طولون

أطلون أغمرتنا بالبسط ❁ أنلتنا كرما بالفضل منفعم .

---

[250]أحمد قبش: تاريخ الشعر العربي الحديث، دار الجيل، بيروت،د ط،دت ،ص35.

[251] الأمير عبد القادر: الديوان ،ص.85.

[252] مذكرات الأمير ،ص 206.

أطلون طلت رفيعا شدت في غرق ❁ تعلو على غرف بالموج منتظم

أطلون قد علت الجبال منزلة ❁ يا حبذا الرفع مثوى كل منفعم.

"فنجد هذا يمدح أرضه بكثرة المياه للاتساع في الشرب و الطهارة و النقاوة ونحو ذلك ،وهذا بمدح أرضه بالبعد عن المياه كجود منابتها وصحة هوائها وذهاب الوخم منها.

وهذا يمدح أرضه بالسهولة ، بجودة المزارع فيها وكثرة ربيعها واتساع خيرها، وهذا يمدح أرضه لكونها جبالا لتمنعها،وعزة أهلها وحسن مائها وهوائها و قناعتها وغير ذلك. "

وقد مدح السلطان العثماني عبد المجيد الأول بثلاث قصائد مطلعها :

آمن من حمامة مكة

الحمد لله تعظيما واجلالا ❁ ما أقبل اليسر بعد العسر اقبالا...

لازال تخدمه نفسي و أمدحه ❁ مستغرق الدهر أبكارا و آصالا.[253]

فالبيت الأول معنى قوله تعالى :" **إنّ مع العُسر يُسرًا** " الانشراح :05 والثاني له صلة بقوله سبحانه " وسبحوه بكرة وأصيلا" الأحزاب:42.

توسلات و دعاء

يا رب يا رب يا رب الأنام ❁ إليه مفزعنا سرا و اعلانا

[253] الأمير عبد القادر : الديوان ،ص 90-91.

يا ذا الجلال و ذا الإكرام مالكنا ❁ يا حي يا موليا فضلا و إحسانا

فانصره عزيزا لا نظير له ❁ حتى يزيد العدا :هما و أحزانا

والراكبون عتق الخيل ضامرة ❁ تخالها في مجال الحرب عقبانا

جيش إذا صاح صياح الحروب لهم ❁ طاروا إلى الموت فرسانا ورجلانا

وجهت وجهي أناني ما دعوت ❁ بأهل بدر حماة الدين أركانا.[254]

فنجد هنا استحضار قوله تعالى: "تبارك الله ذي الجلال والإكرام " الرحمن:78.

وقوله : "وينصرك الله نصرا عزيزا " الفتح: 3 وفي البيت الرابع نجد البيت على صلة ببيت أبي البقاء الرندي:

يا راكبين عتاق الخيل ضامرة ❁ كأنها في مجال السبق عقبان.

وفي البيت الخامس نجد المعنى مستمدا من قول قريط بن أنيف :

قوم اذا الشر أبدى ناجديه لهم ❁ طاروا اليه زرافات ووحدانا

ووجهت وجهي مأخوذ من قوله : "وجهت وجهي للذي فطر السموات و الأرض وما أنا من المشركين."

---

[254] المصدر نفسه،ص 92-93.

نعم الأكرمين.

ولم أرى أعظم من نعمة ❁ منحت ولم تك في حساب.

سأشكرها شكر وقت السرور ❁ وأذكرها ذكر وقت الشباب.[255]

بهذا أعد شعر الأمير ظاهرة فريدة تعتبر وترصد ما تتعاطاه اليوم تحت مصطلح (التناص)

.

إن على مستوى القيمات أو على مستوى البنيات ،حين تقع على الكثير من محاورات الأمير مع لوامع الشخصيات ..فقارئ شعر الأمير يتعامل مع تقاليد القصيدة العربية التقليدية، و يتفاعل مع قيمها ويتعاطى مبادءها من الشعر العتيق . وأشعاره هي تشكيل مفرد و منظومة متواشجة لأنها ارتبطت جميعا بذات مفردة و بتجربة واسعة .

شعر المناسبات: ان الدارس لديوان الأمير عبد القادر ،يلاحظ أول ما يلاحظ محدودية الرؤية التاريخية التي أنجز بها هذا الباحث عمله ، فقد خصص مساحة ضيقة و فير وافية بشرط الرؤية التاريخية للقصائد التي نظمها الديوان في بيان الوقائع التي دارت حولها تلك قيلت فيها.فمن شعر المناسبات نجد قصيدة (ما في البداوة عيب) التي نظمها بمناسبة إنشائه مدينة الخيام المتنقلة بحيث يقول فيها:

يا عاذرا لامرئ قد هام في الحضر وعادلا لمحب البدو و القفر .[256]

---

[255] الأمير عبد القادر : الديوان ،ص 94.

[256] الأمير عبد القادر : الديوان ،ص 50

وقصيدة ذات خلخال :

خليلي وافت منكم ذات خلخال ❁ تتيه على شمس الظهيرة بالخال.[257]

وقصيد: طال ليلي يا أحبائي:

يا سواد العين يا روح الجسد ❁ يا ربيع القلب يا نعم السند [258].

وقد نظمها بمناسبة فصل إخوته عنه وإرسالهم إلى سانت ماكريت.

ومن الواضح أن الإحالة الى المناسبات التي نظمت فيها تلك القصائد ،جاءت مختلفة لدى كل منهما . وهو ما يجعل القارئ و الدارس يفقد مرتكزا لا تستغني عنه أي مقاربة للشعر القديم.

فالشعر جمالية انطمست فيها مؤشرات المناسبة و المحددات التاريخية و تعمقت تعبيريتها الجمالية، بقدر ما ارتفعت قيمة شعريتها.

ظلت قراءة الشعر القديم تستمد من المناسبة التي قيلت فيها القصائد مرتكزا لمعرفة إشاراتها وفهم إفادتها . وشعر الأمير كان واجهة وخطابا يشكلان مصدرا أساسيا في بناء علاقات متعددة وثرية مع شريحة اجتماعية من الجزائر أو مع بعض الأعلام و الملوك و السلاطين في العالمين العربي و الإسلامي ، وتعدد أسفاره ،ولقاءات متعددة للرجالات الفاعلة في العصر، وإعجاب الكثير من طبقات النبلاء و الأمراء و الملوكك في فرنسا و في العالم الغربي،

---

[257] المصدر نفسه ،ص 62.

[258] المصدر نفسه،ص 79.

نجد ما ذكره (برونو ايتين) من أن الأمير كان له دور بارز في حفر قناة السويس وصاحبه (دي لسبس). وإسهامه مع (شارل هنري تشرتشل) في تغيير صورة الشرق عند الغربيين

"و لقد ساهمت هذه العلاقات في تبادل المجاملات أثناء المناسبات أو تبادل بعض الآراء في بعض القضايا التي كانت تشغل الرأي العام حينذاك أو في شكل أسئلة توجه للأمير تحت غطاء كثير من المقاصد ." [259] وهذا ما دفع بالأمير الى نظم مقاطع أو قصائد شعرية للرد أو للمساهمة في نقاش أو للتهنئة أو للتعبير عن اعجاب : مثلا قوله في قصيدة أهلا بالحبيب :

أهلا وسهلا بالحبيب القادم ❁ هذا النهار لدي خير مواسم.[260]

وقد استقبل بها محمد الشادلي القسنطيني. وقصيدة : متى ينقلب نحسي

أخي نلت الذي قد كنت تطلبه ❁ وفزت دوني بما ترجو و ترغبه.[261]

وهي التي بعث بها الأمير إلى كاتبه (قدور بن روبلة) وهو في المدينة المنورة ، وغيرها من القصائد.

---

[259] بشير بويجرة: الأمير عبد القادر، رائد الشعر العربي الحديث ،ص 96.

[260] الأمير عبد القادر : الديوان ،ص 69.

[261] المصدر نفسه،ص 69.

2) الوصف والغزل والحكمة:

إن من يتأمل أشعار الأمير وتراثه الفكري ، لن تفوته الخلفية التعليمية التي أسس عليها الأمير ثقافته. فقد طفق الأمير في سائر ما كتب ونظم تقريبا يثير من المسائل القديمة والفكرية والكلامية و الفلسفية والمذهبية ما يؤكد ارتباطه الوثيق التراث.

وقد انتمى الأمير إلى القرن التاسع عشر، وهذا القرن موصول بعصر ما قبل النهضة العربية الحديثة على الرغم مما شهده ذلك العصر من أحداث هيأت إلى الذهاب نحو التغيير والتحول ، ومناهج التعليم التقليدي لتلك العهود ظلت تعتمد مادة التراث المعرفي كما توارثه الأجيال . وعند قراءتك لشعر الأمير ترى تأثره بالشعر العربي القديم جلي وملموس في الجملة، بل انك سترى التناص يتجلى مع قيم وصور وتقاليد خطابية جاهلية لا سيما ما تعلق منها بقيم الفروسية و النخوة والوصف والإشادة بجمال المرأة وبالبادية و فضائلها.

لقد استلهمت قصائد الأمير بعض أشعار عنترة وأضرابه من الشعراء الجاهليين واستحضرت مجد أولئك الشعراء في الإعراب عن الحب وإظهار شمائل العزة والكبرياء والفروسية." بل لقد استمد الأمير شيئا من خصائص الأدبية التراثية كما جسدتها تجارب الفحول من أمثال طرفة والنابغة والمتنبي والبحتري وأبي تمام وغيرهم" [262]وربما كانت ظاهرة الاقتباس جلية نصيا ومعنويا في عديد من قصائده، وهو ما دل على إحيائيته العملية في مضمار

[262] سليمان عشراتي :الأمير عبد القادر الشاعر ، ص: 108.

قول الشعر ونظمه. كما كانت ظاهرة التناص واضحة في شعره، وهي تعكس قراءة وتفاعل وتواصل ليس فقط بين الأمير وبين التراث العربي فحسب ، بل بينه وبين الإنتاج الشعري و الأدبي الذي عاصره كذلك.

نجد ما ميز الشعر الأمير بما يلي:" الشكل العمودي الذي استغل بجوره ونسج على منواله موضوعاته الشعرية المختلفة.

الأغراض الشعرية: إذ تعاطى المعهود من الألوان الشعرية الرئيسية التي تعاطاها الشعراء عبر العصور من فخر وغزل ووصف واخوانيات وما إلى ذلك.

والملاحظ أن الأمير لم ينظم في الرثاء، وذلك غرض كان يصرفه عنه، ولا شكمركزه كأمير للأمة وتصرفه عنه من جهة أخرى سيرته المتدينة والمستسلمة لقضاء الله وقدره .

الصورة الشعرية التي ظلت واقعية بيانية.

البنية الخطابية واعتماد المسكوكات التراثية أو الصوغ على غرارها." [263]

" نلاحظ أن معظم المضامين الشعرية توزعت على محاور كبرى يمكن حصرها في بعض هذه، دون أن ندعي لها الحصر و الشمولية و الإحاطة :

8- التغني بالثورة الجزائريةو تمجيد الشهداء.

9- التغني بما كان يطلق عليه على عهد الحزب الواحد: "الثورة الزراعية".

[263] سليمان عشراتي: الأمير عبد القادر الشاعر ، ص: 113-114.

10- التغني بالمكتسبات و المبادئ الاشتراكية تكريسا للخطاب السياسي الذي كان سائدا في وسائل الإعلام الجزائرية .

11- التغني بالقضايا التحررية في العالم ...

12- مضامين ذاتية (الاغتراب، الإحساس بالإهمال، الانطواء على الذات) ؟

13- تمجيد الفقراء و العمال الكادحين

14- وصف رسيس الحب، والتغني بالجمال" [264]

وبهذا وجدنا في ديوان الأمير محورا قائما بذاته تدور فيه القصائد حول الفخر و الاعتدال والشهامة، وتلك نزعة إنسانية تعاطتها الجماعات عبر العصور ومجدت بها عظماءها و حفظت مآثرها ." فيعتر فن الوصف من أدعى موضوعات الشعر إلى التصوير ،لأن الوصف بطبيعته يدفع الشاعر الى التعبير عن موضوعه بالأسلوب الذي يحسم الإحساس و تجسيم الإحساس لا يمكن أن يكون في قالب من الصور ،و لأن الوصف يعتبر من أغزر منابع الشعر الذاتي، لأن الشعراء لا يدفعون الى هذا اللون بدافع خارجي ، و إنما هم يصدرون فيه عن رغبة شخصية و إحساس باطني ولكن الشعراء يتفاوتون في التعبير عن تلك الرغبة وهذا الإحساس، حسبما يملكون من مقدرة خيالية ،و موهبة شعرية وقدرات عقلية تعتمد أساسا على ثقافة

[264] دراسات جزائرية،مجلة، ص22.

الشاعر"[265] فقد ظل الأمير يعتمد في عدته الشعرية على الموروث الناجز كما تلقاه من ثقافته و من أعراف تلك الثقافة بنحو ما كان يعتمد في كفاحه ضد العدو على ذات الجاهزية الحربية التي ورثها عن حضارته العربية الإسلامية و التي كانت بيئته و أمه لا تزالان تعتمدانها أساليب عدة و استفاتة.

ومما ذكره في الوصف نجد قصيدتان (وصف رحلة الى بو) يقول فيها:

إذا ما سألت عن خير و خبري ❁ فإني لنعمة الإله شاكر

وقد وافيت عزا في فرنسا ❁ ولينا في الأصاغر و الأكابر.[266]

وقصيدة : في مدينة طولون:

سهلت سهلا فجرت أهلا في سمة ❁ بأوجه لحسان الوجه في تيم

لها السماحة إذ قد زانها حور ❁ ممشى جداء بحضر صفرة النعم .[267]

الغـزل:

لابد من التأكيد أن الشعر العربي هو كذلك أخذ منحى ظاهرة التقليد شأنه في ذلك شأن باقي المعارف والفنون العربية الإسلامية خلال عهود الانحطاط. وقد عرف الأدب العربي تنويعا في بعض الإغراض الشعرية مثل غرض الغزل ،اذ ارتبط به لاحقا ما يمكن أن يسمى شعر

---

[265] محمد ناصر : الشعر الجزائري الحديث.ص427-428.

[266] الأمير عبد القادر ، الديوان ،ص 135.

[267] المصدر نفسه،ص 136

البطولة، سواء ما قيل منه في عهود ازدهار الحضارة العربية الإسلامية أو بعد ذلك، لاسيما تلك القصائد اليتيمة التي كانت تصدر أحيانا عن فرسان شعراء من أمثال المتنبي و أبي الفراس في القديم، و الأمير عبد القادر و البارودي في العصر الحديث زيادة عن تلك الأشعار التي ورثناها عن مرحلة ما قبل الإسلام ، والتي كان شعر عنترة في طليعة نماذجها ."ففي هذا العصر، عصر النهضة برزت اذن ظاهرة جديدة في شعر الغزل، إذ كف الحب عن أن يكون تجربة تبدأ بشخصين وتنتهي عندهما، بل تحول هذا الحب إلى موجود اجتماعي، واتصلت معاناة العاشقين بمعاناة العالم بأسره، و راح الشاعر يعي أن شرط السعادة العاطفية لا يمكن أن يتحقق في عالم تكبله العبودية و التقاليد و الأفكار الموروثة، فامتزج لقلق العاطفي بالقلق الاجتماعي و راحت المرأة ،للمرة الأولى، ربما تعبر عن خصوصية معاناتها منطلقة إلى حريتها وحقوقها، من خلال قصائد العديد من شاعرات وشعراء هذا العصر." [268]

نشأ الأمير في بيئة كانت شعريتها قد تفتحت منذ قرون على ألوان الملحون، فقد تعاطت الهلالية شعرا عاميا ونبغت فيه، وباتت منظوماته تستأثر بالذوق العام إلى جانب الشعر الفصيح. "ان من يدارس حياة الأمير في الطفولة و يتمعن في تفكيره و يتابع مراحل تعلمه قد يميل نحو ابعاد غرض الغزل من شعره نهائيا، لأن تكوينه الأول كان ينأى به بعيدا عن هذا الغرض ، زيادة على أن الظروف البيئية و المنشأ العائلي الأسري و نسبه الشريف كلها تقلل من نسبة إمكانية الخوض في هذا الغرض." [269] بحيث نجده نشأ في تلك البيئة التي كانت لا تزال

---

[268] جودت فخر الدين: حسن عبد الله، الغزل:،دار المناهل، دار الحرف العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت،لبنانص 43.

[269] بشير بويجرة: الأمير عبد القادر، رائد الشعر العربي الحديث ،ص90.

ترتبط في تراثها ومخيالها ومواجدها و أعرافها و تقاليدها بالبيئة العذرية، تلك البيئة التي عاش بها أسلافه من بني عذرة في الجزيرة العربية عصر بني أمية. فكان عليه أن يتأثر بشيء مما تحفل به تلك التقاليد من أشعار تتحنن الى مواطن الحجاز. " غرض الغزل كان أوفر حظا و أبرز من بقية الأغراض الشعرية و أصدقها تعبيرا عن كينونة الأمير وعن إنسانيته وعن رقة شعوره و احساساته، حين نجد له احدى عشرة مقطوعة و قصيدة شعرية ذات مستوى راق موضوعا و أسلوبا ، مقارنة مع الفترة التي وجد فيها و ماكان يميزها من ركاكة في اللفظ و فداحة في اللحن، ومع ما كان مفروضا عليه من قيود أخلاقية." [270] بحيث نجد غزلياته تتقاطع في مستويات عدة مع شعر الفروسية وما يتصل بذلك – عادة – من تمجيد لقيم البأس و الحمية و الرجولة ."

الأمير على الرغم من معايشته لفترى مليئة بالتخلف و بانعدام ثقافة تشبه نهمه الثقافي و العلمي و الجمالي ، فإنه كان أجدر منها و أقدر من شعرائها على قلتهم ، على التصريح بهواجس نفسه وبرؤاه عن الجمال وفي علاقة الرجل بالمرأة و في التعبير عن كل ما يجول في ذهنه وداخل عواطفه، دون رقابة أو حذف من أحد أو إحساس بالذنب تجاه أي أحد أو أي موضوع أو غرض شعري."[271] من هنا نجد شعر الأمير قد اتسم بخصائص شعورية وعاطفية تتلاقى مع خصائص الشعر العذري،من قبيل إعظام المرأة و اعتبارها أنفس ما تأنس به النفس و أروع ما تتعلق به المواجد وتتغنى به الألحان. "غزل الأمير يحمل شحنات ايديولوجية و منظومة جمالية وعلائقية بين الرجل و المرأة بغية تمرير رسائل حضارية وفكرية و جمالية الى " الآخر" المصر

[270] بشير بويجرة: الأمير عبد القادر، رائد الشعر العربي الحديث ،ص91-92.

[271] المرجع نفسه،ص94-95.

دائما على أن سكان هذه المنطقة عبارة عن مجموعة من البربر و الأعراب همهم الأول و الأخير هو السلب و النهب و القتل ولا أثر في قلوبهم للحب والعشق والعلاقة الشبقية/العاطفية بين رجالهم و نسائهم" [272].

أشعار الأمير تعبر عن غاية أبعد مما يتضمنه محتواها الغزلي. "شعر الأمير عامة ينتظم ضمن إيديولوجية كاملة متكاملة متجددة و تطمح إلى التجديد في كثير من الرؤى و المناهج وفي الأساليب ، تلك الأيديولوجية التي لا تستثني غرضا شعريا واحدا دون غيره من الأغراض، كما تعتمد أسلوبا واحدا دون غيره من الأغراض ، كما تعتمد أسلوبا واحدا أو آلية واحدة في خوض غمار الحياة في عمارة البلاد/الوطن و في لفت انتباه العباد و على هذا الأساس أرى بأن غرض الغزل عنده يتساوق ضمن نظريته للجمال وللفن ولتذوق الحياة ،تلك النظرية التي كانت تحمل في عمقها نقدا للأوضاع العربية الإسلامية في مختلف أبعادها و تجلياتها." [273] ، من أشعاره الغزلية قصيدة (مسلوب الرقاد)

ألا قل للتي سلبت فؤادي ❁ أبقتني أهيم بكل واد

تركت الصب ملتهبا حشاه ❁ حليف شجى يجوب بكل ناد

وقصيدة : (دموع ونار)

؟م فؤادي بالحبيب هتور ؟ّ ❁ ونار الجوى بن الضلوع تثور

---

[272] المرجع نفسه،ص70-71.

[273] بشير بويجرة: الأمير عبد القادر، رائد الشعر العربي الحديث ،ص72-73.

وحزني مع الساعات يربو مجددا ❁ وليلي طويل و المنام نفور .

ويقول في قصيدة (منوبلقياكم):

فإن كان هذا البعد تأديب مذنب ❁ فإنا بهذا القدر صرنا على الشفا.

وإنا لنخشى إن تطاول بعدكم ❁ يصير لكم سلوى لا يرتجى شفا.[274]

- ففي القصيدة الأولى نجد أثر القرآن الكريم واضحا عند قوله :" أهيم بكل واد " مأخوذ من قوله تعالى " ألم ترى أنهم في كل واد يهيمون " الشعراء :226. "فمن يقرأ شعر الأمير لا جرم يرى أن تأثره بالشعر العربي القديم جلي وملموس في الجملة بأنه سيرى التناص يتجلى مع قيم وصور وتقاليد خطابية جاهلية لا سيما ما تعلق منها بقيم الفروسية و النخوة و الوصف والإشادة بجمال المرأة وبالبادية و فضائلها" [275]، ومن قصائده الغزلية كذلك قوله في قصيدة (يتيه بدله عمدا):

أود بأن أرى ضبي الصحارى ❁ أرقب طيفه والليل سار.

وأطلب قربه، فيزيد بعدا ❁ قديما من وصال في نفار.

وقوله في (بنت العم):

أقاسي الحب من قاسي الفؤاد ❁ و أرعاه ولايرعى ودادي

---

[274] الأمير عبد القادر : الديوان ، ص57.

[275] عشراتي سليمان:الأمير عبد القادر الشاعر،ص 108.

(أريد حياتها وتريد قتلي) ❁ **بهجرأو بصد أو بعاد.**[276]

لقد كانت غزلياته تتقاطع في مستويات عدة مع شعر الفروسية وما يتصل بذلك الشعر، لأن القصيدة الغزلية عنده تصدر عن روح إحيائية ، اذ المد التراثي المحفوظ في الذاكرة من أجل صنع لوحة واقعية وبناء موقف شعري يعكس عن حق حالات من التواجد عاشها الشاعر وعبر عنها على تلك الكيفية.

يقول كذلك في (جودي بطيف):

جفاني من أم البنين خيال ❁ **فقلبي جريح و الدموع سجال**

ولو قلت : دمعي قد ملكت فكاذب ❁ **بدعواي بل ذاعرة وضلال.**

وفي قصيدة: (فراقك نار):

أقول لمحبوب تخلف من بعدي ❁ **عليك بأوجاع الفراق و البعد .**

أما أنت حقا لو رأيت صبابتي ❁ **لهان عليك الأمر من شدة الوجد.**[277]

- تشغل أشعار الغزل من الديوان مساحة مهمة و تستغرق الكر و الفر بين المحب و حبيبته فضاءات معتبرة، وتأخذ المسافات الخطابية و الوجدانية فيها مناجي تبدو في ظاهرها مختلفة المرامي متنوعة الملابسات. " فالغزل أسبق الفنون الشعرية إلى نفس الشاعر، أشدها حرارة، وأقومها نتاجا إذ أنه يتصل بالمرأة،وهي كانت و ما تزال ملجأ الرجل و ملاذه ، إذ

---

[276] الأمير عبد القادر:الديوان ،ص58.

[277] الأمير عبد القادر : الديوان ،ص60

أجدبت نفسه بالحوادث الأزمة والكوارث العاصفة، فيحس في حضرتها خصبا ولفيا وسعادة ، ويرى في بسمتها ابتسام الحياة وبهجة الدنيا وسعادة العيش ، ولا عجب فهي نصفه الآخر. ومبعث آلامه وآماله و ناحيته الفياضة المنيرة ، أليس في جمال نفسها و حبسها معين للشعر ثرار ، والهام جليل خالد روحي، لا ينقطع بينان ، الرجل و بين سماء الشعر ورباته؟ بلى وقلما نجد شاعرا في الشرق أو الغرب إلا وكانت المرأة أول شعره ومطلع قصيدته و " فينوسة الأولى" [278] .

بهذا نجد أن قصيدة الأمير تصطنع هي أيضا رمزيتها بنوع من التفوق ، وتقيم أسطورتها الخاصة لترى من خلالها الوجود وتحدد في ضوئها صلاتها بالإنسان والكائنات، بل وبالزمان و المكان ، فجميع قصائد الديوان نص أوحد ، ولابد أن تكون تجربة الشاعر متنا واحدا عنوانه هو تجربة العمر التي عاشها ذلك الشاعر و اعتز بها . و من أشعاره الغزلية نجد قصيدة (أرضي بطيف خيال) يقول فيها:

أحباب قلبي كم بيني وبينكم ❁ من أبحر وصفها قد دق عن حد

قد خانني الصبر ما أجدى بمنفعة ❁ سيل المدامع قد سالت خدي . [279]

وقد جاءت هذه القصيدة معبأة بالبديع مجاراة من الشاعر للمشاعر داود البغدادي الذي مدح الأمير بقصيدة طافحة بالبديع مطلعها:

---

[278] أحمد الشايب: الغزل في تاريخ الأدب العربي ، دار المعارف للطباعة والنشر، سوسة-تونس ،ص 17-18.

[279] الأمير عبد القادر : الديوان ،ص62

جاءت مبشرة الأحباب بالبشر ❁ حيت فأحيت بنشر ميت البشر

صبت على الصب أنواع التفضل إذ ❁ سرت فسرت معنى بالغرام سرى

ويقول في قصيدة (ذات خلخال):

خليلي وافت منكم ذات خلخال ❁ تتيه على شمس الظهيرة بالخال

فما نسج داود كنسج عناكب ❁ ولا الغادة الهيفاء تزهو بخلخال[280]

بحيث نجد في هذا البيت مثل قوله تعالى : " **وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِتُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ** ".الأية80،سورة الأنبياء

إن قراءة أشعار الأمير تستوجب الاستناد على حظ من التأويل اليقظ، لا سيما أشعاره العاطفية و الوجدانية ،فقد استطاع الأمير أن يتوفق بها ، أو على الأقل ببعض مستوياتها عند نقطة شارفت تقاطعات متعددة، إذ جاء الخطاب يحتمل المنحى الغزلي الموضوعي (التغزل بالمرأة) وجاء في ذات الوقت يحتمل دلائل التواجد الروحي المتسامي بالذات الإلهية وجاء ثالثة يحتمل أمارات معنوية تجبل على هم جسيم سكن قلب الشاعر واستوطن روحه القضية."[281] بحيث نجد من المعروف الشائع أن الغزل هو الحديث عن المرأة وما قد يكون لها من جمال و فتنة ، وما قد تؤثر في نفس الرجل وتبعث فيها الحرقة و الجوى ،أو كما تقول كتب اللغة إن الغزل هو الهو مع النساء، فأنت تجد أن هذا الكلام فيه خلط ومزج يجمع شتى الألوان و أنواع المعاني و الموضوعات التي ترجع في الحقيقة إلى أصول متباعدة وقد تكون متنافرة أيضا،فما كان كل

---

[280] المصدر نفسه،ص62-63.

[281] محشر اتي سليمان:الأمير عبد القادر الشاعر، مدخل إلى تحليل الخطاب الشعري، ص58-59.

حديث عن المرأة غزلا وليس كل شعر فيه ذكر المرأة فنا ترى فيه تلك العاطفة التي تصل بين الرجال و النساء.

ومن قصائده الغزلية كذلك ، قصيدة (ليس للحب دواء) يقول فيها:

سألت رجال الطب أخبر كلهم ❁ وهم أهل تجريب و أهل ذكاء

بأن سقيم الحب هيهات ماله ❁ دواء إذا ما الحب أصبح نائي.[282]

وقوله في قصيدة (باللحظ تخدش وجنة):

أقول لقوم لا تفيد نصيحتي ❁ لديهم ولو أبديت كل الأدلة

ألا فاتركوا ورد الخدود وشأنه ❁ فتخديدكم في الحد أقبح فعلة.[283]

- من هنا نستنتج عمق إنسانية الأمير وهشاشة مواقفه تجاه المرأة وضعف ارادته أمام من يحب ويعشق حين يبدو التصريح بالغبن وانعدام المقاومة بتكريس لقطتي الهجر و الظلم.

" وقد يعثر الباحث على بعض القصائد القليلة التي تعالج موضوعات ذاتية ولكنها لا تتجاوز الغزل التقليدي المتكلف و الفخر القائم على التباهي بالأجداد و الأنساب، والتذمر من العصر و أهله بطريقة متهافتة ،ضعيفة، الى جانب المجاملات و الاخوانيات مثل التهنئة بمولود أو بترقية ،أو بوسام ،أو بمناسبة عيد ، أو للتعزية في مصاب "[284]

---

[282] الأمير عبد القادر : الديوان ،ص64.

[283] الأمير عبد القادر:الديوان ،ص 64

[284] محمد ناصر:الشعر الجزائري الحديث،ص 19.

من خلال هذا نجد أن الشعر الجزائري المعاصر قبل الثورة ،ثورة نوفمبر 1954 و بعدها أن شعر هذه الفترة يخلو من الغزل، ويرجع النقاد السبب الى أن الشاعر الجزائري كان مشغولا بقضايا مصيرية."صحيح أن ثورة الجزائر و نضالها أقامت الدنيا و أقعدتها، والشاعر يعيش أتون هذا النضال ويلتزم بقضايا وطنه وشعبه الا أن هذا الالتزام لا يعني أن يخلو قلب الشاعر من حب امرأة ،فالنص الشعري مهما كان موضوعه تخلده قيمته الفنية شكلا ومضمونا"[285].

ونستخلص من هذا كله أن الغزل الحق إنما هو الحديث عن الرجل لا عن المرأة ،هو ذلك الشعر الذي يصف نفس الرجل و آلامه و آماله في المرأة و منها، ويصور تلك الحرقة التي أصابت الرجل لما أسره جمال المرأة، ثم امتنعت عليه فأورثته حسرة و نارا،فشكا المرأة وتضرع اليها و شكا الحب و آثاره ، وساهر النجوم واستلهمها أخبار من يحب و رأى في كل مظاهر الحياة حبا وقطيعة و شوقا وعجزا بما تسد له نفسه على الدنيا من الألوان و الآثار. "لأن الحديث عن المرأة أول الأمر يكون وصفا لمحاسنها وجمالها ثم يتبع هذا وصف هذا الأثر في نفس الرجل و هيامه وغرامه و آخر الأمر يكون الشعر حديثا و قصصا عما يكون بينهما من لهو وعتب وتسام واسناف. وليس بعد الاسناف الا هدوء العاصفة والانصراف الى درس المرأة كلغز أو شيء من أشياء الدنيا ثم التصون عنها و البحث فيها قد يكون أسمى ، من جمال عام في جميع مظاهر الكون." [286]

شعر الجيش و الوطنية : نجد في قصيدته (غلاء الدار بالجار) يقول:

---

[285] أحمد دوغان: (الأدب الجزائري الحديث) ،ص 5-6

[286] أحمد الشايب: الغزل في تاريخ الأدب العربي ،ص 15.

أبى القلب أن ينسى المعاهد من بروسا ❁ وحبي لها من بين الجوانح قد أرسى

أكفله سلوانها وهو مغرم ❁ فهيهات أن نسلوا وهيهات أن ينسى ...

بلاد لها فضل على كل بلدة ❁ سوى من يشد الزائرون لها الحلسا.[287]

وهو في هذا البيت الأخير يريد البقاع التي عناها الرسول صلى عليه وسلم. " لا تشد الرحال إلا لثلاث..." ،ففي هذه القصيدة يتحنن الشاعر الى منزله في (برسا)بتركيا حيث كانت إقامته أول الأمر بعد إطلاق سراحه من سجون فرنسا .وهذه مقومات كانت كافية لأن تجعل قلب المسلم يخفق بمحبة الأمصار و البلدان أينما حل من أقطار دار الإسلام. وهو يبين حال التكتم العاطفي التي كان الأمير يعيشها تجاه وطنه و الحنين إليه، وبعض هذه الإفادات يكشف لنا سر سكوت الأمير عن الوطن الأم في شعره وعدم استدعائه إياه تصريحا ، ويقول في قصيدة (عابد فكرة):

يا مد عذا عابدا لفكره فقف ❁ فأنت يا غافلا على على شفا جرف.

جعلت عقلك هاديا ونور هدى ❁ أضلك العقل أين أنت في تلف.[288]

فهذه القصيدة روحية فكرية ، وهناك من القصائد ما تستحضر مشاهد الحشر، بحيث الموت هو الضفر الحقيقي الذي تتوج به حياة الإنسان في هذا الوجود ،إذ به يرتقي الإنسان إلى عالم الوجود الحق، ونجد هذا في قوله في قصيدة (لو حضرت) :

---

[287] الأمير عبد القادر: الديوان ،ص95-96.

[288] الأمير عبد القادر : الديوان ،ص:127

يا صاح أنك لو حضرت سماءنا ❁ وقت انشاقها حين لا تتماسك

وشهدت أرضا زلزلت زلزالها ❁ ألفت ما فيها و الجبال دكادك

وشهدت صعقتنا والاله قائل ❁ الملك في اليوم مالي مشارك.[289]

ففي هذه القصيدة نجد معاني سورة الزلزلة ، وهناك كذلك ما أخذه من قوله تعالى: " لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ " غافر :16 ، ونجد كذلك قوله في قصيدة (الباذلون نفوسهم):

يا أيها الريح الجنوب ! تحملي ❁ مني تحية مغرم و تجملي.

و أقر السلام أهيل ودي و آنشري ❁ من طيب ماحملت ريح قرنفل [290]

- ففيها اشادة بالمجاهدين و تضحياتهم ،فهو قصيد صالح لأن يكون نشيدا وطنيا لعصره وفيه يتعهدهم بالدعاء ، فشخصية الشاعر هنا تتوزعها المسؤوليات وكان غيابه عن جانب من جبهة القتال يقتضي منه مثل ذلك الحضور المعنوي ،فلذلك كانت هذه القصيدة التي تدعمت بمددها المضموني و ذلك بارسال الأمير الشاعر دعائه لجنوده، إذ أن الدعاء في موقف كهذا هو مظهر من مظاهر المشاركة في عين المكان ،أما في قوله في قصيدة (تحصنت لا خوف من الموت):

الله أعلم أن هذا لم يكن ❁ مني على الأمر الطويل دليلا

كلا و ان منيتي لقريبة ❁ مني و أصبح في التراب جديلا .[291]

---

[289] المصدر نفسه،ص 129.

[290] الأمير عبد القادر : الديوان ،ص84.

[291] المصدر نفسه،ص84.

وهذا ما يوضح أن الواقع العام الذي عاشه المسلمون على مدى تلك العهود الطويلة من الانحطاط قد نمى لديهم وازع التوجس وعمق فيهم مشاعر التجرد و التقلل لما رأوا عليه أحوالهم المختلفة من تقلب لا تضمن فيه سلامة العاقبة . وقد تجسدت فلسفة تلك العصور في هذا التكفف وهذا الشعور بالتأثم الذي لبت يعرب عنه المسلمون نحو الفعل المثمر و المهام البنائية.

3- الزهد والحنين- والاعتذار: نشأ الأمير نشأة بدوية وأن يتثقف ثقافة دينية محض يلتزم بها بأن يصبح رجل دين و شيخا للطريقة القادرية مكان والده وجده لا أن يترك لنا ديوان شعر كاملا في جميع أغراضه و بحوره و أساليبه التي تذكرنا بنفحات البطولة العربية."نجد أن غنى العلاقات التي كانت تربط الأمير بمحيطه أو بالفاعلين الأساسيين فيه كان له الأثر الفعال و الأساسي في إثراء التجربة الشعرية لدى الأمير وفق رؤية تجديدية للمضامين و الموضوعات التي لم يكن يلتفت إليها قبله و التي استطاع أن يكرس فعاليتها ضمن بعد النظم الشعري المحمل بالبعد الوطني و بالنظرة الواعية بمكامن النفس المبدعة وبمواقف الرجال و مصائر الأمم و الشعوب."[292]

حاول الأمير أن يبعد التصوف عن المشاحنات التي كان يتخبط فيها في هذه الفترة و أن يبعده عن الشعوذة والاستغلال الذين كان يدور في فلكهما عندما كان يربط بالمناقب و الكرامات." نجده ملزما منذ الوهلة الأولى بالأسس و التقاليد المتوارثة أبا عن جد فيه، فزيادة على أنه قرأ الأمهات من المدونات ذات الصلة بالموضوع سواء كانت مؤلفة أصلا من طرف

[292] بشير بويجرة: الأمير عبد القادر، رائد الشعر العربي الحديث.ص 97-98.

علماء و أصحاب الشأن من المتصوفة من داخل الأمة العربية الإسلامية أو كانت موضوعية من أقلام تنتمي إلى حضارات عالمية أخرى كاليونانية والهندية و الفارسية "[293] فمن قصائده في التصوف نجد قوله:

أغث يا مغيث المستغيثين ! والها ❁ ألم به من بعد أحبابه الضر

وما حاتم؟ قل لي وما حلم أحنف؟! ❁ و ما زهد ابراهيم أدهم ؟ اما الصبر

ذليل الأهل الفقر لا عن مهانة ❁ عزيز ولا تيه لديه ولا كبر.[294]

فهو يقصد هنا حاتم الطائي الشاعر العربي الكريم الذي عاش الجاهلية ، يضرب به المثل لكرمه وواحد من حكماء العرب كذلك و إبراهيم أدهم. أحد نساك سورية الذي صرف نفسه عم متاع الدنيا عبادة لله وحده. و هناك في البيت الأخير معنى قوله تعالى: "أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين." المائدة:54 في نفس القصيدة يقول :

حريص على هدي الخلائق جاهد ❁ رحـــــيم بها بر خيـــــــــر له القدر

فذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ❁ وليس على ذي الفضل حصر ولا حجر.[295]

---

[293] بشير بويجرة: (جدلية العبقرية)، ص:267-268.

[294] الأمير عبد القادر :الديوان ،ص108.

[295] الأمير عبد القادر : الديوان ،ص 109.

فالبيت الأول معنى الآية " عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ " التوبة:108 و الثاني فيه معنى الآية : " ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ " الجمعة :04 ، يقول أحدهم :" أرى في تصوف الأمير بعض التميز عن تصوف غيره ،لعل من أبرز ذلك : كان الأمير يلبس تصوفه غلالة من التجريب و الممارسة أكثر من تغليب الغلالة التنظيرية المحض "[296]

الأمير عبد القادر قد طرق في شعره أكثر الفنون الشعرية المعروفة في عصره. وليست هذه الأنسخة مطابقة لما تناوله الشعراء القدامى في شعرهم. فمن الناحية التاريخية ارتبطت كل مرحلة تاريخية من مراحل حياة الأمير بفن معين من الفنون الشعرية ،فشعر الفخر و الحماسة مثلا أوثق صلة بحياة الأمير من شعر الوصف. وما ذلك إلا لأن شعره في الفخر و الحماسة كان نتيجة معاناته الحروب وخبرته وتجربته الحربية ، كما أن مصدر عظمته تجلى في أمرين اثنين: أحدهما فطري غير إرادي ،و الآخر وضعي اكتسابي إرادي،فالمصدر الأول أي (الحسب و النسب) مرده إلى أن الأمير ابن عائلة شريفة ،عظيمة الشأن، كريمة المنشأ و أنه ابن والد اجتمعت فيه خصال البطولة، وشرف النسب و السطوة الروحية،اذ كان الطريق القادرية.

وأما المصدر الثاني (أي المناقب الأخلاقية و العملية) مرده الى أن الأمير خاض معارك ضارية ضد الجيوش الفرنسية استمرت سبعة عشر عاما.من هنا انقسم شعر الفخر و الحماسة عند الأمير إلى قسمين: قسم طبيعي أو فطري أو غير إرادي ، وقسم وضعي أو اكتسابي أو إرادي ،إلا أنه كان متصوفا إسلاميا متحررا من قيود التقليد المميت ومن عالم المادة

[296] بشير بويجرة: (جدلية العبقرية)، ص:277.

الضيق والمغلق ، متطلعا الى عالم الروح الأسمى والأعلى، وكان شاعر البطولة و الحماسة لا في بلاد المغرب الأوسط (الجزائر) فحسب بل في المغرب العربي بأكمله ".[297]

ليس التصوف عند الأمير تواكلا وتكاسلا وتخاذلا بل التصوف عنده فتوة ومرابطة وجهاد في سبيل الله. "بحيث كلما تدانت الديار بين الأمير ، وبين المحبوب ،زاده هذا القرب أشجانا و أحزانا .فلا القرب يشفي، ولا البعد ينسي ، وكلما ازداد قربا من الحبيب الأول ، زاده هذا القرب عطشا إلى معرفة الحبيب المطلق، واجب الوجود." [298] في قوله (أنا الحب و المحبوب والحب جملة):

وإذ قلت – يوما – قد تدانت ديارنا ❁ لأسلوا عنهم زادني القرب أشجانا.

فما القرب لي شاف ولا البعد نافع ❁ وفي ربنا عشق دعاني هيمانا[299]

نجد أن الأمير ملأ قلبه معف بالله، وهياما بمحبته .هذه المحبة الالهية التي عرف حلاوة مذاقها ونعمة عطائها ،فلا يستطيع أن يسلوها ،وأن يبتعد عنها ،هي محبة ملكت عايه قلبه ،فاشتعلت فيه نار الشوق،لمعرفة الحبيب وازدياد الشوق و المحبة له لقوله في قصيدة (أنا الحب و المحبوب و الحب جملة):

عن الحب مالي كلما رمت سلوانا ❁ أرى حشو أحشائي من الشوق نيرانا ؟ !

---

[297] فؤاد صالح السيد :الأمير عبد القادر متصوفا.ص:10.

[298] المرجع نفسه.ص: 151.

[299] الأمير عبد القادر : الديوان ،ص: 116-117.

لو اعج لو أن البحار جميعها ❁ صين لكان الحر أضاف مكانا

فلو أن ماء الأرض طرا شربته ❁ لما نالني ري ولا زلت ضمآنا.[300]

بهذا نجد المحبة عند الأمير درجات و مراتب ، وعلى مراتبها محبة للمجاهدين ، الذين جاهدوا الجهاد الظاهر،والجهاد الباطن في سبيل معرفة الحبيب ، واجب الوجود ، وهذا مستمد من قوله تعالى في سورة النساء:4 ." فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ" ،فقد بدأ الأمير مجاهدته بالسير في خطا الشرع، ملازما طريقة الشرع الظاهرية ،لا يحيد عنها قيد نملة بل يردد ما جاء به الشرع في مفهومه للحق. فإذا قال الشرع بالتوحيد المحض قال الأمير: هو ذا .وإن قال الشرع بالتشبيه و التجسيم وافق الأمير على ذلك لقوله في قصيدة : (عابد فكرة):

عليك بالشرع فالزم طريقته ❁ فحيثما سار سر و إن يقف فقف.

إن قال ليس كمثلي قل هو ذا ❁ أو قال لي أعين فقل بذا كلفي.[301]

حتى إنه قال :ومازلت ممتطيا صهوتي النسر و الغراب ،محملا نفسي كل مكروه مستعذبا أنواع العذاب، لا تطمئن بي دار، ولا يستقر بي قرار، إلى أن ظهرت لي الأعلام التي ظهرت لمن قبلي من الوافدين الأعلام، ونادى المنادي ،وحدا الحادي:

أبشر بوصل فهذه العلامات ❁ كم طالبين ودون الوصل قد ماتوا." [302]

---

[300] المصدر نفسه،ص : 116.

[301] الأمير عبد القادر : الديوان ، ص:128.

[302] المصدر نفسه ،ص: 161.

- فالأمير شديد التحفظ من ناحية الخوض في المكاشفات،شديد التكتم و التقية.

إذ لولا لجام الشرع ما لم يقل في قصيدة:

ولكن لجام الشرع أحكم حكمة ❁ لذاك تراني حائما ومموها.[303]

وهناك مقطوعة شعرية تتمثل فيها نفسية الشاعر المؤمنة المطمئنة في أجلى مظاهرها ويبدو فيها موقفه من النبي محمد صلى عليه وسلم .لأن المير يعتبر أن الرضا النبوي فخر له، وشرف كبير،فقال في قصيدة: يا سيدي يا رسول الله:

يا سيدي ! يا رسول الله ! يا سندي ! ❁ ويا رجائي ! ويا حصني !ويا مددي!.

ويا ذخيرة فقري يا عياذي! يا ❁ غوثي! ويا عدتي للخطب و النكد !

يا كهف ذلي! ويا حامي الذمار ! ويا ❁ شفيعنا في غد! أرجوك يا سيدي

أبغي رضاك ولا شيء أقدمه ❁ سوى افتقاري وذلي واصفرار يدي.

إن أنت راض فيا فخري ويا شرفي ! ❁ ماذا علي إذا واليت من أحد ؟

ففي البيت الثاني نجد كما في قوله تعالى :" **قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ.**" .الأية01،سورة الفلق

ويصل به الاعتزاز، والفخر و التشامخ الى الذروة،حين يخص نفسه بعلم لم يحض به أحد من البشر سواه، وفي كل ذلك يظهر التذمر من حساده والمشنعين عليه، الذين ينسبون أليه

---

[303] فؤاد صالح السيد :الأمير عبد القادر متصوفا ص : 165

الكفر و الزندقة.و تبدو نفسيته في الاعتداد والفخر والتشابه قريبة الشبه من نفسية أستاذه،فعنده اللب والجوهر ،وغيره يرنو الى الصدف، وبأن الناس ليسوا أهلا ليستخرج لهم كنوزه المعرفية الدفينة، وينبغي على أهل زمانه تقاعسهم وتخاذلهم عن طلب المعالي لقوله في قصيدة:

عندي من العلم لبه وجوهره ❁ أعينهم ترنوا الى الصدف.

قد قيدتهم عوائد وثبطتهم ❁ من يمشي نحو الظلمة السدف.

فلو وجدت له أهلا لبحث به ❁ مستخرجا كنزه المحفوف بالطرف.

لكن أهله قد مضوا فلا طالب ❁ تلقاه يسموإلى العلباء و الشرف.[304]

كذلك نجده قد بالغ في الحديث عن شيخه محمد الفاسي،مبالغة تخرج عن حدود المعقول وتذلل إليه تذللا ، حتى قبل إقدامه وبساطه، عند مثوله بين يديه بعد أن طال انتظار شيخه له سنوات طويلة خلت.لقوله في قصيدة : (أستاذي الصوفي):

أمسعود ! جاء السعد والخير واليسر ❁ وولت جيوش النحس ليس لها ذكر.

ليالي صدود وانقطاع وجفوة ❁ وهجران سادات فلا ذكر الهجر .[305]

فالشيخ محمد الفاسي هو ملاذ الأمير، وعمدته وعدته، وكهفه الأمين الذي يلتجأ إليه وهو محيي نفس الأمير بعد أن كانت روح هذا الأخير كالرمة، فلقد تجدد عمر الأمير و اكتسب العمر الجديد، والحياة الجديدة. فشيخه محيي النفوس:

---

[304] فؤاد صالح السيد :الأمير عبد القادر متصوفا.ص : 174.

[305] الأمير عبد القادر : الديوان ،ص:102

عياذي ملاذي عمدتي ثم عدتي ❁ وكهفي إذا أبدى نواجده الدهر.

غياثي من أبدي العداة و منقذي ❁ منبري مجيري عندما غمني الغمر.

ومحيي رفاقي بعد أن كنت رمة ❁ أكسبني عمرا لعمري هو العمر

وما حاتم؟ قل لي و ما حلم أحنف ؟! ❁ وما زهد ابراهيم أدهم ؟ ما الصبر

حريص على هدي الخلائق جاهد ❁ رحيم بهم خبير له القدر.[306]

- ففي قوله عن حاتم ، يقصد حاتم الطائي الشاعر العربي الذي عاش الجاهلية يضرب به المثل لكرمه، وواحد من حكماء العرب .و ابراهيم أدهم ،أحد نساك سورية الذي صرف عن متاع الدنيا عبادة لله وحده ، وفي البيت الأخير معنى الآية: " عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ " التوبة:108 .

فهو كان يعتقد أن شيخه يسوس الكون ويتداركه ويحميه ، وأعطي مطلق الحكم و التصريف والنهي والأمر ، وفي ذلك مبالغات خيالية عجيبة ،على أنه من جهة أخرى ، يعتقد أن كل هذه القوى الهائلة التي أعطيت لشيخه مستمدة من رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فمفهوم التصوف عند الأمير: جهاد النفس في سبيل معرفة الله عن طريق الرياضات الشاقة ، والعبادة الخالصة لله ، والحضور الدائم مع الله ، فالأسباب التي حملت الأمير على سلوك طريق التصوف كثيرة و متنوعة ،منها:

8- نزعته الإنسانية.

---

[306] المصدر نفسه،ص :108-109

9- انتماؤه إلى آل البيت النبوي.

10- تربيته الدينية.

11- إيمانه الشديد بالقضا-+-ء و القدر.

12- محاربته التقليد و المقلدين .

13- تركه الحياة السياسية والعسكرية بعد استسلامه.

14- عزلته في أسره بأمبواز Amboise في فرنسا.

وأكثر ما تبدو نزعة الأمير الإنسانية، في قصائده الصوفية التي أكد في بعضها على وحدة الأديان السماوية، فهو تارة هذا المسلم الزاهد ، وطورا هذا الراهب الذي يسرع إلى الكنائس ، وقد أحكم شد الزنار إلى وسطه ، ومرة يلتحق بمدارس اليهود لتدريس التوراة . فيقول في قصيدة (أنا مطلق):

فطورا تراني للكنائس مسرعا ❁ وفي وسطي الزنار أحكمته شدا

أقول باسم الابن والأب قبله ❁ وبالروح روح القدس قصدا ولا كيدا.

وطورا بمدارس اليهود مدرسا ❁ أفرز توراة وأبدي لهم رشدا.[307]

- وقد افتخر الأمير بذلك النسب النبوي الشريف، وظهر فخره في العديد من القصائد الفخرية والحماسية، التي نظمها في المرحاتين، الأولى والثانية من حياته ، والتي دامت

[307] الأمير عبد القادر : الديوان ،ص: 120.

من عام 1222الى عام 1264هـ/ 1807-1847م ، ومن بين القصائد التي يفتخر فيها بنسبه النبوي الشريف قوله في قصيدة ، (أبونا رسول الله) ويقول فيها:

أبونا رسول الله،خير الورى طرا ❁ فمن الورى يبغي يطاولنا قدرا...

وبالله أضحى عزنا و جمالنا ❁ بتقوى وعلم و التزود للأخرى.[308]

وهذا في معنى الآية :" **وتزودوا فإن خير الزاد التقوى** " البقرة: 197 ويقول في قصيدة (بنا افتخر الزمان) ومطلعها:

لنا في كل مكرمة مجال ❁ ومن فوق السماك لنا رجال

لنا الفخر العميم بكل عصر ❁ ومصر،هل بهذا ما يقال؟!

وقد استأنس بقوله تعالى: " **إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا** ." الأحزاب:56.

بهذا نجد تصوفه " قد مر بمراحل تاريخية توازي في نموها و تصاعدها المراحل التاريخية لسيرة حياته الذاتية.و إن هذه المراحل قد نمت عند نموه نموا طبيعيا ، وتدرجت تدرجا سليما في تصاعدها من نقطة البداية ، بداية التوبة و الورع، إلى نقطة النهاية،نهاية النفس الأمارة بالسوء، حيث الشاهد و اليقين، وهذه المراحل كثيرة الشبه بإنسان أبي تمام حيث يقول:

وإذا انتهى في قلة من سؤدد ❁ قالت له الأخرى :بلغت تقدم" .[309]

---

[308] المصدر نفسه،ص :45.

[309] فؤاد صالح السيد :الأمير عبد القادر متصوفا ،ص:125.

وهذه القصيدة لأبي تمام يمدح بها أبا الحسين محمد بن الهيثم في شبابه.

ومراحل التصوف هي:

5- **المرحلة الأولى:** مرحلة التلقن و التعلم والمطالعة (1222-1246 هـ/1807-1830م)

6- **المرحلة الثالثة:** مرحلة الفتوة والمرابطة (1246-1264هـ/ 1830-1847م)

7- **المرحلة الثالثة :**مرحلة التأمل والتفكير (1264-1269 هـ/ 1848-1852م)

8- **المرحلة الرابعة :** مرحلة النضج والتعبير(1269-1300هـ/ 1853-1883م).[310]

وتحت ظلال هذه العقيدة التي تجمع ما بين العبادة النظرية؛ أي العلم و مابين العبادة العملية؛ أي الجهاد بنوعيه الأصغر و الأكبر ، كتب الأمير من خلوته تلك إلى أستاذه (الشيخ محمد الفاسي) يصف بدايته و نهايته ، ويثني على الله بما أولاه على يده ، بقصيدة عنوانها : (أستاذي الصوفي) و مطلعها:

أمسعود ! جاء السعد والخير واليسر ❁ وولت جيوش النحس ليس لها ذكر.

ليالي صدود وانقطاع وجفوة ❁ وهجران سادات، فلا ذكر الهجر

كما أن رسائله متعددة،فقد تعددت كتاباته إلى معارفه ومحبيه وهي رسائل لو جمعت لبلغت عدة مجلات ، فكثيرا ما كان يوجه الأسئلة إلى مجالس العلماء وكبار الفقهاء طيلة حياته، سواء بالمغرب الأوسط أو الأقصى ،أو بالمشرق وفرنسا ، وكان يجيب بنفسه على القضايا التي

---

[310] المرجع نفسه،ص:126.

ترد عليه من كبار علماء الإسلام ومفكري الغرب ، مسهبا في الإجابة تلك الاستفسارات إلى درجة تبكت المعاند . من بين رسائله " ذكرى العاقل و تنبيه الغافل " : وهي رسالة مطولة أيضا تتضمن مسائل جمة في مختلف العلوم كالتاريخ والفلسفة ، والدين والإصلاح الاجتماعي و الأخلاق، وهي رسالة في الحكمة و الشريعة و توافقهما ." [311]

" المواقف في التصوف والوعظ والإرشاد وهو كتاب في ثلاثة مجلدات في نحو خمسمائة و ألف صفحة من القطع الكبير، يشتمل على اثنين وسبعين وثلاثمائة موقفا ، موضوعه التصوف و الفكرة التصوفية، على غرار " الفتوحات المكية" للشيخ محي الدين بن عربي وفيه ملاحث صوفية ، وتفسير آيات قرآنية ، وشرح أحاديث نبوية ، وبسط للعقيدة الإسلامية " [312] .

وقد كانت له تعليقات على حاشية جده عبد القادر في علم الكلام ... وقد دونها في المرحلة الأولى من حياته ، بعد عودته من المشرق و تأدية فريضة الحج. وله كذلك الصافنات الجياد وقد وردت هذه التسمية حرفيا في القرآن الكريم في سورة (ص) . الآية 38-31-32.

وهي كتاب في محاسن الخيل وصفاتها. بحيث كان يتعبر التصوف من أهم المميزات للخصوصيات في المجال الديني، وذلك لما تراكم فيه من رصيد تربوي أسهم بصورة فعالة جدا في تشكيل الوجدان لديني المغاربي و السلوك الاجتماعي الوطني .فعلى هذا الأساس كان وهج التصوف عند الأمير ، وهو ابن الطريقة وابن زاويتها، قد سبغ كثيرا من الدسامة والثراء تجربتيه الشعرية و الصوفية معا، مما أهله لأن يبني رؤى جديدة في التصوف و أن يفتح في محيطه الرحب

---

[311] فؤاد صالح السيد :الأمير عبد القادر متصوفا، 96-97.

[312] المرجع نفسه ص: 99.

توجها مستحدثا يبنى على "العزلة و الاختلاء " ثم يعود إلى ابتكار منهج يمزج مابين " التنسك و التعبد " بنفس القدر والعزيمة على إبقاء الاتصال والحفاظ عليه مع المحيط والواقع ، رغبة منه في خلق التوازن ومفهومه في التجربة الصوفية .بهذا نجح عبد القادر في تحقيق أعلى المراتب الدينية التي تعتبر أساسية و جليلة ،بعد عمل شاق و إنكار طويل للذات .فدوره معروف لدى الخاص و العام ليس له مضاه في أخبار الرجال العظماء غير العاديين ، لظهوره المفاجئ غير المتوقع ولتنوع مراحله و غرابتها ، ولأطوار تطوره غير المنتظرة.لقوله:" إن رحيل الإنسان من أمر الله؛ فكيف اذن يستطيع الإنسان أن يفهم طريقه" [313] ، اذن بالرجوع إلى قصائده ومقطوعاته الشعرية المحققة في الديوان يمكن اعتبار الأمير قد أنفح التصوف الإسلامي بروح جديدة وزوده بدفع حداثي متميز يدخله في عمق الوجود الإنساني ولا يقصيه أو يبعده عن دواليب السيرة الوجودية. بحيث نجد أن ما يحمله تصوف الأمير من تحديث و مزايا ، مرده إلى أنه حاول أن يبعد التصوف عن المشاحنات التي كان يتخبط فيها في هذه الفترة ، وأن يبعده عن الشعوذة والاستغلال اللذين كان يدور في فلكهما عندما كان يربط بالمناقب و الكرامات على الرغم من أن الأمير كان يقود حربا تمكنه من استغلال الكرامات رغبة في النصر و دوام الإمارة .

- نستخلص من هذا كله أن الممارسة الصوفية قبل الأمير عبد القادر كانت تجنح نحو التجريد المحض وبحر الفردوس المتخيل فقط في أدمغة و آفاق المبدعين للقصيدة الصوفية و المشتغلين عليها،أما عند الأمير فاعتقدها وقد اندست جذورها في عمق تربة الإنسانية المنجزة على صرح النصر و الهزيمة والعزة والمذلة و الرفع في القيادة و الإلقاء بإهمال واللامبالاة في أعماق

[313] شارل هنري تشرشل :حياة الأمير عبد القادر،ترجمة وتعليق أبو القاسم سعد الله،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر،1986،ص: 372-371.

السجون وفي أركان الدهاليز المظلمة إلى غير ذلك من الممارسات والتجليات التي كانت قبل ذلك تتخيل وتتهيأ لكنها باتت حقيقة معيشة في يوميات الأمير الذي قال في قصيدة : (الحمد لله):

الحمد لله الذي خصني ❁ بصفات كل الناس لا التساس

الجود والعلم النفيس وانني ❁ لأنا الصبور لدى اشتداد البأس.

تحدثي شكرا لنعمة خلقي ❁ إذا كان في ضمني جميع الناس.[314]

وقد ورد مضمونا في قصيدة " الشيخ عبد المجيد الخاني" التي مدح فيها الأمير ، وهي مثبتة في كتاب " تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر " ص:223.

فنجد أن "الجود" و"العلم "و " الصبر عند اشتداد البأس" و" التحدث بالنعمة للخالق"، كلها حلات وأوضاع صوفية استخرجت واستنتجت من ممارسات كان الأمير يتعاطاها في يومياته ، فهو لم يتحدث عن جود قرأ عنه أو لقن عنه ، ولم يذكر "العلم" كحيلة يزايد بها عن غيره بل هو العالم الحق الذي شهد له بذلك العدو، وهو الشكور على كل ما وقع له، رغم أنه كان يبغي وجه الله ومصلحة الوطن و المواطنين ، ولاحظنا هذا جليا في قصيدته المعنونة "أستاذي الصوفي" أكبر دليل على ذلك البعد الذي أضفاه الأمير على ماهية التصوف. بحيث وجدنا التصوف عنده هو ذلك التواصل الممتد بين الإنسان و أخيه الإنسان عبر مدة زمنية ممتدة و مختلفة منذ أن يولد إلى أن يلتحق بربه ، ليصبح التصوف تسلحا بالإيمان بالله و

[314] الأمير عبد القادر : الديوان ، ص:102

الإفادة من تجارب الذات وليس هروبا من دسائسها ومفاجآتها واللجوء إلى أوهام و تخبلات قد لا تمت للواقع بصلة.

- مما لاحظناه في ديوان الأمير عبد القادر الجزائري أنه كان موجود فيه تناص أو بالأحرى نص غائب سواء من النصوص الشعرية القديمة أو حتى من القرآن الكريم، فهو دائما يستحضر القديم في قصائده وهذا ما يدل على انفتاح نصوصه وتعدد دلالاتها، وهذا كله موجود في التناص بحيث " أدى الوقوف على انفتاح النص وتعدد دلالاته وقراءته إلى الانتماء إلى واحدة من أهم سماته التي سيكون له دور كبير جدا في تطوير النظر إليه والى أهم خصوصياته، وهي تفاعله مع غيره من النصوص السابقة عليه أو المعصرة له، إذ كل نص يتفاعل مع غيره من النصوص، بل يمكن الذهاب أبعد من ذلك بالقول إن كل نص تناص."[315]

بحيث نجد أن التعلق النصي و التناص يتصلان بالتداخل الحاصل بين اللاحق والسابق للنصوص، وكل منهما يتجلى في طريقة خاصة. فقد حدد "لوران جيني" آليات اشتغال التفاعل النصي، أما ما يسميه "التناص" باعتباره المفهوم الجامع من خلال ما يلي :

4- **التلفيظ:** والمقصود بذلك أن النص وهو " يتفاعل" مع نص آخر، ينقله من نظام العلامات الذي ينتمي إليه ، ولا سيما إذا كان من غير نظام العلامات اللغوية، ويمنحه بعدا لفظيا.

[315] سعيد يقطين: من النص الى النص المترابط.مدخل الى جماليات الابداع التفاعلي.المركز الثقافي العربي ،الطبع الاولى 2005، بيروت .لبنان.ص.ب 113-5158 .الحمراء . شارع جاندارك.بناية المقدسي.ص:120.

5- **الخطية:** إن النص المكتوب مثلا حين يتفاعل مع أي نص فهو ينقله إلى نظامه الخطي، ويقدمه إلينا متسلسلا و متناميا تماما كما هو الحال مع أي نص مكتوب حتى وان كان النص المتفاعل معه من طبيعة مغايرة .

6- **التضمين:** ويتمثل في إدراج النص المتفاعل معه في نطاق النص، بصورة تجعله يبدو وكأنه جزء من رغم كونه طارئا عليه وعملية التضمين هاته تستدعي عملية بناء النص، وهو يتفاعل مع غيره من النصوص."[316]

- كل هذا يوضح لنا أن الباحث في الشعر الجزائري الحديث يلحظ فيه. مثلما يلحظ في بقية الشعر العربي منذ بداية نهضته الحديثة.نزعتين: نزعة المحافظة والتقليد وكان لها أنصارها والمتحمسون لها ونزعة التطوير والتجديد وكان لها روادها والداعون إليها.وهذا كله مرده إلى الظروف السياسية والثقافية والاجتماعية التي أحاطت بالشاعر الجزائري ، تضافرت كلها على توجيه الحركة الشعرية الى أن تتغلب عليه نزعة المحافظة والتقليد . وقد رأى في هذا الأمر "أحمد حمدي" رأيا معاكسا تماما حيث ذهب إلى " أن التجربة الأدبية الجزائرية ليست قصيرة ، وإنما هي تمتد من أشعار الأمير مرورا بجيل ابن باديس، والربيع بوشامة".

- نستخلص أن تصوفه في صفاء النفس والانصراف الكلي الى الذات الإلهية، وهذا اللون من شعره يذكرنا بأبيات ابن الفارض، والسهروردي و محي الدين بن العربي . وهكذا عاش الأمير متصوفا ومنصرفا للعبادة ونشر العلم والتأليف وخدمة الإنسانية إلى آخر يوم من حياته.

---

[316] سعيد يقطين: من النص الى النص المترابط.مدخل الى جماليات الابداع التفاعلي ،ص 103-104 .

الفصل الرابع

أثر الشعر القديم في البنية الإيقاعية عند الأمير عبد القادر الجزائري

1- الشكل الفنّي والإيقاعي عند الأمير عبد القادر.

2- مسائل في الوزن والقافية في شعر الأمير عبد القادر

3- الموسيقى الداخلية والخارجية في شعر الأمير عبد القادر.

أثر الشعر العربي القديم في البنية الإيقاعية عند عند الأمير عبد القادر

الإيقاع يوضح نغم الكلام اوبلاغة عن طريق اختيار الألفاظ والمعاني ،علي حسب لكل مقام مقال يقول عزالدين منصور :"وظل الشعر العمودي شامخا يؤدي رسالة بأنماطه القديمة والجديدة التي لها أصلتها في الأداء الشعري "[317] وهده الأصالة نابعة من العلاقة بين الشعر الجاهلي و القصائد الطوال لذا إكتسب شموخا فنيا لأن للروح الإنسانية ميول فطرية وأنجداب نحو الأصوات هادئة كانت أم مزعجة ، مقبولة أو مرفوضة وهذا ما للشعر من أثر جلي تنجذب إليه النفوس البشرية من قوى خفية للشعر كامنة في قراراتها متوطنة في خلدها تتحرك إثر الاستماع لها " كأن الإيقاعات تعد عدا فهي دائما عدد منتظم لانقص فيه ولا زيادة عدد بعينه من الاهتزازات الصوتية الموسيقية عدد يأخذ شكل قانون صارم فيه تكمن القوى الخفية للشعر العربي" [318] بهدا فهي تعد من الأنماط التي حافظا عليها الشعر الجاهلي وتنبه لها الشاعر حينما تناول القصائد با الشرحوالأو زان الشعرية واستقامتها وإقامتها وقضايا القافية وما تتضمنه من قواعد عروضيه.

الشكل الفني والإقاعي عند الأمير عبد القادر: الأمير عبد القادر الجزائري شأنه شان رواد النهضة راح يستقي من ينابيع الشعر العباسي ويطبع على غراره وقد راقة أسلوب أبي تمام والبحتري والمتنبي وغيرهم فتدارس أثارهم وحفظ أستعارهم ومال إلى المدح والفخر وإلى كل

---

[317] عزالدين منصور : دراسات نقدية ونماذج حول بعض قضايا الشعر المعاصرة مؤسسة المعارف بيروت لبنان، ط1 ، 1995،ص:19.

[318] شوقي ضيف : في النقد الأدبي دار المعارف القاهرة مصر : 1977م ص11

ما هو من أدب المناسبات وهكذا تقيد بالموضوعات القديمة وحرص على الدقة في التعبير والمتانة الغوية ،والوفير على المعاني والصفاء الشعري واستقامة النظام ، وإن لم يتخلص تمام التخلص من بعض مخلفات الانحطاط كالتخميس والتواريخ الشعرية ولألاعيب البديعية والنحوية ،وهكذا نجح في التقليد وأخفق في ناحية الابتكار ،وجعل بين شعره ونفسه و بيئته فأصحاب إحياء القديم "كالأدب العربي القديم إلى التقليد في الأسلوب والمتانة التعبيرية و الاحتفاظ بالوزن الواحد والقافية الواحدة في القصيدة الواحدة وإن جنحوا الإكثار من استعمال ما لأن وحق من الأوزان والقوافي وهكذا وقفوا موقفا وسطا وبقي تجديدهم ضيق النطاق لم يعبر عن فلسفة أو عقيدة أو حب للطبيعة إلا في ما ندر ولم ينشر مذهبا جديدا في الأدب ، وكان شعرهم في الأغلب شعر مناسبات تجمع قصائد في ديوان من وحدة أو غاية مشتركة " [319] فمن ناحية الشكل نجد أن القصيدة في أعمال الجاهليين تقوم على تعدد الموضوعات في القصيدة الواحدة إذا يبدأ الشاعر قصيدته بمقدمة غزلية أو طالية بهما معا ، ثم يصف رحلته ليخلص إلى الحديث عن الممدوح أو يفتخر بنفسه و هكذا غير أننا لا نجد هذا تانظام يقبل الالتزام في الشعر العباسيين ومن تلآهم حتى عصور الجمود ولإنحطاط وقد عرفت القصيدة العربية الواحدة الموضوعية في العصور المتأخرة ، غير أنها لم تلتزمها إلتزاما تاما لا تحيد عنه ،تراوح بين وحدة الموضوع وتعدد الموضوعات داخل القصيدة الواحدة لأن التراث القديم يقوم في بناء القصيدة على مرتكزات عامة ، لم تسلم من النقد ، ولم تنج من موجات التمرد أو التدمر كما لم تنج

---

[319] حنا الفاخوري: الموجز في الأدب العربيو تاريخه، المجلد الرابع، أدب النهضة الحديثة دار الجبل، بيروت، الطبعة الثانية ، 1411هـ- 1991م.

تبعا لذلك من التحوير الطفيف الذي لم يمس الخطوط العريضة مسا قويا "[320] " فلقد وضع النقاد أصول لبناء قصيدة المدح بخاصة ، ذلك لأنها أظهر القصائد المتعدد ة الأعراض وألصقها بمن يتوجب إليهم الشاعر بشعره ، وسار الشعراء على سنن معينه ،وتقاليد ثابتة ، لايتخطونها بحال ، وأظهرت القصيدة ذات الأعراض المتعددة قضية التخلص ، فتحدث النقاد عن هذه القصيدة باهتمام بالغ ، وحاولوا أن يرشدوا الشعر عن طريق ضرب الأمثلة الجيد منها والرديء" بهذا يتضح لنا جيدا ما كان عليه الشكل القصيدي في القديم ، إلا أننا إدا تفحصنا في إشعار الأمير وتراثه الفكري والصوفي ، نجد أن الخليفة التعليمية التي أسس عليها الأمير ثقافة كانت من خلال علاقته بالتراث في مسائله العقيدية والفكرية والكلامية الفلسفية والمذهبية " إن الارتباط السياسي المرحلي لأغلب الشعراء الجزائريين في مرحلة السبعينيات فقد شوش على تحقيق الممارسة النصية للأشكال الحديثة من خلال الاعتقاد بصلاحية مشاريع السياسية والاجتماعية للحداثة الإبداعية ومن ضماتها الحداثة الشعرية " [321] إلا أننا وجدنا الأمير قد انتمى إلا القرن التاسع عشر وهو ما قد ارتبط بعصر ما قبل النهضة العربية الحديثة الكثير وهو عصر قد شهد الكثير من الأحداث التي أدت إلى التغيير والتحول. "كل واحد يبحث عن فرادته و يكتب حداثته التي بنفر دبها وحده دون سواه ، لا شك أن لكل عصر حداثته، ولكل حداثة سماتها ، وإذا كان شعراء هذا الزمن ينتمون الى عصرهم و حداثتهم ، فإن كل واحد منهم يصنع حداثته الخاصة و يكتب بلغته الفريدة." [322] ، فالأمير عبد القادر على الرغم من أنه حذا حذو غيره

---

[320] السعافين:مدرسة الإحياء،ص:267.

[321] عبد القادر رابحي: النص و التقعيد،ص:221.

[322] علي حرب: النص و الحقيقة-نقد النص-المركز الثقافي العربي،بيروت ،لبنان ،ط3،2000،ص:275.

باستعماله النص الغائب، إلا أنه كانت له كتاباته الخاصة به في أشعاره ، لأن تأثره بالشعر العربي القديم جلي وملموس في الجملة، بل ترى التناص يتجلى مع قيم و صور و تقاليد خطابية جاهلية، لا سيما منها ما تعلق بقيم الفروسية و النخوة والوصف والإشادة بجمال المرأة و بلبادية وفضائلها، فالشكل الفني و الإيقاعي في ديوانه استلهم من بعض قصائد وأشعار عنترة وأضرابه من الشعراء الجاهليين واستحضرت مواجد أولئك الشعراء في الإعراب عن الحب وإظهار شمائل العزة و الكبرياء و الفروسية وغيرها ..." تعمد الإجراءات التي تتخذها بلاغة الخطاب و يتبناها علم النص إلى تحديد المصطلحات المتداولة في التحليل مع الإشارة إلى علاقتها بالمصطلحات السابقة، وذلك بغية التحديد الدقيق للموقف العلمي الحالي ، وما يتمثل فيه من تغيرات معرفية..."[323] ،فقد وجدنا الأمير استمد شيئا من خصائص الأدبية التراثية كما جسدتها تجارب الفحول من أمثال طرفة و النابغة و المتنبي و البحتري وأبي تمام وغيرهم، واستثمره في شكل خطابه و بناء شعريته. لأن البلاغيون قد درجوا على القول بأن صور الخطاب وأشكاله هي المعالم والصيغ التي يبتعد فيها الخطاب بطريقة ما ، عما يمكن أن يكون عليه التعبير الشائع البسيط فإن روح البلاغة تكمن في هذا الوعي بالفارق الممكن بين اللغة الواقعية الماثلة في الشعر ، واللغة الممكنة التي كان من المحتمل أن تستخدم بشكل شائع وبسيط. ويكفي أن نقيم هذا الفارق في الذهن كي نحدد مساحة أو فضاء الشكل البلاغي ."[324]

---

[323] صلاح فضل: بلاغة الخطاب وعلم النص ، مكتبة لبنان،ناشرون، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان ، الطبعة الأوللى 1996م، ص.174.

[324] صلاح فضل: بلاغة الخطاب وعلم النص، ص:174.

هذا يوضح أن البلاغيين يرون أن الأشكال طرق في الكلام ، تختلف عن غيرها بخواص تجعلها أكثر حيوية ونبلا ،وألطف من طرق الكلام الأخرى التي تؤدي نفس المحتوى الفكري بدون ذلك التعديل الخاص ، أي أن تأثير الأشكال و هو الحيوية والنبل و اللطف يصبح أيسر في التصنيف، لهذا نلاحظ أن قصائد الأمير جاءت احيائية تضع القارئ في جو الشعرية العباسية و الأموية و الأندلسية ، بل اقتربت من ذوق المعلقات ومن شعر الفروسية فيه خاصة، وهذا من خلال النص الغائب الذي استقاه من أولئك الشعراء الفرسان، على الرغم من اختلاف الأزمنة و البقاع، فالنص الغائب تعاطاه الأمير نصيا و معنويا في العديد من قصائده في بنائها الايقاعي و الفني."

إن أي منهج لقراءة النص ينبغي أن يكون هدفه الأساسي بل الأوحد هو تحليل النص الأدبي في ذاته أي من حيث هو نص أدبي دون أن تفرض عليه تفسيرات مسبقة أو نخضعه لعوامل و اعتبارات خارجية." [325] كما لفتنا ظاهرة التناص التي ميزت شعر الأمير وقد وجدنا تجذرات بعض الشواهد منها ، فألفينا قراءة تعكس تفاعلا وتواصلا ليس قائما بين الأمير وبين التراث فحسب بل بينه وبين الإنتاج الشعري و الأدبي الذي عاصره كذلك. بهذا نعرف أن للنص عالمه الخاص بعد أن ينطلق من الواقع، وقد يواجهه كما يواجه الشاعر نفسه، ولكن هذا العالم لا يكون منعزلا تمام الانعزال عن عالم الشاعر النفسي وواقعه الاجتماعي بحيث "كان هناك تحول بارز على جبهة الشعر للانتقال من البداوة للحضارة ومن الصحراء للعمران، ومن الاستلاب إلى تحقيق الذات، وكان هناك إرهاص بأن التجارب الإبداعية تخلق شكلها، وأن

[325] فوزي عيسى: النص الشعري، وآليات القراءة، منشأة المعارف بالإسكندرية، جلال حزي وشركاه،ص9.

الموضوع الواحد بدأ يأخذ دوره بحسم في القصيدة ، ومن الطبيعي أن أغراضا قد ازدهرت وأغراضا قد ذوت ، وأغراضا قد جدت ، وأن الشعر بصفة عامة قد اقترب من لغة الناس، ومشكلاتهم و إيقاعاتهم، وفي الوقت نفسه كان يعلى على كل الجهات." [326] ، نأخذ ولو شاهد واحد من شعر الأمير عبد القادر في أخذه من الشكل الفنيو الإيقاعي من التراث القديم في قصيدته (يا عاذرا لامرئ) لقوله:

يا عاذرا لامرئ قد هام في الحضر ❁ وعاذلا لمحب البدو والفقر

لا تذ من بيوت قد خف محملها ❁ وتمدحن بيوت الطينو الحجرا

لو كنت تعلم ما في البدو تعذرني ❁ لكن جهلت وكم في الجهل من ضررا

نحن الملوك فلا تعدل بنا أحدا ❁ وأي عيش لمن قد بات في خفر؟؟[327]

هذا مقتبس من قول الخليل بن أحمد يجيب الكسائي وقد سأله عن شيء:

لوكنت تعلم ما أقول عذرتني ❁ أو كنت أجهل ما تقول عذلتكا

---

[326] عبده بدوي: دراسات في النص الشعري(عصر صدر الاسلام وبني أمية)،دار قباء للطباعة و النشر و التوزيع، عبده غريب.القاهرة،ص:11.

[327] الأمير:الديون، ص:50-51.

لكن جهلت مقالتي فعذلتني ❁ وعلمت أنك جاهل فعذرتكا[328]

والبيت الأخير فيه بعض ما قاله الزبرقان من بدر (نحن الكرام فلا حي يعادلنا).

وهذا ما ميز نتاجه الفكري خارج إطار الأدب، بحيث ثقافته الواسعة أتاحت له أن يبلغ ذلك المستوى المعتبر من الاستفاضة العلمية و الاطلاع المعمق على مقومات الفكر الإسلامي ومذاهبه وفرقه. فمرحلته كانت مرحلة تمهيدية عاشها بتلك الروح القديمة التي سيطرت عليها صور الشعر العربي الكلاسيكية متمثلة في:

- التأثر بالتراث .
- استحضار المعنى و النص.
- تمثل النسيج.
- استحضار النص من النص السابق.

الصورة الشعرية، الشكل الفني والإيقاعي ، اللغة و المعجم الشعري ، كل هذا كان له أثر الشعر العربي القديم على مضمون ديوان الأمير عبد القادر فقد عايش النص واستنبطنه، لأن للنص عالمه الخاص، والشكل كان لا يزال الميدان الذي يتحدد فيه مصير النص، وقد كانت قصائد الأمير عبد القادر الجزائري حاضرة في ما سمي ب " عصر الانحطاط" لهذا كان الأمير الشاعر فاتحة لظهور نص شعري جزائري مواكب لنهوض النص الشعري، من خلال ما أبدعه من نسيج للنص و المعاني والصور وحتى الإيقاع ، وقد كان له تأثر كبير بالاحياءيين لأنهم التزموا

---

[328] ابن عبد ربه: العقد الفريد،ج2 ، دار الكتاب العربي، بيروت،دط،دت، ص 223.

النص الغائب، وطريقة التعبير عندهم استمدت حضورها من العصور القديمة لأن النص الغائب في حد ذاته هو مجموع النصوص التي ساهمت في حضور النص الحاضر، تعمل على تحقيق النص وتشكل دلالته، من ثم تتعطل عملية فهم استيعاب النص و الدلالة الغامضة فيه، لأن الشعراء في حد ذاتهم يقدمون شعرا خالصا يعبر عن أحاسيسهم و خوالجهم، والصورة هي البنية التي ينطلقون منها و هي التي تحمل الزخم الدلالي ، ومن أهم الركائز الشعرية عندهم هي الموسيقى. ففي الديوان نجد أن الأمير لم يحاول الخروج على شكل القصيدة العربية ولم يحاول التنويع في القافية إلا نادرا، لذلك انطلق من الذاكرة و التراث، بهذا يتجدد الشكل وفق ما تقتضيه التجربة الشعرية و الشعورية. فقد تسمى علماء النص وجود نص غائب أو مواز إلى جانب النص الشعري في العصر الحديث تناصا، أو ضرب من تداخل النصوص، لهذا كان الأمير إحياء للديباجة العربية في أزهى عصورها ، فقد استطاع أن يحقق نجاحا هائلا في القدرة على استعارة الإطار الشعري التقليدي، و تحميله خواطره وعقله للتعبير عن مضمون عصره، بل لقد كان اطلاعه على الفلسفة و المنطق اليوناني واضحا الأمر الذي تبين أن تحصيله التعليمي لم يكن سطحيا أو محدودا أو مقتصرا على بعض من ألوان المعرفة ، بل شمل الفكر و الآداب مما زخر به التراث العربي. لأن النص كتلة لغوية متعددة الأشكال ، متعددة الغايات ، لها نظام بجمع الأنساق المتعددة ويوحدها، فيصبح لها هوية مجردة مفتوحة على احتمالات التأويل من خلال تعددية المقروء وتعددية القارئ، وهذه الكتلة اللغوية عبارة عن شبكة يتم تشكيلها و نسجها و صياغتها و توزيعها عبر علاقات متنوعة من التواصل و التداخل و الترابط انطلاقا

من مجموع أنساقها التي تمنح النص هوية متداخلة مع الخطاب و مختلفة عنه في آن معا." [329]

من خلال هذا إذا ما حاولنا أن نبحث عن القواسم المشتركة لمجموع النص الشعري الجزائري في تطوره الشكلي، لوجدنا أن ثمة سلسلة اسنادية جديدة تتأكد من خلالها جزائرية النص الشعري في تطوره الشكلي الطبيعي ، تنطلق من إحياء أصول النص الكلاسيكي وكان هذا عن طريق أشعار الأمير عبد القادر الجزائري ثم نمر من خلال ديوان محمد العيد آل خليفة وهو آخر محطة اسنادية للشكل الأحادي في الشعر الجزائري، وهذا ما نص به عبد القادر رابحي في (النص و التعقيد)، فالقصيدة الجزائرية – في أغلبها – تابعة لأختها المشرقية ، نابعة منه مستلهمة الخصب و النماء من فنها " لأن المبدع أو الشاعر بخاصة غالبا ما كان مستقبلا متأثرا، وأهل التأثير هم المشارقة وبدايات الشعر الجزائري الحديث تؤكد ذلك حين غدت مصر – مثلا- بشاعريها الكبيرين (أحمد شوقي ت 1932م – و حافظ ابراهيم ت 1932) قبلة للشعراء الجزائريين."[330]

بهذا كانت بيئة الأمير متفتحة على علوم شتى وعلى آداب قديمة ، فقد أخذ الأمير عن الفقهاء وعلماء الاجتهاد و التصوف و الأدباء و اطلاعه على المعارف العقلية و الكلامية هو ما فتق ملكته بهذا بهذا تنوع الشكل الفني و الإيقاعي في ديوانه لأن النص الشعري في حد ذاته من حيث هو بنية شكلية مخبرة عنه و متصلة بلحمته اللغوية، استطاع أن يؤسس لمستقبله

---

[329] عز الدين المناصرة: علم التناص المقارن ، نحو منهج تفاعلي: بدعم من عمادة البحث العلمي ، جامعة فيلاديلفيا 2006، الطبعة الأولى 1427هـ- 2006م ، ص:136-137 .

[330] محمد بوقرورة: دراسات في الشعر الجزائري المعاصر نقد، منشورات اتحاد الكتاب الجزائريين 88، شارع ديدوش مراد ، الجزائر، الطبعة الأولى: ،ص:168

باعتباره نصا معاصرا بمختلف توجهاته التقليدية و الحداثية. " فالشكل كان و لا يزال الميدان الذي يتحدد فيه مصير النص في مستقبليته الباحثة عن عناصر الإقناع الضرورية لكي يكتمل تصور الناقد الساذج لمصير الحداثة .ولم يكن الشكل في يوم من الأيام مجرد لبوس متغير لباطن متحكم بل باطن لباطن يوهم الناقد بعدم استيلائه على جزئيات النص الداخلية." [331] ، بهذا وجدت حركية الصراع داخل النص الشعري قد أخذت أشكالا مختلفة تسكن معنى النص ودلالاته، لغته وتخيلاته، بلاغته الظاهرة و الباطنة المؤسسة لشمولية النص بوصفه نسيجا لغويا ناضجا بالمعنى – أي معنى – مهما كان ضعيفا أو غريبا أو طائشا.

وقد بين ّ عشراتي سليمان في كتابه الأمير عبد القادر شاعرا أن التراث في متنه الشعري الأميري تمثل في:

- الشكل العمودي الذي استغل بحوره و نسج على منواله موضوعاته الشعرية المختلفة.
- الأغراض الشعرية ، إذ تعاطى المعهود من الألوان الشعرية الرئيسية التي تعاطاها الشعراء عبر العصور من فخر و غزل ووصف و اخوانيات و ما إلى ذلك.
- الصورة الشعرية التي ظلت واقعية بيانية.
- البنية الخطابية و اعتماد المسكوكات التراثية أو الصوغ على غرارها.

بهذا بقي الشكل العمودي بشطريه المتساويين مرتبطا في تواتر بنائيته وتكرارها، بهذه الصورة الراسخة في ذهن المتلقي و حاميا لها من أي نشوز صوتي و موسيقي من خلال ممارسة

---

[331] يحي بوعزيز :مع تاريخ الجزائر في الملتقيات،ص: 45.

القاعدة العروضية لسلطتها على النص. " ويبدو أن معظم شعراء الإحياء أو التقليد ، فقد استعملوا قالب القصيدة العربية بنيتها أو هيئتها أو تركيبها. وجعلوا منوالا يسجون فيه و كأنه صورة ذهنية إعلائية يتمثلونها فوق الزمان وفوق المكان ، ويفرغون فيها ما يودون محاكاته أو التعبير عنه من حكمة وبيان و كانت خيوط نسجهم في هذه الصورة المنتظمة."[332] ، بحيث على الشاعر أن يراعي في قصيدته كلها اتفاقها في أمرين: الوزن الواحد و الروي الواحد ، و للأول كما للثاني أحكامه وشروطه المخصوصة و المعروفة وقد تضمن ذلك علم العروض و القوافي. " وقد استعمل أصحاب مدرسة الديوان مصطلح الشكل ، كما استعملوا مصطلح المضمون أول مرة وعدوهما وحدة متداخلة و إن آثروا الثاني على الأول ولو خيروا، ويكاد ينحصر الشكل لديهم في اللفظ و الأسلوب والقواعد اللغوية و النحوية وأهم شيء لافت فيما يتعلق باللفظ عدم تفريقهم بين شريفه و خسيسه واشتراطهم له قدرته على التأثير و التعبير و المضمون عندهم ليس مجرد الموضوع عصريا كان أو غير عصري بل هو وجهة النظر و كيفية التعبير عنها معا." [333]

بهذا نجد أن إنسانية الأمير تنعكس في أشعاره ، قد تسامت مثل شعراء الإحياء من خلال التأثير والتعبير، فهي تشمل الذات و الآخر، وتصف الجمال على كل وجه و صورة ،ومما لا شك فيه أن الخصائص النفسية و الوجدانية للأمير في كل هذا كانت تستمد من الأطوار الحياتية و من مسيرة العمر ، بحيث ترك بصمة في الأعماق ، وقد تبلورت أسس شخصيته في

---

[332] نعيم اليافي: أوهاج الحداثة .دراسة في القصيدة العربية الحديثة، دراسة منشورات اتحاد الكتاب العرب 1993.دمشق،ص:13.

[333] نعيم اليافي: أوهاج الحداثة،ص:19.

خضم التحولات وهو واضح و جلي في معجمية تلك الأشعار في شكلها و مضمونها. وقد أخذ هذا عن الاحيائيين بحيث " لقد بدأت حركة النهضة بإحياء التراث، وكان مجرد الإحياء أو البعث أيامها ضرورة قومية و حضارية، وصحوة صحية ولكن الإلحاح بعد ذلك على هذا الإحياء و الاكتفاء بتقليد نماذجه ، وإعادة صياغتها، والنسج في منوالها هو الذي عطل حركة الصحوة الحضارية."[334]

تعددت الكلمات في الشكل سواء كانت مفردة عن طريق تعدد الصور أو مركبة ، فنية كانت أم أدبية و شعرية في ديوان الأمير، و كأنها استخدمت بدلالتين إحداهما عامة تعني الشكل المادي أو الحضور الذهني ، أي التمثل النفسي و التعبير المجازي ، وأخراهما خاصة تشير إلى التشبيه أو الاستعارة أو ضروب علم البيان جميعها. لأن الخصائص النفسية و الوجدانية للأمير في جميع قصائده وجدناها مستمدة من أطواره الحياتية ومن مسيرة عمره و أخلاقيته التي شب عليها ، ومعجمية أشعاره كانت نتيجة الحياة و الظروف والتحولات التي مر بها و تفاعلاتها و هذا ما يوضح أن الشعر الجزائري آنذاك قد ارتبط من خلال تجليه في النصوص بدنيا مكية الحداثة الشعرية العربية عبر التجريب الواعي أو غير الواعي للأشكال الشعرية من طرق الشاعر على الرغم من عدم وعيه بالمكونات الداخلية للنص الشعري، وعدم وعيه العميق بتحرك بنياته العميقة في كثير من الأحيان .

" لأن الرؤيا...لا يتم اكتمالها إلا إذا انبثقت عن هم جوهري يشغل الشاعر ويستقطب طاقته الروحية و نشاطه الحسي، إلا إذا كانت إشعاعا يصدر عن ذلك الشاغل الأساسي

---

[334] نعيم اليافي: أوهاج الحداثة، ص39.

فيكون ذاكرة الشاعر، وعالم الداخلي، وصياغاته و أشكاله الفنية ، ووحدة الرؤيا و النص الشعري هي في حقيقة الأمر، وجه آخر لذلك المزيج ، الذي لا يقبل التجزئة بين شكل القصيدة ، أي كيانها الحسي الملموس ، وبين ما تشتمل عليه من دلالة تمثل الأساس لموقف الشاعر أو فكره. وهذا التوحد بين دلالة النص وشكله التعبيري يمثل إحدى مقولات النقد الحديث، كما يمثل في الوقت ذاته محكا لحداثة الشاعر وتلاحم رؤياه."[335]

من خلال هذه المقولة يتوضح لنا جليا أن الشاعر أين كان يستمد أشكاله الشعرية من واقعه الحسي وهذا ما التمسناه في ديوان الأمير ، من خلال هذا نستنبط أن أبرز خصائص شخصية الأمير هي السمات الرئيسية التي حددت لنا هويته و رسمت خطوطها من خلال دراستنا لديوانه فمن بين هذه الخصائص نجد:

1- ترعرعه في كنف من العز، ومحاط بالرعاية و العناية الفائقة وفتوته بين عائلته و أهله.

2- مكانته بين اخوانه، وأقربهم إلى والده.

3- عزه بين قومه لأنه كان الفتى المرشد وذا الحظوة من طرف الأب .

4- اطلاعه على أقطار إسلامية مشرقية ومغربية وهذا ما قد وسع مداركه إلى أوسع نطاق.

5- تربيته البدوية و ممارسة القيم الريفية الأصيلة، هو ما قد صقل لغته وقوى رجولته.

---

[335] علي جعفر العلاق: في حداثة النص الشعري(دراسة نقدية)دار الشروق،عمان الأردن.الطبعة العربية الأولى: الاصدار الأول .2003، ص:28-29.

6- الأنفة و النخوة، من خلال صلته بالمرأة و بالجمال و قابلية الحوار و التعامل من خلال المرونة و الطواعية. ويظهر هذا واضحا من خلال الفخر في قصائده و مدح الأنا و الاعتزاز بالأصل والنسب.

7- التأثيرات الدينية التي تلقاها في المنشأ و الزاوية، ويتضح ذلك في تواضعه وانحنائه و اقتدائه بشيوخه، من خلال تجربته السياسية و الجهادية .

8- صفاته السمحة وهو ما أكسبه أخوة إنسانية حتى مع أعدائه.

إلى غير ذلك من الخصائص التي تميز بها الأمير، لأنه نشأ نشأة سوية متوازنة، تشرب منها مشاعر العزة و النبل و الشرف،وهذا ما جعله تبوأ أرقى الرتب حتى بعد أن تجرد من لقب السلطان ويتحول إلى شخصية مدنية ، الا أنه ظل دوره بارزا وحضوره مستمرا عبر أرجاء العالم مكرما معززا لأنه جمع بين الدهاء العربي و الشجاعة الحربية و الطموح ، ولكنه كان يتسم بالحلم و العدل على قدر ما تسمح به مواقفه و تطلعاته، وهو يحيا من الوجهة الدينية حياة ورعة ، متمسكا بالعادات و الشرائع الظاهرية، على أنه كان يستعمل في ذلك فيما يبدو ستارا لمشاريعه الواسعة، وهو متمكن من الكتابة العربية و اللغة العربية ، ومتمكن كذلك من الأدب العربي ، ويخصص أوقات راحته لقراءةالأدباء و الشعراء العرب، ويعرف تاريخ الخلفاء وكان يشعر في نفسه على ما يظهر القدرة على أن يعيد للهلال ما كان له من غلبة وعظمة."[336] بهذا يتضح لنا جليا أنه متمسك في أسلوبه بالعادات المتبعة، بل هو يعيش عيشة أكثر بساطة و

---

[336] يوهان كارل بيرنت:(الأمير عبد القادر) ترجمة وتقديم د أبو العيد دودو ، دار هومة للطباعة و النشر و التوزيع،34 حي لابرويار: بوزريعة.الجزائر 2012،ص:73.

تواضعا من معيشة معظم العرب، لا يرتدي أبدا ألبسة مذهبة أو مفضضة ، ولا يرى ذلك ، على نحو لا يظو من إسراف إلا فوق أسلحته و جياده .

هكذا وجد نفسه في كتايه ديوانه بين متحفظ للقديم و التراث و باحث للجديد، فمن خلال اقتباساته من النص الغائب وجدنا جدليات الصراع في ديوانه واضحة في عدة ثنائيات ، أحيانا متجانسة في طرحها لأزمة النص الشكلية أي من الناحية الشمولية ، وأحيانا متناقضة في تحقيقها في تحقيقها لوجودها داخل مساحة النص الشعري و تجليها في ظاهرة الشكلي، و أما متصارعة على ما يمكن أن يخبأه النص من إمكانية انتاج قارئه لأعلى المستوى الجمالي فحسب، ولكن على المستوى الإيديولوجي والسياسي كذلك.

خير مثال على هذا تلك الشيم الرجولية العربية الأصيلة في صلته بالمرأة فقد كانت المرأة مناط الاعتبار و التكريم ، بين خصائص نفسية وجسمية وذلك بسبب الإطار المدني والاجتماعي الذي استمد منه الأمير تربيته ، بحيث كانت شخصيته توفر للمرأة جانب القوامة والصلوبة، وتمرسه في السياحة و التمدن ، جعله يكتسب خصال الدماثة واللطف والرقة، بهذا كان له خطابان اتجاه المرأة، الأول ينطلق من اعتبارات المواضعة و العرف والثاني منطلق من القلب والوجدان، وهذا ما عمق لديه مشاعر إكبار المرأة و ترجيع مكانتها. بهذا قال عنه إمريت في كتابه (انطباعات حول شاعرية الأمير عبد القادر)، وقد كتب هذا محمد شريف ساحلي في كتابه (عبد القادر، فارس الإيمان).

« L’Emir Abd el Kader a laissé des poèmes qui ne manquent pas d’intérêt , il y célèbre ses exploits guerriers, mais il se montre aussi très fier un

lettré, un homme qui connait les traditions prophétiques, la grammaire et le droit coranique. Profondément ignorant en sciences, et même en histoire, il sait trouver des mots touchant pour exprimer les sentiments d'amitié et la poésie du désert »[337]

وهو يعني أن شخصية الأمير بن محي الدين الجزائري تتجلى في صفات متعددة عبد القادر، الأمير ، المقاوم، الصوفي ، الإنساني، الفقيه، العالم، نزيها عبقريا، جاء ليضفي على الثقافة العربية ، العالمية منها ثراء ما بعده ثراء حيث حادث أفكاره النيرة المستفيضة معنى و دلالة بالعديد من المؤلفات ، لا سيما: الشعر و الأدب . احتضنه و هو في عنفوان شبابه ، ملكة الروح الإبداعية شعرا فصيحا نظما و نصا متميزا تهز النفوس و تفطن الضمير الحي قصائده لا يستهان بها، تعد فخرا و تراثا فهو يعبر عن مشاعر الحب و الفخر و الفروسية و البطولات و الصداقة و الحكمة و الموعظة ، ومن أجمل قصائد الأمير وهو يمدح زوجته فخرا ببطولاته ، و الموسومة " أم البنين" ، هذا إلى جانب قصيد رائع " البدو والحضر" وهذه انطباعات الأستاذ "Emerit" الذي جاء مبهرا من جمالية الإبداع الشعري الجميل للأمير عبد القادر الجزائري، حيث جاء في آخر الفقرة من صفحة 27 من الكتاب الموسوم " عبد القادر، فارس الإيمان" باللغة اللاتينية لمؤلفه محمد شريف سحلي "ترك الأمير عبد القادر قصائد جديرة الاهتمام، تترجم بطولات الأمير من ساحة الوغى و الفخر، كونه مبدع ،مفكر هذا إلى كونه ذو علم وفقه لا يستهان به، فهو بحق شاعر الصداقة و الصحاري."

1) مسائل في الوزن و القافية في شعر الأمير عبد القادر.

[337] Mohammed Cherif salhi :Abd el kader chevalier de la foi. Entreprise de presse. Alger. Unité de réghaiia 1984.page 27

مأخوذ من : M.Emerit : « L'Algérie à l'époque d'Abd el kader » Ed, la rose, Paris , 1951

الوزن كان من المسائل الصوتية التي سال حولها أكبر واسودت في البحر عن دورها في السجلات دراسة وتحليلا وهو الأساس لباني لعضوية النظم في شكله الخارجي وهو الفصل الذي يختص به الشعر دون سائر الأجناس الأدبية، والشارح للألفاظ و المعاني لم يفقه ما للوزن من فائدة في رصف و تنظيم الكلم في بناء القصائد، لأن الإيقاع شطير الصورة في تكوين النص الشعري الجمالية و الدلالية ، إبداعا وتلقيا ، قديما و حديثا ، ومهما اختلفنا في مفهموه ودلالته وزنا و موسيقى خارجية أو داخلية، زمانية أو مكانية فإنه يظل دائما عنصرا من عناصر القصيدة له علاقاته الوشيجية بسائر العناصر ولا سيما بالشطير – النظير- الصورة." [338]

الوزن: لكل شاعر وزنه الخاص، حتى الألفاظ و المعاني لها أوزان ، وذلك منذ نشأ الشعر ، كان ظهور الأوزان لقول شوقي ضيف:" منذ وجد الشعر وجدت معه الأوزان ، فالشاعر لا ينطق بكلامه في لغة عادية، وانما ينطقه موزونا ، وكأنه يلبي فينا غريزتنا أو فطرتنا الأولى قبل أن تنشأ اللغات إذ كنا نتصايح بأصواتنا، وكأنما كل صيحة كانت كلمة أو قل كانت قصيدة نعبر بها عن مشاعرنا و احساستنا، تلك الإحساسات و المشاعر التي كانت تشبه محيطا متجمدا [339]

يدل على أن الشعر منذ وجوده على الأرض، كانت له أوزان لأنه يعبر عن الأحاسيس والمشاعر ويعبر عن العواطف ، لأن للوزن أثرا عظيما في تقوية المعنى و تنميقه. كما أن له الأثر العميق الذي يتركه من ورائه ، في تأدية المعنى لأن لكل واحد من الأوزان الشعرية المعروفة نغم خاص يرافق لونا من ألوان العواطف الإنسانية و المعاني التي يريد الشاعر التعبير عنها ، ودون

---

[338] نعيم الياقي: أوهاج الحداثة،ص:222.

[339] شوقي ضيف: في النقد الأدبي، دار المعارف، الطبعة الخامسة،1977م ، ص99.

الوزن يفقد الشعر ركنا مهما من أركانه، ووحدته في القصيدة الواحدة أساس التزامه الشعراء في قصائدهم التقليدية و حافظوا عليها محافظة شديدة إلا في بعض أنواع الشعر كالموشحات و نحوها.

اتضح لدينا أن للوزن أثره الواضح و العميق وذلك في إبراز أهمية المعنى و إيضاحه وهو يتناسب والعواطف الإنسانية لأنه يعبر عن وجدانها، وعن ما يجول في النفس و الخاطر وفي فقدانه يفقد الشعر ركنا أساسيا من أركانه ، كأن يفقد للقصيدة الشعرية وحدتها و ترابطها و انسجامها لما نص به طه حسين لقوله : " وزن الشعر العربي كوزن غيره من الشعر، انما هو أثر من آثار الموسيقى و الغناء ، لأن الشعر في أول أمره غناء ، ومن ذكر الغناء فقد ذكر اللحن والنغم و التقطيع أو قل بعبارة موجزة : فقد ذكر الوزن." [340]

كان الوزن من المسائل النقدية التي دار حولها الجدل دراسة و تحليلا، و الوزن عندهم ذلك الأساس الباني لعضوية النظم في شكله الخارجي ، وهو الفيصل الذي يختص به الشعر دون سائر الجناس الأدبية." فحينما نهضت اللغة العربية من كبوتها، وأخذت تستعيد سيرتها الأولى في أوائل عهد النهضة الجديدة منذ مائة عام تقريبا ، وجد رجال النهضة و كبار الشعراء فيها أن المعنى الصافي و المورد المستساغ هو في شعر الأوائل فقلدوهم ، فإذا الشعر الحديث يرتدي حلة قديمة و إذا الأوزان القديمة هي السائدة المرعية، وحيثما كان التمازج بين الغرب و

---

[340] طه حسين: الأدب و النقد، المجلس الخامس ، دار الكتاب اللبناني ،بيروت،لبنان ومكتبة المدرسة،1982م،ص:326.

الشرق وعرف الشعراء الأوزان الغربية ، ونبشوا دقائق الثروة العربية القديمة، وجدوا أنه لابد من نهضة شعرية ،فكانت المذاهب الأدبية الحديثة."[341]

وهذا ما اتبعه الأمير عبد القادر الجزائري في ديوانه، فقد سار على خطى غيره، نجد مثلا قصيدة (عود وورود) يقول:

أنا حق أنا خلق ❁ أنا رب أنا عبد

أنا عرش أنا فرش ❁ وجحيم أنا خلد

أنا ماء أنا نار ❁ وهواء أنا صلد

أنا كم أنا كيف ❁ أنا وجد أنا فقد

أنا ذات أنا وصف ❁ أنا قرب أنا بعد

كل كون ذاك كوني ❁ أنا وحدي أنا فرد.[342]

بحيث نج في البيت الأول زحاف في إحدى العبارات و هو مستنتج في حشو البيت، وهناك كذلك قصيدة (هو الباطن هو الظاهر): نجدها غير متماسكة في الوزن لقوله:

أردد طرفي في الرسوم فلا أرى ❁ سوى من به كانت: رسوما و آثارا

وأسألها عنه فكل أجابني ❁ بأنه ما رآه يوم و لا أدري

فقلت لهم: هذا عجيب ؟ فإنني ❁ ما أبصرته الا بكم متظاهرا .[343]

---

3 أحمد قبش : تاريخ الشعر العربي الحديث، دار الجليل،بيروت،ص:7

[342] الأمير:الديون،ص:118

الوزن في النقد العربي القديم ركن من الأركان الأساسية التي يقوم عليها بناء الشعر فالانتقال من النثرية إلى الشعرية مشروط بالوزن ." بهذا كل التعاريف تبرز أهمية الشعر، وأثره في القصيدة العربية ، لأنه بمثابة ركن لحن ونغم القصيدة الشعرية، فهو الإيقاع الحاصل من التفعيلات الناتجة عن كتابة البيت الشعري، و الوزن هو القياس الذي يعتمده الشعراء في تلأيف أبياتهم و مقطوعاتهم وقصائدهم و الأوزان الشعرية التقليدية ستة عشر وزنا ، وضع الخليل بن أحمد الفراهيدي خمسة عشر وزنا منها، ووضع الخفش وزنا واحدا. وقد وجدنا الأمير قد استعمل جلها.

" وهكذا يقف الشاعر التفعيلي حيث يريد و يسير حيث يشاء دون التقيد بعدد التفعيلات ، وقد ينتقل شاعر التفعيلة من روي الى روي و بذلك يتفاوت شعراء التفعيلة بين نظام الروي المتراوح ، ونظام الروي المتوالي و قد اتسع التجديد مع احتكاكنا بالغرب ومع التقدم التقني." [344]

الأمير قد تعرض لبعض الصيغ في ديوانه من النص الغائب، أي من الصيغ التي تعرض لها الشعراء القدماء تعرضا يقوم على دوافع مختلفة، فمنها ما أخذه الشعراء أخذا يوفق بين الشكل والمضمون ، ومنها ما أتى به هؤلاء الشعراء ادلالا على البراعة و إظهارا للمقدرة على التحكم في أدوات الصياغة ، غير أن تأثر المحدثين يمثل هذه الصيغ يتحدد أيضا بمدى قدرتهم على تطويعها لانفعالاتهم الخاصة في داخل النص، وهو حال الأمير في بعض قصائده من مثل قصيدة:(أنا مطلق) يقول:

---

[343] المصدر نفسه، ص:118

[344] عبد القادر هني: نظرية الابداع في النقد العربي القديم ، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر(ر ط) 1999،ص:57.

أنا مطلق لا تطلبوا الدهر لي قيدا ❁ ومالي من حد فلا تبغوا لي حدا

ومالي من كيف فيضبطني لكم ❁ ولا صورة لا أعدو منها ولا بدا

ومالي من مثل ومالي من ضد ❁ فلا تطلبوا مثلا ولا تبغوا لي ضدا.[345]

ففي البيت الرابع كسر عروضي على الرغم من استقامة الوزن، ومن القصائد كذلك المظطربة في الوزن قصيدته(لوحضرت) يقول فيها:

ياصاح أنك لو حضرت سماءنا ❁ وقت انشقاقها حين لا تتماسك

وشهدت أرضا زلزلت زلزالها ❁ ألفت ما فيها و الجبال دكادك

ونظرت أرضا بدلت و سماءنا ❁ و برزخها حللنا وكل هالك.

وشهدت صعقتنا و الاله قائل ❁ الملك في اليوم مالي مشارك.[346]

فهي على الرغم من اضطراب وزنها الا أنها مقتبسة من سورة الزلزلة، وفيها من قوله تعالى "لمن الملك اليوم " غافر:16.

---

[345] الأمير:الديون ، ص:119.

[346] الأمير:الديون،ص:129.

إذنالقصيدة العربية قامت في بنائها الموسيقي على الأوزان التي رصدها الخليل ، تختص كل قصيدة ببحر معين من البحور الستة عشر ، وبقافية معينة تنظم سائر أبياتها ، وعلى هذا حدد النقاد والبلاغيون موسيقى القصيدة ، فالوزن هو إيقاع يحصل فيما بين التفعيلات في البيت الشعري بكتابة عروضية ، وقد يكون موسيقى داخلية ناتجة فيما بين سكون وحركة كلمات البيت الشعري كما أنه قياس يعتمده الشعراء عند تأليفهم الأبيات و المقطوعات أو القصائد الطوال.

إن القصائد ذات الوزن الواحد ، لها طابع مشترك يتمثل في وقع هذا الوزن في صورته المجردة . ولكنها بعد ذلك تختلف في النغمات كم و كيفا. ولما كان الإيقاع دائما أقوى من النغمة في التأثير على الأذن ،كان لارتباط الشاعر التقليدي بالصورة الوزنية التقليدية للقصيدة، أثره في تكييف المعنى المقصود من موسيقى الشعر سواء عند الشعراء و النقاد القدامى " [347]

بناء على ما تقدم نلاحظ أن الأمير عبد القادر الجزائري في قصائده، معالم أوزان الشعر واضحة عنده ، لأنه قدم في جل أبياته وزن و ايقاع معين ، يقرع الأذهان والأنفس ، وكأنك تحس بالأبيات الشعرية التي قدمها للقارئ في حلقة اتصال مع النص و تشكيله، والدخول إليه، لأن الوزن ركن أساسي في الأبيات الشعرية ، والأمثلة على هذا كثيرة. بحيث الأمير كان في جل اختياره للأبيات على التي لها وزن و إيقاع خاص ، ذات رنة واحدة وإيقاع واحد ، على الرغم من اضطراب بعض الأوزان في بعض القصائد .

[347] السعافين: مدرسة الاحياء والتراث،ص440.

إذن لصياغة الخطاب لابد من عملية الإخراج الفني الجمالي لتمييزه، وتكون الأوزان جمالية من جماليات النص الشعري، وقد قدم الأمير أبياتا ذات أوزان خاصة تبعث الطمأنينة إلى العقل ، و الراحة إلى القلب لأنها متسلسلة وذات نغم و إيقاع واحد ، وقد أخذ هذا من النص الغائب أي عن القدماء الذين عدت عندهم الموسيقى من أهم ركائز الصياغة الشعرية ، ذلك لأها لا تستطيع أن تحقق توافقا و انسجاما بين الشكل و المضمون، في الوقت الذي يتمكن فيه الشاعر من ناصية القول ومن عبقرية الموهبة ، وما يهم هو أن الشاعر الجيد يستطيع أن يطوع موسيقى الشعر، لخدمة الصياغة والمعنى معا.

- اسم البحر ونوعية القافية: عند قراءتنا لشرح ديوان الأمير عبد القادر الجزائري ، تجلى لنا وقوفه عند ذكر قافية البيت و اسم البحر ، وهو ما يدخل ضمن علم العروض :" وهو العلم الذي يعرف به صحيح الشعر من غير صحيحه ."[348]

معنى ذلك أن العروض يبين للقارئ الشعر الصحيح من غير الصحيح ، فالتبريزي كثير الذكر لنوع القافية و البحر ، لأن القافية في الشعر هي آخر البيت أو البيت كله أو القصيدة كلها ،أما في الاصطلاح فقد أعطيت تعريفات عدة لعل أصحها قول الخليل بن أحمد الفراهيدي : إنها آخر كلمة في البيت وزعم القراء أنها الروي وضعف رأيه.[349]

---

[348] علي حميد خضير : الجديد في العروض : عالم الكتب ، مكتبة النهضة العربية ، ط1، 1403هـ- 1983م ،ط2 ،1407هـ-1986م، ص:13.

[349] اميل بديع يعقوب: المعجم المفصل في علم العروض و القافية و فنون الشعر، دار الكتب العلمية ،ط1، 1991م،ص:347.

الآراء اختلفت حول تعريف القافية ، الا أنهم زعموا أنها آخر حرف في البيت ، وفي تعريف آخر يعرف علماء العروض القافية بأنها :" هي المقاطع الصوتية التي تكون في أواخر أبيات القصيدة أي المقاطع التي يلزم تكرار نوعها في كل بيت، فأول بيت في قصيدة الشعر (الملتزم) يتحكم في بقية القصيدة من حيث الوزن العروضي ومن حيث نوع القافية."[350] لأن القافية هي ما يوجد في أواخر البيت.

"فالوزن والقافية يشكلان الموسيقى الخارجية للقصيدة فقط ، أما الموسيقى الداخلية فلها ميدانها المختلف. فقد تتشاكل قصيدتان في الوزن و القافية غير أنهما تختلفان في النغمة التي تنتج عن توالي المقاطع، فتشكيل الشعار لموسيقاه الداخلية يحتكم إلى القدرة الشعرية ، والى طبيعة ملائمة هذا الشاعر بين موسيقاه الداخلية و بين حالته النفسية ، فالإيقاعغير النغمة ، كما أن طبيعة البيت ، وذلك يتعلق بالأساليب و طبيعة التراكيب ، تسهم في تشكيل الموسيقى الداخلية."[351] ، إذن كل من الوزن والقافية لهما علاقة وطيدة بالموسيقى فمما تتكون القافية ؟؟.

يقول عبد العزيز عتيق :" تتكون القافية من حرف أساسي ترتكز عليه يعرف باسم (الروي) ، فالروي هو آخر حرف صحيح في البيت وعليه تبنى القصيدة، واليه تنتسب، فيقال: قصيدة ميمية أونونية أو عينية اذا كان (الروي) فيها ميما أو نونا أو عينا "[352] ، فحرف الروي

---

[350] عبد العزيز عتيق: علم العروض والقافية، دار النهضة للطباعة والنشر، بيروت،ص:134 .

[351] إبراهيم السعافين: مدرسة الاحياء والتراث ،ص:397.

[352] عبد العزيز عتيق: علم العروض والقافية ، دار النهضة للطباعة و النشر، بيروت، ص:136..

هو الذي تتكون منه القافية وهو ما تسمى القصيدة الشعرية به، وما يدعى بموسيقى شعرنا العربي.

وقد وجدنا الأمير عبد القادر الجزائري قد نوع في ديوانه و قصائده في حرف الروي والقافية ومن الأمثلة على ذلك قوله في قصيدة (نعم الأكرمين):

ولم أرى أعظم من نعمة ❁ منحت ولم تك في حساب

سأشكرها شكر وقت السرور ❁ وأذكرها ذكر وقت الشباب

أيا سابقا بالذي لم يجل ❁ بفكري ثوابا ونعم الثواب

كذا فلتكن نعم الأكرمين ❁ تفاجي بلا منة أو طلاب.[353]

فانظر إلى جمال القافية وحرف الروي، وهي من بحر المتقارب. إلا أن هناك اقواء في البيت الثالث، ويقول في قصيدة (وصف رحلة إلى بو) هي من بحر الوافر:

اذا ما سلت عن خير وخيري ❁ فاني لنعمة الاله شاكر

وقد وافيت عزا في فرنسا ❁ ولينا في الأصاغر و الأكابر

وعطفا و انحناء وارتحاما ❁ يقوي ما رجونا من الأكاسر

وفاق بهاؤها بنسج وصنع ❁ مدارج هيكل تسلي الخواطر

ومن بعد الزوال لها ارتحال ❁ لقصطل نوضري و العذب حادر

---

[353] الأمير:الديون،ص:94.

فأرسيناه في نزل رفيع ❁ وقد حمدنا نزول المصادر.[354]

على الرغم من أن القصيدة مضطربة الوزن ، وبدت الزحافات فيها كثيرة، وقد تجاوز المباح فيها عروضيا الا أنها في الأخير قد استقامت، وقوله كذلك في قصيدة(في مدينة طولون) وهي من البحر البسيط:

فهي الوسيلة للمقصود من ملك ❁ قد عشق اللهو بباريز من خدم

تفاخر لعب الدنيا بزينتها ❁ تكاثر المال و الأولاد فاكتتم

أبواب سلطنة القديم نامية ❁ لدى الجديد بما يريد من عمم

ترنقت بفؤاد النائي مملكة ❁ حوت فرنسا بها مدائن النعم

مراكب الفلك في البحار ماخرة ❁ ما بين رائح أو غاد مع الأضم

لاحت قلائعها نارت علائقها ❁ ضاءت مشارقها بالجو و العلم

فالجسم ما الساج و الأوراج موقدها ❁ دخنها السرج و المهماز في كتم.[355]

فهذه القصيدة كذلك لم تستقم مع الوزن ، وقد اضطرب بعض من أوزانها ، الا أنها استقامت مع الأخير، لأن الأمير يعرف كيف تكون القصيدة مستقيمة الوزن.

---

[354] الأمير:الديون ، ص:135.

[355] المصدر نفسه ،ص:137.

الا أنه " لا تقتصر موسيقى الشعر على ما تعارف عليه القدماء بالوزن و القافية ، ذلك لن الوزن والقافية. لا يشكلان وحدهما الأنغام المتدفقة التي تزخر بها القصيدة ، وان كانا بطبيعة الحال من أبرز ركائز موسيقى الشعر."[356]، لأنه على الرغم من اضطراب بعض الأوزان في ديوان الأمير إلا أنه نظم قصائد رائعة و جميلة الوزن و القافية لقول محمد بوزيان بشعره الشعبي عن الأمير ما يلي: (في دروب القوافي):

ترعرع مولايا عبد القادر بتمام

بالقيطنة غرب معسكر بواد الحمام

ناظم لشعار و الحكم من طيب لكلام

وهبو ربي لهيب المشاعر

❁❁❁❁❁

الحكمة ف البيت و القافية ميزان

وصياغة العبر البديع و لحسان

الوصف ظاهر قصيدو فيه البيان

"أم البنين" لزوجته يفتخر

[356] السعافين: مدرسة الاحياء ،ص:397.

جالس الأدباء العرب الغرب و الشام

" الطهطاوي رفعة" رفيع المقام

" البارودي" و" محمود قبادو" للالهام

بلا ما ننسى محمد عبدو المفكر

دافع بالسيف و لمدافع على دوام

العين ع لورق تدمع كالمداد الخام

رجال عنتر بن شداد الجام

أبو الفوارس يمدح و يناظر

جالس حميدة العمالي بالجامع الأعظم

مفتي العاصمة فقيه وعالم

محمد بن المسبح القسنطيني بليغ لكلام

بين المادة و الروح يوفق و يحرر

❁❁❁❁❁

سيدنا المير يشرع ف لحكام

استنبط رسالتو من دين الاسلام

تفقه ف اللغة وف الآداب مقام

ما يحرر العبد غير لعقل النابر"[357]

إذن كان الوزن و القافية في ديوان الأمير عبد القادر تشدو به الأذن لأنه جميل وذو ذوق رفيع.

يقول شوقي ضيف:" لا يوجد شعر بدون موسيقى يتجلى فيها جوهر وجوهه الزاخر بالنغم موسيقى تؤثر في أعصاب السامعين و مشاعرهم بقواها الخفية التي تشبه قوى السحر، قوى تنشر في نفوسهم موجات من الانفعال يحسون بتناغمهم معها ، وكأنما تعيد فيهم نسقا كان قد اضطرب و اختل نظامه."[358] ، وهو أن للشعر موسيقاه و نغمه ، وهو ما يشد السامع (القارئ) إليه ، وجعله يتمتع بسحر الشعر ، وينفعل معه إضافة إلى القافية يوجد البحر الذي تكون عليه القصيدة الشعرية ، وهي كثيرة ومتنوعة و مختلفة في أسمائها.إذن أوزان الشعر التي

---

[357] محمد بوزيان: زيارة الأمير .رحلة في دروب القوافي عبر مسيرة الأمير عبد القادر 1808-1883، شعر شعبي ، 8 شارع رضا حوحو الجزائر 16000 ، ص:18-19.

[358] شوقي ضيف : فصول في الشعر ونقده ، دار المعارف بمصر،دط،دت ص:29

نظم فيها شعراء الجاهلية تنظم فيها الأعاريض جميعا مع حركة من حركات الإبل في السرعة و الأناة. فالأمير وجدناه يذكر نوع البحر والقافية دون التفصيل فيهما ، على الرغم من بعض العلل و الزحافات التي ذكرها لعض الشراح والتي تطرأ على البيت الشعري.

هذا الجدول يوضح أول القصائد مع ذكر القافية و البحر:

القصيدة	مطلعها	القافية	البحر
وراء الصورة	لئن كان هذا الرسم	العظمى	طويل
أبونا رسول الله	أبونا رسول الله	قدرا	طويل
بنا افتخر الزمان	لنا في كل مكرمة	رجال	وافر
لبيك تلمسان	الى الصون	نداها	طويل
بي يحتمي جيشي	تسائلني أم البنين	أحوالي	طويل
ما في البداوة عيب	يا عاذرا لإمرئ	و القفر	بسيط
شددت عليه شدة	توسد بمهد الأمن	الثوى	طويل
هاشمية	ألا قل للتي	واد	وافر
مسلوب الرقاد	إلا فؤادي	تثور	طويل
دموع ونار	فإن كان هذا البعد	شفا	طويل

منوا بلقياكم	أود بأن أرى	سار	وافر
يتيه بدله عمدا	أقاسي الحب	ودادي	وافر
بنت العم	جفاني من أم البنين	سجال	طويل
جودي بطيف	أقول لمحبوب	و البعد	طويل
فراقك نار	أحباب قلبي	عن حد	بسيط
أرضي بطيف خيال	خليلي وافت منكم	بالخال	بسيط
ذات خلخال	سألت رجال الطب	ذكاء	طويل
ليس للحب دواء	أقول لقوم	الأدلة	طويل
باللحظ تخدش وجنته	أخي	ترغيه	بسيط
متى ينقلب نحسي	أهلا وسهلا بالحبيب	مواسم	كامل
أهلا بالحبيب			

القصيدة	مطلعها	القافية	البحر

لا يأبى الكرامة الا	نعم و لكم	الصدر	طويل
نعمة الشفا	خليلي	رضوى	طويل
يا قرة العين	يا قرة العين	الحزن	بسيط
الشوق يكتمه الأريب	بني	القلوب	وافر
لا تعجل بلومك	فديناك	أوجع	طويل
لا ندم ولا ملامة	خليلي لا تندم	بالطب	طويل
يا كثير البعد	يا مولا	حالك	مجزوء
ترك العادة ذنب	سلام عليكم	والعطر	الرمل
الجوع براني	أما آن للخل	الضرا	طويل
زكاة العلم	أتت مهنئة	معاينها	طويل
أنا مخلص للود شاكر	أحلى المديح	بهار	بسيط
أنفاس أحبابي تحييني	بديعة الحسن	تزيين	كامل
رباط الود مشتد	أما و الذي	ند	بسيط
يراع ينفث سحرا	أتاني كتاب	بقاعه	كامل

لن يبرأ	أقول على صدق	حرا	طويل
طال ليلي يا أحبابي	يا سواد العين	السند	كامل
تحصنت لاخوفا من الموت	الله أعلم	دليلا	كامل
الباذلون نفوسهم	يا أيها الريح	تجملي	كامل
عذاب الأسر	ماذا على سادتنا	حقا	كامل
يا سيدي يا رسول الله	يا سيدي يا رسول الله	مددي	كامل
أعرني قلب	ألا إن قلبي	يطير	بسيط
آمن من حمامة مكة	الحمد لله تعظيما	إقبالا	طويل
توسلات و دعاء	يارب يارب	إعلانا	بسيط
نعم الأكرمين	ولم أرى أعظم	في حساب	بسيط
في مدينة طولون	أ طلون	منفعم	بسيط

القصيدة	مطلعها	القافية	البحر

بمن أعتاض عنك	ألا فاقر الخليل	نفيسا	متقارب
غلاء الدار بالجار	أبي القلب	أرسى	وافر
كريم من كريم	فذا ديوان سيدنا	عبد الكريم	طويل
محامد العلم	سرح سوادك	علاء	وافر
هدية و شكر	تفضل بالقبول	قدرك	كامل
ما أكمله	خليلي	ما أجمله	وافر
عود و ورد	تبخر بعود طيب	و الورد	متقارب
مناجاة أحد	تذكرت وشك البين	على الخد	طويل
جنات دمر	عج بي فديتك	النضر	طويل
الناعورة العاشقة	وناعورة ناشدتها	تسيل	كامل
وليمة الله	فلم يكن المولى	و الخل	طويل
الحمد لله	الحمد لله	لا النسناس	طويل
أستاذي الصوفي	أمسعود جاءك	ذكر	كامل

غيب	السعد	العمر	طويل
مسكين...لم يضق طعم الهوى	أيا نفس	و الراح	طويل
أنا الحب و المحبوب و الحب	أوقات وصلكم	نيرانا	بسيط
جملة	عن الحب مالي	يصفحوا	كامل
أي واد صبحوا	ليتهم اذ ملكوني	عبد	رمل
عود و ورد	أنا الحق	وآثار	رمل
هو الباطن هو الظاهر	أردد طرفي	تكون	طويل
كما كنت	هن	كذب	طويل
حديث عجب	لا تعجبوا	حدا	بسيط
أنا مطلق	أنا مطلق	الحد	بسيط
الذي أفناني	أرى الذي أفناني	لا أرى	طويل
تجلي المحبوب	تجلى له المحبوب	بلا نور	طويل
غابة الذي يبغي	فيا نورا بلا شمس	مجبور	هزج

حقق الأمر	أنا أكون	البصر	طويل
هويته	وما نحن	لبس	متقارب
أمطنا الحجاب	أمطنا الحجاب	ينفع	بسيط
أيا حيرتي	أيا حيرتي	جرف	كامل
عابد فكري	أيا من غدا	تتماسك	رمل
لو حضرت	يا صاح	مجلى	رمل
يا عظيما تجلى	يا عظيما	أنا	وافر
من أكون؟؟	أيا أنا من أكون	تهوى	بسيط
يقولون	يقولون	شاكر	وافر
وصف رحلة إلى بو	إذا ما سلت		

1) الموسيقى الداخلية و الخارجية في شعر الأمير عبد القادر:

- موسيقى الشعر: يقول عز الدين منصور :" وظل الشعر العمودي شامخا يؤدي رسالة بأنماطه القديمة والجديدة التي لها أصالتها في الأداء الشعري."[359] وهذه الأصالة نابعة من العلاقة بين الشعر و موسيقاه، لأن موسيقى الشعر أو إيقاعه تتمثل في تناول الشعر ، وخاصة العمودي و الشعر الجاهلي، والقصائد الطوال ، لذا اكتسب شموخا فنيا.

لأن للروح الإنسانية ميول فطرية و انجذاب نحو الأصوات هادئة كانت أم مزعجة، مقبولة أم مرفوضة ، اذ نجد "شوقي ضيف" وضح ما للشعر العربي من أثر جلي فيما تنجذب اله النفوس البشرية من قوى خفية للشعر كامنة في قراراتها متوطنة في خلدها تتحرك اثر الاستماع لها.يقول:" كأن الإيقاعات تعد عدا ، فهي دائما عدد منتظم لا نقص فيه ولا زيادة عدد بعينه من الاهتزازات الصوتية الموسيقية عدد يأخذ شكل قانون صارم ففيه تكمن القوى الخفية للشعر العربي."[360] ومن الأنماط التي حافظ عليها الشعر الجاهلي وتنبه لها الشارح حينما يتناول القصائد بلشرح و الأوزان الشعرية و استقامتها، و إقامتها وقضايا القافية وما تتضمنه من قواعد عروضية ، وهذا ما تغير مع الشعر الجديد لأن النقاد في حد ذاتهم ارتبطت مقارباتهم في تعامل النص الجديد بالبنية العروضية و الموسيقية من جهة و ببنية المضامين (الموضوعات، التوجهات، الأفكار) من جهة ثانية ،لأن إعادة تشكيل النص من الناحيتين الموسيقية و البلاغية و إعادة توزيعه وتدوينه وفق بصرية مختلفة ستفرض على القارئ (الناقد) إعادة تشكيل تلقيه للنص من الناحية السمعية و بالتالي إعادة تشكيل أذن موسيقية مخالفة هي الأخرى.

---

[359] عز الدين منصور: دراسات نقدية و امنذج حول بعض قضايا الشعر المعاصر، مؤسسة المعارف ، بيروت،لبنان،ط1985،1م،ص.19.

[360] شوقي ضيف: في النقد الأدبي، دار المعارف، القاهرة، مصر ،ط5، 1977م، ص101.

كان العرب يعرفون أن شعرهم موزون، الا أنهم لم يكونوا على علم ما لذلك من الصلة بالإيقاع وسلاسة الايقاع كما هو معروف هي خفة النغمة، وسلاستها، يحس بها السامع في جرس الكلام وأصواته لقول محمد العياشي:" فالعرب على عهدج الخليل كانوا قاصرين و مقصرين في ميدان الموسيقى، لم يعرفوا عنها إلا النزر اليسير الذي لا يفي بالحاجة" [361] فالإيقاع مقوماته يرتكز عليها في القصيدة العربية و بالخصوص الشعر العمودي.أما السعيد الورتي فيقول:" يتكون مما يمكن أن نسميه بالإيقاع الداخلي المؤكد للحركة ومن النغم الخارجي ومن التتابع اللفظي."[362] وبهذا فمفهوم الإيقاع وسيلة موسيقية و أداة صوتية يتفطن لها ذو الحس المرهف من علماء العرب و المسلمين و كل ذلك في التراكيب و القلب و التضعيف و اختلاف اللهجات أو الحروف، وبهذا قيل: موسيقى الشعر أي وزنه يختلف من لغة إلى لغة ، قد تتطور و تتغير في اللغة الواحدة بتغير العصور و البيئات و الأذواق. فللشعر ثلاثى مقاييس أو خصائص تميزه عن النثر و هي:

1- الموسيقى .
2- أسلوب التغيير الشعري.
3- المضمون الشعري و الملكات النفسية التي يصدر عنها هذا المضمون." [363] كما أن التلوين العاطفي للمضمون الشعري يعتبر من الميزات أو المقاييس الهامة التي تميز الشعر عن النثر. بهذا كان نظم الأمير عبد القادر تيمنا و افتخارا بأبطال العرب و شجعانهم باعتباره

---

[361] محمد العياشي: ايقاع الشعر العربي، مطبعة الاسكندرية، مصر(د ط)،1973م ،ص:20.
[362] السعيد الورقي: لغة الشعر العربي الحديث ، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان،ط3،1984،ص:159.
[363] محمد مندور: الأدب وفنونه، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية 2002.ص30.

يشكل متنفسا أساسيا في عملية الضيق و الشدة التي تمر بها نفسيته و عواطفه خاصة في أوقات غيابه عن زوجته و أحبائه مدة طويلة ، أو عند انقطاع الأخبار عن خلفائه وولاته أو قادته ، مما يدفع بالغريزة للتعبيرية عن الاشتياق و الحرقة و حلم اللقاء و التواصل إلى التسلل عبر نتؤات القول الإبداعي و الخطاب الشعري. ومن الأمثلة على ذلك قوله في قصيدة (غلاء الدار بالجار):

و فارقت أهلي منذ أن تجمع ❁ و أمنت لاغما أخاف ولا نكسا شملنا

مكارم أخلاق و حسن شمائل ❁ ولين طباع و اللطافة لا تنسى

سفن الله غيثا و رحمة و كرامة ❁ أراض به حل الأحبة من بروسا.[364]

فنجد أن كلمة (أراض) تقتضي الفتح على الياء، وقد اضطر الشاعر الى حذفها لاقتضاء الوزن ذلك و قد تأثر بالنص الغائب في الإيقاع، كقوله في قصيدة تصوفية :

وصرح بمن تهوى و دعني من ❁ فلا خير في اللذات من دونه سر. الكنى

ترى سائقيها كيف هامت عقولهم ❁ ونازلهم بسط وخامرهم سكر.[365]

---

[364] الأمير:الديون، ، ص 96.

[365] المصدر نفسه،ص:112.

وهذان البيتان لأبي نواس وردتا في قصيدة مطلعها:

ألا فاسقيني خمرا وقل لي هي خمر ❁ و لا تسقيني سرا إذا أمكن الجهر.

وما يوضح لنا كذلك أن الشاعر يهتم بالإيقاع قوله كذلك في قصيدة (أنا مطلق):

ومالي من مثل و مالي من ضد ❁ فلا تطلبوا مثلا و لا تبغوا لي ضدا...

ولا تصلبوا غيري فما هو كائن ❁ سوى خيالات تحسبون لها وجدا.[366]

ففي هذين البيتين كسر عروضي ففي ووجدا أراد وجودا ، ومن مثل كذلك قوله في قصيدة (تجلي المحبوب):

ولاطفني بقوله الحق معلنا ❁ أنب قد اخترت قد اصطفيت بلا أمترا

وإني شربت الكأس و الكأس بعده ❁ و كأسا وكأسا شياما أنا حاضرا..

أنا الموسوي الأحمدي وراثة ❁ صقت ودك طورنا جرى ما جرى.[367]

ففي البيت الأول كسر عروضي و الثاني كذلك ، إلا أنه مثقل بالزحافات التي تضمنها. و الثالث كذلك مثقل بالزحافات و مبهم في المعنى .وصقت: بهذه الصورة لعلها من صاق، ومعناها صاق به كذا صيقا الصاقا لصيق و هو الغبار الملتف التكاثف المرتفع في الهواء.

كذلك في قوله (عابد فكرة):

---

[366] الأمير:الديون،ص:119-120.

[367] المصدر نفسه،ص: 122.

يا من غدا عابد الفكرة فقف ❁ فأنت يا غافلا على شفا جرف.

جعلت عقلك هاديا ونور الهدى ❁ أضلك العقل أين أنت في تلف.[368]

هذه كذلك فيها اضطرابات عروضية تجاوزت في بعض الأحيان حتى ما أتاحه العروضيون للشعراء وعدوه شاذا.

بهذا علينا أن نعرف إيقاع القصائد " لأن الشعر نمطان من الموسيقى ، خارجية هي الوزن Mètre وداخلية هي الايقاع Rythme ، و لأن أعلى الشعر التقليدي من النمط الأول "[369] ، وبهذا وجد الأمير نفسه مضطرا للتعبير عن ذلك الشعور بهذا الإيقاع في ديوانه." لأن الموسيقى الداخلية للقصيدة ، ينبغي أن تكون ذات أثر في توصيل المضمون وفي إثرائه معا، وهي من أهم أدوات الصياغة ولا نظن أن هذه الخاصية تتيسر للشاعر إلا إذا كان ينظم شعره عن تجربة معينة ، مر بها و استوعبها، وحاول التعبير عنها بعد أن اعتكف معها يتأملها في هدأة من الوقت، فإذا كان الشاعر لا ينظم بهدف التعبير عن انفعال معين ، فإنه بطبيعة الحال سوق لا يضبط جرس الألفاظ المتجاورة، وسيكزن الأمر بالغا منتهاه اذا افتقد معنى محدد يريد أن يقوله ولو متكلفا."[370] فالقصيدة ملتزمة – كما يقول القدماء- بعمود الشعر القديم ، كما أن الشعراء يلزمون أنفسهم بالنظم على البحور الطويلة ، بحيث لا يلجئون إلى المجزءات إلا نادرا.

---

[368] المصدر نفسه،ص:127.

[369] نعيم اليافي: أوهاج الحداثة،ص:24.

[370] السعافين: مدرسة الاحياء ، ص:115-116.

" ولقد أصاب موسيقى الشعر ما أصاب غيرها من عناصر البناء الفني للقصيدة الحديثة، من نزوع إلى إدراك محاولات التطور، سعيا وراء التواؤم الفني بين قيم النص الجمالية و البنائية من ناحية، ووظيفته الثقافية و الاجتماعية من ناحية أخرى." [371] ، وهذا على عكس القصيدة العربية القديمة التي التزمت أوزان الخليل المعروفة، وقد تراوحت تلك الإيقاعات بين الشيوع و الذيوع و بين الإهمال و النسيان ، وقد على المجتمعات العربية تطورات اجتماعية وحضارية، صحبتها موجة من الترف المتوسل بوسائل مختلفة منها الموسيقى و الغناء، وقد صاحب هذه الظاهرة تمرد سطحي على التشكيل الصوتي للقصيدة العربية فجاءت نتيجة سلبية اهتمت بالشكل دون أن تمتد بحال إلى المضمون. وقد أدى ضعف الشعراء فنيا و لغويا، وتفشي العامية بحيث حدثت هوة عميقة بينها و بين الفصحى وتفكك المجتمعات العربية سياسيا وتدهورها حضاريا الى الانصراف عن الأوزان الطويلة الى المجزءات من جهة و إلى الفنون النظمية العامية من جهة أخرى ، غير أن هذه النتيجة لم تكن عامة ، و إنما كانت مظهرا من المظاهر التي تتعلق بالوزن و النظم الشعري، دون أن تغلب عل الأوزان المعروفة، اذ إن المتأخرين وحتى عصور الانحطاط كانوا وما يزالون يقلدون الأقدمين.

إذن تعد الموسيقى من أهم ركائز الصياغة الشعرية ، فهي تحقق انسجاما بين الشكل و المضمون، بحيث يستطيع الشاعر أن يطوعها لخدمة الصياغة و المعنى معا ، وهي لا تقتصر على الوزن و القافية فحسب و انما على الموسيقى الداخلية و الخارجية ، لأن اليقاع غير النغمة

[371] مصطفى أبو شوراب: ايقاع الشعر العربي،ص:75.

و طبيعة البيت الشعري تتعلق بالأساليب وطبيعة التراكيب هي التي تتسم في تشكيل الموسيقى الداخلية و الخارجية.

- الموسيقى الداخلية: هي مقترنة بالمعنى، بالصياغة بعامة و بالموسيقى بخاصة، لأن ميدانها مختلف، فقد تتشاكل قصيدتان في الوزن و القافية غير أنهما تختلفان في النغمة التي تنتج عن توالي المقاطع ، فتشكيل الشاعر لموسيقاه الداخلية يحتكم الى القدرة الشعرية ، والى طبيعة ملائمة هذا الشاعر بين موسيقاه الداخلية وبين حالته النفسية، لأن ما يتعلق بالأساليب و طبيعة التراكيب تسهم في تشكيل الموسيقى الداخلية ، فكان أثر التقليد المباشر واضح جلي في المعارضات و التشطير و التربيع و التخميس في تشكيل الموسيقى الداخلية المتمثلة في المعنى و الموسيقى، وما يشكل هذه الموسيقى أكثر هو طبيعة البديع و بخاصة الجناس بهذا كانت الصورة تبدو أكثر تعقيدا في القصائد العادية التي لم يتعمد الشعراء بها المعارضة وهذا لتشابه الوزن و القافية.

- بهذا لاحظنا ما يشكله الإطار المنهجي لمبدعات الأمير الشعرية و قد تضمنت جميع الأغراض لأن الشعر كما يقال معى إيديولوجي و ليس تعبيرا عن هموم الذات فقط. لأنه لو نفهم معاني قصائده فهما وافيا، ولم نمعن النظر في دقائق و خواطر مبدعها ، ولم ندخل في تجربته الحية لنعيش معها لحظة بمشاركة قوية ، لما استطعنا أن نستمع إلى القيمة الصوتية الصحيحة لجمل قصائده وأن ناتقط نغمها الحي ، هذا النغم الذي وجدناه على بعده في الزمان و في المكان من خلال استيلاء انفعالاتهم و خواطرهم على ما يكتبون، فمن القصائد الجميلة التي كتبها الأمير قصيدة : (باللحظ تخدش وجنة):

أقول لقوم لا تفيد نصيحتي ❁ لديهم ولو أبديت كل الأدلة

ألا فاتركوا ورد الخدود و شأنه ❁ فتخذيكم في الخد أقبح فعلة

أيعمد ذو لب لخد مورد ❁ ويقسمه عمدا الى شر قسمة

ومادح شرط الخد في السود ❁ وأما بخد البيض فالقبح عمدتي صادق

أما يختشي من أن يكون مخددا ❁ ويدخل في من حاز أفظع قولة.[372]

ففي كلمة يختشي أراد يخشى، وهي عامية اقتضاها الوزن ، وهذا ما يوحي أن للأمير ذوق جمالي راق جدا ، كما أن له موقفا صريحا لصالح جمال المرأة وضد تشويهه فعلى الرغم من ضحالة الثقافة وانحطاط الذوق الفني لدى المبدعين و القراء آنذاك بسبب ضعف اللغة العربية و انتشار اللحن ، واعتماد اللهجات المحلية إبداع الأشعار مما جعل الشعر الملحون المعبر الوحيد بدون منازع عن شعرية تلك الفترة و أدبيتها، إلا أن الأمير ترك مدونة شعرية رائعة وفق النص الغائب من خلال ما أخذه عن سابقي عصره ، وذلك تبني في شبقية المضمون و هاجس المعاينة في قصائده، فهي ملتصقة بلسان الشعب وشعبه حتى دخل بها المعركة ضد المستعمر الغازي ، وجعلها تكتسي طابعا استراتيجيا زيادة على وظيفتها الشعرية و الأدبية، حتى كان يرى في الشعر تكملة لشخصيته ولبطولته ولإنسانيته، ويتخذ منه حلية يتباهى بها، حتى كان معجبا بقول الشاعر:

---

[372] الأمير:الديون ، ص:64-65.

اذا جهلت مكان الشعر من شرف ❁ فأي مفخرة أبقيت للعرب؟؟

هكذا "كان هناك تحول بارز على جبهة الشعر للانتقال من البداوة للحضارة، ومن الصحراء للعمران، ومن الاستلاب إلى تحقيق الذات ، وكان هناك إرهاص بأن التجارب الإبداعية تخلق شكلها ، وأن الموضوع الواحد بدأ يأخذ دوره بحسم في القصيدة ، ومن الطبيعي أن أغراضا قد ازدهرت وأغراضا قد ذوت ، وأغراضا قد حدت، وأن الشعر بصفة عامة قد اقترب من لغة الناس ومشكلاتهم ، وإيقاعاتهم ، وفي الوقت نفسه كان يعلى على كل الجهات."[373]بهذا كان للأمير دور تأسيسي في إعادة الوعي للقصيدة العربية الأصيلة في الجزائر إن على مستوى المضمون أو الخصائص الجمالية ، وذلك على الرغم من كلاسيكية و دينية و ثقافة الأسلاف ، لأنه ربط ذاته تعبيرا و دلالة بالماضي و التاريخ ، وجماليا كانت بلغة تقترب من الأدبية و الجمالية. لهذا تميز شعره ببعض الخصائص الأسلوبية المتمثلة في حسن اختياره لمعجمه اللغوي و في بناء الصورة الشعرية المعبرة عما يقصد إليه من رسائل ودلالات ، وكذا في الأبحر الشعرية التي اختارها التي تمثل مع الجمل و تراكيبها وعباراتها و موسيقاها الخارجية والداخلية تكاملا شعريا يتسم بالعمق والقوة في بلوغ المقاصد و في شكل المضامين التي يجملها النص الشعري لأميري على حسب اللغة والصورة و الموسيقى.

- الموسيقى الخارجية : نجد أن الصياغة تتوافق الموسيقى مع المعنى حيث يبدو التأثر منسجما انسجاما كامل. لأن بناء القصيدة من حيث الوحدة الموضوعية و الوحدة العضوية هو الإطار الموسيقي الخارجي الذي يشكل الهيكل العام للقصيدة ، والوزن و القافية

[373] عبده بدوي: دراسات في النص الشعري،ص:11.

يشكلان الموسيقى الخارجية للقصيدة فقط، بحيث نجد أن القصائد فيما بينها اختلافا يتراوح بين الالتزام و الانفلات، لأن هناك بعض القصائد لا تلتزم إلا الموسيقى الخارجية المتمثلة في الوزن و القافية، وأخرى تلتزم المضمون التزاما أكثر وضوحا، إلا أن التوحد في الموسيقى الخارجية يؤدي إلى التأثر في مواضع كثيرة بالموسيقى الداخلية.

نجد في ديوان الأمير عبد القادر الجزائري قصيدة قد عبرت من البيت الأول إلى آخرها عن معجم شعري بفضله عبر عن التأثر لبعده عن جيوشه وعما قاساه من شوق ومحبة وهو بعيد عنه حيث يقول في قصيدة (الباذلون نفوسهم):

يا أيها الريح الجنوب ؟تحملي ❁ مني تحية مغرم و تجملي

أقر السلام أهيل ودي و أنشري ❁ من طيب ما حملت ريح قرنفل

خلي خيام بني الكرام وخبري ❁ أني أبيت بحرقة وتبلبل

أفدى أناسا ليس يدعي غيرهم ❁ حاشا العصابة و الطراز الول

يكفيهم شرفا وفخرا باقيا ❁ حمل اللواء الهاشمي الأطول [374]

فلاحظ سلاسة الإيقاع الخارجي لهذه القصيدة، حتى أننا نجد فيها بعض من قول حسان بن ثابت عن " شم الأنوف من الطراز الأول" وهذا دليل على حضور النص الغائب في قصائده. فهي حوت في طياتها، صورة موسيقية جميلة قد نظمت عبى بحر الكامل ذي النفس الطويل المناسب لشدة المعاناة وقوة الجرح، زيادة على ما وظفه في القصيدة من أنغام تناسب

---

[374] الأمير:الديون، ص:84-85.

الحرقة و تخمة الحنين مثل اختياره حرف "اللام" للروي وتصغير بعض الكلمات و الإكثار من الحروف ذات الصوت القوي مثل "الراء و السين و الحاء والفاء " و الجناس.... إلى غير ذلك من لمسات ذات الملمح الموسيقي التي باستطاعتها ترك أثر موسيقي في أذن القارئ و السامع معا. فهي تبين كثافة الصورة الشعرية و عمق دلالتها في مرجعية كينونتها وفي أبعاد و فضاءات قراءتها، وقد طغت الصورة الموسيقية في هذه اللوحة على غيرها من الأساليب الفنية، حين نجد في بعض الأبيات ايقاعا موسيقيا بارزا عند ترديد صيغة الاستفهام ، وما تبعها من صيغ الفعل الماضي، الحامل للديمومة و الاستمرارية و الثبات ، لأن التجربة الشعرية في أساها تجربة لغة ، ولغة الشعر هي الوجود الشعري الذي يتحقق في اللغة انفعالا وصوتا موسيقيا وفكرا. وهذا التعمق الشاعر في حد ذاته هو كإنسان يؤدي إلى معايشة في إنسانيته كلها. وهو أن الأمير عبد القادر و بالاحتكام إلى ظروف عصره ، هو تلك التوترات التي رافقت حياته، وعلى الرغم من ذلك جمع أكبر قدر من معايير الحداثة، على حساب تمثله للتراث و السلف القديم. وهو ما جعل رؤيته مؤسسة على اعتقاد ديني أصيل بحيث حفظ القرآن الكريم و تفقه في الدين و اللغة والفكر الصوفي و هذا تعبيرا عن همومه ووقائعه المبثوثة في الريف الجزائري فعبر عنها شعرا لا نثرا.

وقد تأثر الأمير في صياغته لقصائده من الشعراء القدماء ، حيث يبدو التأثر منسجما انسجاما كاملا من حيث الجانب الموسيقي و المعنوي بصورة مختلفة . وقد أدى التشابه في موسيقى القصائد إلى تسرب بعض الصيغ المخزونة، غير أن اختلاف القافية أدى إلى إبدال كلمة القافية بكلمة تكاد تعطي المعنى نفسه، إلا أن إيحاءها وموسيقاها الداخلية تقصران عن إعطاء المعنى الأصلي بدقة ، وهذا ما أدى إلى ضعف الإيحاء عما هو في النص القديم. كما

يمكننا أن نفرق بين شاعر وآخر و بين مرحلة و أخرى ، وذلك من خلال التأثير في الصياغة لتشابه الوزن و القافية وتأثر الموسيقى يكون في أشكال مختلفة، فقد تبدو في جزئية من الجزئيات البيت أو في البيت وقد تشمل البيتين أو الثلاثة، وهو ما يؤدي إلى انفصال بين جرس الحروف و موسيقاها وبين الألفاظ و معانيها ومن هنا يأتي خطر التأثر أو التقليد.

إذن الإيقاع هو الجرس الموسيقي، وحركة الأصوات الداخلية و الخارجية و الناتجة عن النبر الخاص بالمقاطع الصوتية للكلمات. فقد حاول الأمير اقتباس ما كان في الشعر الجاهلي من موسيقى لجودته وصقله ، فقد اقترن الشعر في العصر الجاهلي بإيقاع خطوات الإبل و بخاصة إيقاع بحر الرجز و أصله مأخوذ من البعير إذا شدت إحدى يديه فبقى على ثلاثة قوائم ،وأجود منه أن يقال مأخوذ من قولهم ناقة رجزاء، لذلك فإن أوزان الشعر التي نظمت فيها الأعاريض جميعا مع حركة الإبل في السرعة و الأنات، ومما جاء من الحركات المتمهلة قولهم: ارتعشت عند قيامها لضعف يلحقها أوداء."[375] ، بهذا وجدت الأوزان في الشعر الجاهلي ، حافظت على أوزانها واستقامتها و إقامتها وقضايا القافية فيها ، وما تتضمنه من قواعد عروضية وإيقاع موسيقي. وهذا ما وقف عليه الأمير عبد القادر من خلال النص الغائب أو التناص لأنه أطلق حديثا وهو تقاطع النصوص أو الحوار فيما بينها ،" لأن النص لا يعدو أن يكون مجموعة من النصوص تساهم بطريقة أو اخرى في تشكيل نص ما ، فعملية التناص مست التحليل في عدة نصوص كما مست التحليل في النص الواحد حيث إذاشكل الشرح نصوصا متقاطعة بين كلمتين في نص واحد.

---

[375] الخطيب التبريزي(502هـ): حققه الحساني حسن عبد الله، كتاب الكافي في العروض و القوافي ، الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة، مصر،ط3،1994،ص:77.

وقد ذكرت انطباعات حول شاعرية الأمير عبد القادر الجزائري و هي دراسة نقدية و أدبية فيما بينها انطباعات الأستاذ "بونجولا Ponjoulat في مؤلفه " دراسات افريقية Etudes Africaines" جاء فيها:

« La poésie arabe nous répète que l'esprit de l'Emir est plus vaste que la mer, qu'il est le plus savant des savants le savant de marabouts, et que le plus grand tolbas s'inclinent devant son génie ; qu'une lettre qu'on lui adresse ne reste jamais une heure sans réponse, et qu'il emploie toujours les plus belles, les plus pures expressions.

« Et cependant, ses amis nous apprennent que quand il monte son coursier noir, il parait modeste comme un petit enfant et se couvre la moitié de la figure .

« Les vers d'Abd el Kader sont dans toutes les bouches, sous les tentes et les gourbis d'Afriques ; ils charment les ennuis du cavalier dans ces longues courses ou souvent l'on fait des lieues sans rencontrer un buisson ».376

وهي توضح أنه يمكن القول بأن الشعر العربي يثبت بأن فكر المير في الأدب أوسع من البحر، فالأمير عالم العلماء و عالم الفقهاء وأعظم المشايخ " الطلبة برفع الطاء" تنحني لعظمة حكمته وعبقريته وقد يتجلى ذلك في أنه يجيب عن أية مراسلة في ظرف لا يتعدى ساعة، وفي صياغته أدبيا أجمل النصوص وأطهر التعابير و المشاعر الرقيقة و هو على فرسه قائما متواضعا شامخا كبراءة طفل في صفه وسيميائه ، فأشعاره تتردد على الألسنة داخل الخيم والبوادي الافريقية لأن الأمير الشاعر تخيم قريحته بالهام قد تقلص من حدة معاناة الفارس في دروبه الشاقة بسبب عدم العثور على ملجأ أحيانا.

376 Mohammed Cherif Salhi : Abd El Kader chevalier de la foi. P :28.

نستخلص أن الأمير عبد القادر كان يمتلك في عمق جوانحه شواظا من البوح الشعري كان يجب عليه أن يخرجه وأن يعبر عنه بأية لغة كانت، لكن في هذه الظروف التي فرضت عليه قيادة الأمة الجزائرية لمواجهة الجيوش الفرنسية كان لزاما عليه أن يجد ما يوحد به صفوف هذه الأمة . فكان ذلك مبني على الدين الإسلامي وعلى اللغة العربية في صياغاتها و سياقاتها المفهومة قدر الإمكان ، محيطة بالمجالات الاجتماعية و السياسية و العسكرية ، وبما أنه كان يعتمد في صياغته لأشعاره على تجاربه وعلى شاعريته، كان من الطبيعي أن يقع تقاطع بين الشعر المبدع في هذا الريف وحزله ومن طرف شاعر عاش فيه وعايش قضاياه و مهالكه وبين الشعر الرعبي القديم لذي كان هو الآخر، أسسه الأولى ومنابته الفضلى منتزعة من الريف بحله و ترحاله وحيواناته،وما يكتنف كل ذلك من شوق و خوف وشدة عزم و افتكاك للقمة العيش بالمغامرة في الفيافي و الصحاري لمطاردة الفراش و الصيد ، هذا ما يوضح لنا بروز النص الغائب في قصائده ، وذلك لتأثره بشعر الشعراء الرعب القدامى و هو ما وجدناه في جل قصائده من مثل" أبونا رسول الله"،" ما في البداوة من عيب" و"بي يحتمي جيشي " وغيرها.

خاتمة

لم يكن الأمير عبد القادر الجزائري لوحده مستحضرا التناص والنص الغائب في شعره، بل جاء تابعا لشعراء و علماء سبقوه، ذللوا له الطريق، فما كان عليه إلاّ أن احتذى حذوهم، وانتهج سبيلهم,

يعد الأمير واحدا من الذين جمعوا بين الأصالة والتجديد في شعره، وكان الأمير الشاعر فاتحة لظهور نص شعري جزائري مواكب لنهوض النص الشعر العربي، بحيث كانت دراسة الشعر العربي الحديث، وبخاصة أشعار من التراث الجزائري دافعا قويا لهذا البحث، وهو ما كشفت عنه في دراستي لديوانه.

إذا اعتمد الأمير عبد القادر الجزائري في ديوانه هذا على:

1-استحضار النص من القرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف، وشعر التراث القديم وأصالته.

2-تمثّله الكبير للنص الغائب، بحيث اتخذه نموذجا لكتابة الشعر.

3-معايشة النص واستنباطه ، من خلال عالمه الخاص.

4-معرفة نسيج النص والمعاني والصور.

5-استنتاج أن النص الغائب هو مجموع النصوص التي ساهمت في حضور النص الحاضر، لأنها تعمل على تحقيق وتشكل دلالته.

6-تأثره الواضح بالايحائيين، لأنهم التزموا النص الغائب وطريقة التعبير عندهم استمدت حضورها من العصور القديمة.

7-الصورة هي البنية التي انطلق منها، لانها هي التي تحمل الزخم الدلالي، إلاّ أن أهم الركائز الشعرية هي الموسيقى.

8-علاقة الصور بالرمز.

9-اتخاذ الشكل الميدان الذي يتحدد فيه مصير النص.

10-استحضار النص من النص السابق.

لعل موضوع البحث: النص الغائب في ديوان الأمير عبد القادر الجزائري جعلني أتطرق إلى معرفة النص الغائب وبالتالي لجأت إلى مقاربة نقدية بين ما قاله الأمير بوصفه شاعرا ومصلحا ومجاهدا..... وبين الطرائق المنهجية الحديثة إن على القراءة النصية للنص، أو الخارجية .

لم ينطلق الأمير في تناوله للنصوص الغائبة من فراغ بل من الأداة التواصلية التي ينطلق منها القراء والدارسون على اختلاف مشاربهم وتباين مستزياتهم.

تناولت في القراءة النصية، تلك المسائل التاريخية المحيطة بديوان الأمير والتعريف به، درست الأمير دراسة اجتماعية، تاريخية، نفسية، سياسية وحتى ثقافية...

وفي الدراسة النصية للديوان يشار أن الأمير الشاعر هو فاتحة لظهور نص شعري جزائري مواكب لنهوض النص الشعري العربي، من خلال نسيج النص والمعاني والصور، مع إيراده لعنصر الإيقاع وسلاسة النغم.

جاء ديوانه متعدد الطرائق، مثلما تعددت مصادرها، فوجدت نصه الغائب مستمد من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، وبمماثلة الشعر، وجعل من أقوال الشعراء ملجأ يأوي إليه في استحضار النص الغائب.

وعليه فإن مشروعية البحث تقتضي أن يتساءل المرء عن قضايا هامة تتعلق بالموضوع:

-هل أخد النص الغائب مفهومه الكامل؟

-أين تجلت تجربة الأمير الشعرية والشعورية؟

-ما مدى معرفة الأمير كيفية استحضار النص من النص السابق؟

-إلى أي حد وصل أثر الشعر العربي القديم على مضمون ديوان الأمير عبد القادر الجزائري؟ إلى أن نجد لهذه الأسئلة أجوبة مقنعة، أنهي بحثي هذا، شاكرة المولى عز وجل على توفيقه، شكرا يكافي نعمه، ويوازي مننه، وأسأله أن يجعل عملي هذا خالصا لوجهه الكريم.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم برواية ورش عن نافع

الديوان:

1. العربي دحو،ديوان الشاعر الأمير عبد القادر-1807م،1883م ،جمع وتحقيق شرح وتقديم-ثالة-عاصمة الثقافة العربيةط3،2007.

المصادر والمراجع:

2. ابراهيم السعافين ، ، مدرسة الاحياء و التراث، ذراسة في اقر الشعر العربي اقذيم لر مدرسة الاحياء في مصر دار الاندلس ط 1، 1981.
3. أبو القاسم سعد الله،تاريخ الجزائر الثقافي،ج2،1500-1830هـ ،دار الغرب الإسلامي ط1 ،1998.
4. احمد دوغان ،الأدب الجزائري الحديث،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،الجزائر،1986 .
5. السعيد الورقي ، في مصادر التراث، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ص.ب.749-11(1404 هـ - 1984م.
6. بشير بويجرة الأمير عبد القادر، رائد الشعر العربي الحديث ،ط3ن منشورات دار القدس العربي وهران .

7. حنا الفاخوري: الجامع في تاريخ الأدب العربي ، الأدب الحديث ، دار الجبل ، الطبعة الثانية 1995، بيروت، لبنان.

8. حنا الفاخوري: الموجز في الأدب العربيو تاريخه، المجلد الرابع، أدب النهضة الحديثة دار الجبل، بيروت، الطبعة الثانية ، 1411هـ- 1991م.

9. سعيد يقطين، من النص الى النص المترابط.مدخل الى جماليات الابداع التفاعلي.المركز الثقافي العربي ،الطبع الاولى 2005، بيروت .لبنان.ص.ب 5158-113 .الحمراء . شارع جاندارك.بناية المقدسي.

10. شارل هنري تشرشل ،حياة الأمير عبد القادر،ترجمة وتعليق أبو القاسم سعد الله،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر،1986.

11. شايف عكاشة ،مدخل إلى عالم الشعر المعاصر في الجزائر،قراءة مفتاحية منهج تطبيقي،ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر،1988 .

12. صلاح فضل: بلاغة الخطاب و علم النص، أدبيات ،مكتبة لبنان ناشرون، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان.

13. طه حسين: الأدب و النقد، المجلس الخامس ، دار الكتاب اللبناني ،بيروت،لبنان ومكتبة المدرسة،1982م.

14. عبد العزيز عتيق: علم العروض والقافية، دار النهضة للطباعة والنشر، بيروت .دط،دت.

15. عبد القادر بن حراث، الأمير عبد القادر الرجل مساره ومؤلفاته،جوانب من شخصية الأمير من خلال مؤلفاته الأدبية،مؤسسة الأمير عبد القادر، 2001.

16. عبد القادر رابحي ،النص و التقعيد، دراسة في البنية الشكلية للشعر الجزائري المعاصر، إيديولوجية النص الشعري، الجزء الأو ّل، دار الغرب للنشر والتوزيع.

17. عبد الله حمادي: مساءلات في الفكر (محاضرات)، ، ديوان المطبوعات الجامعية، الساحة المركزية، بن عكنون، الجزائر.

18. عبد المالك مرتاض ، نهضة الأدب المعاصر في الجزائر-1925،1954م- الطبعة الثانية مزيدة ومنقحة،،دار الغرب الإسلامي،2006م.

19. عبده بدوي (دراسات في النص الشعري العصر العباسي،دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع القاهرة،د ط،د ت).

20. عبده بدوي: دراسات في النص الشعري (العصر العباسي)، دار قباء للطباعة و النشر و التوزيع ، عبده غريب، القاهرة .

21. عز الدين المناصرة: علم التناص المقارن ، نحو منهج تفاعلي: بدعم من عمادة البحث العلمي ، جامعة فيلاديلفيا 2006، الطبعة الأولى 1427هـ- 2006م .

22. عشراتي سليمان: الأمير عبد القادر ،الشاعر مدخل إلى تحليل الخطاب الشعري في محيطه ما بعد،درا القدس العربي للنشر والتوزيع وهران،الجزائر،2011.

23. محمد الصغير بناني وآخرون مذكرات الأمير عبد القادر، نبذة عن حياته ،شركة الأمكنة للطباعة والنشر والتوزيع برج الكيفان،الجزائر،ط3 ،1998.

24. محمد بشير بويجرة الأمير عبد القادر .(رائد الشعر العربي) الطبعة الثالثة، منشورات دار القدس العربي، وهران الجزائر .

25. محمد بشير بويجرة جدلية العبقرية و المعاصرة عند صاحب الإمارة، قراءة في مسار الأمير عبد القادر.

26. محمد بوقرورة، دراسات في الشعر الجزائري المعاصر نقد، منشورات اتحاد الكتاب الجزائريين 88، شارع ديدوش مراد ، الجزائر، الطبعة الأولى: ،ص:168

27. محمد ناصر: الشعر الجزائري الحديث ، اتجاهه و خصائصه الفنية ، 1925-1975م، الطبعة الثانية ، مزيدة و منقحة، دار الغرب الاسلامي،2006م.

28. مذكرات الأمير عبد القادر ، تحقيق محمد الصغير بناني ،محمود السماتي ،محمد صالح الجون، شركة دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع،الجزائر،ط3 ،1998.

29. يحي بوعزيز، ميكائيل إيبالزا،الجديد في علاقات الأمير عبد القادر مع إسبانيا وحكامها والعسكريين بمليلة،مطبعة البعث،الجزائر،1982.

30. أحمد الشايب: الغزل في تاريخ الأدب العربي ، دار المعارف للطباعة والنشر، سوسة-تونس ،ص 17-18.

31. أحمد حاجي، مطاردة النص: بين صور الاستحضار وأسلوبية التقمص، نحو قراءة بديلة للشعر العربي، أبو حمّو موسى الزياني نموذجا، ص:285 .

32. أحمد دحبور، ، أفق التحولات في الشعر العربي،شهادات ونصوص، دار الفنون، مؤسسة عبد الحميد شومان، الطبعة الأولى 2001،ص7.

33. اعتدال عثمان : اضاءة النص (قراءات في الشعر العربي الحديث) دراسات أدبية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب 1988، الطبعة الأولى ص 150

34. الخطيب التبريزي(502هـ): حققه الحساني حسن عبد الله، كتاب الكافي في العروض و القوافي ، الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة، مصر،ط1994،3،ص:77.

35. السعيد الورقي ،لغة الشعر العربي الحديث: مقوماتها الفنية و طاقاتها الابداعية، دار المعرفة الجامعية للطبع و النشر و التوزيع، 2002،ص 15-16

36. أنور عبد المالك(الفكر العربي)، ترجمة وإعداد: بدر الدين عرودكي، معركة النهضة، دار الآداب، الطبعة الثالثة 1981.

37. جابر عصفور : الصورة فنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب ، ، المركز الثقافي العربي، ط1، 1992م. ص:7

38. حلمي مرزوق: مقدمة في دراسة الأدب الحديث. دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت1980م. ص 128

39. عبد الجليل مرتاض: في عالم النص و القراءة، ديوان المطبوعات الجامعية، الساحة المركزية – بن عكنون- الجزائر 2007.

40. عبد الله الركيبي، الشعر في زمن الحرية ، (دراسات أدبية ونقدية)ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر.

41. عبد الله حمادي: مساءلات في الفكر و الأدب ،محاضرات، ديوان المطبوعات الجامعية، الساحة المركزية، بن عكنون، الجزائر.

42. عز الدين المناصرة: علم التناص المقارن ، نحو منهج عنكبوتي تفاعلي: بدعم من عمادة البحث العلمي ، جامعة فيلاديلفيا 2006، الطبعة الأولى 1427هـ-2006م.

43. علي جعفر العلاق: في حداثة النص الشعري(دراسة نقدية)دار الشروق،عمان الأردن.الطبعة العربية الأولى: الاصدار الأول .2003،.

44. عمر بوقرورة، دراسات في الشعر الجزائري المعاصر، نقد، منشورات إتحاد الكتاب الجزائريين،الجزائر،ط 2004.

45. فؤاد صالح السيد ، الأمير عبد القادر متصوفا،المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر،1985 .

46. فوزي عيسى: النص الشعري، وآليات القراءة، منشأة المعارف بالإسكندرية، جلال حزي وشركاه.

47. فوزي معلوف: النص الشعري وآليات القراءة، النص الشعري وآلياته القراءة، منشأة المعارف بالإسكندرية، جلال حري وشركاه.

48. قدور محصاجي، شباب الأمير عبد القادر ترجمة مختار محصاجي، ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر 2007م.

49. مارون عبود: أدب العرب، مختصر تاريخ نشأته وتطوره وسير مشاهير رجاله وخطوط أولى من صورهم، ، دار مارون عبود، دار الثقافة، الطبعة الثالثة 1388-1399هـ-1979/1978م، بيروت. ص:520-521

50. محمد بشير بويجرة جدلية العبقرية و المعاصرة عند صاحب الإمارة، قراءة في مسار الأمير عبد القادر،ص8، منشورات دار القدس العربي، 2009م.

51. محمد بوزيان: زيارة الأمير .رحلة في دروب القوافي عبر مسيرة الأمير عبد القادر 1808-1883، شعر شعبي ، 8 شارع رضا حوحو الجزائر 16000 ، ص:18-19.

52. محمد مصطفى ابو شوارب (ايقاع الشعر العربي تطوره وتجديده منهج تعليمي مبسط،دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر،الاسكندرية) د ط ،د ت.

53. محمد ناصر: الشعر الجزائري الحديث ، اتجاهه و خصائصه الفنية ، 1925-1975م، الطبعة الثانية ، مزيدة و منقحة، دار الغرب الاسلامي،2006م.

54. نازك الملائكة: قضايا الشعر المعاصر، دار العلم للملايين بيروت، الطبعة 8 أكتوبر 1992،ص:263-264.

55. نصر حامد : النص و السلطة و الحقيقة إدارة المعارف وإدارة الهيمنة ،المركز الثقافي العربي،ط4،2000.

56. ابن عبد الله شعيب: علم البيان،علم المعاني،علم البديع، الميسر في البلاغة العربية، دروس وتمارين، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر.

57. ابن عبد ربه: العقد الفريد،ج2، دار الكتاب العربي، بيروت، دط ،دت.

58. أحمد جمال العمري: شروح الشعر الجاهلي(مناهج الشراح)،ج1، دار المعارف، ط1، 1981 .

59. أحمد قبش، تاريخ الشعر العربي الحديث، دار الجيل، بيروت،د ط،دت .

60. السعيد الورقي، لغة الشعر العربي الحديث، مقوماتها الفنية وطاقاتها الإبداعية، ، دار المعرفة الجامعية للطبع والنشر والتوزيع 2002.

61. آمنة بلعلى: تجليات مشروع البعث و الانكسار في الشعر العربي المعاصر،(دراسة تطبيقية) دروس جامعية (آداب)، ديوان المطبوعات الجامعية.

62. الأمير عبد القادر ، الديوان .

63. جودت فخر الدين، حسن عبد الله، الغزل:،دار المناهل، دار الحرف العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت،لبنان.

64. حامد حفني داود: تاريخ الأدب الحديث ،تطوره، معالمه الكبرى،مدارسه، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر 1993.

65. حسين فيلالي: السيمة و النص السردي ،مقاربة في شفرة اللغة،رابطة أهل القلم ،ط1،دت.

66. السعيد الورقي: لغة الشعر العربي الحديث ، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان،ط1984.

67. سعيد حسن بحيري: علم لغة النص، المفاهيم والاتجاهات ،الشركة المصرية العالمية للنشر،مصر،1990.

68. سعيد يقطين، من النص إلى النص المترابط.مدخل إلى جماليات الإبداع التفاعلي .

69. شوقي ضيف ، فصول في الشعر ونقده ، دار المعارف بمصر،دط،دت .

70. شوقي ضيف: في النقد الأدبي، دار المعارف، القاهرة، مصر ،ط5، 1977م.

71. صالح مفقودة: نصوص و أسئلة(دراسات في الأدب الجزائري) دراسة منشورات اتحاد الكتاب الجزائريين، الطبعة الأولى 2002، دار هومة.

72. صلاح فضل: بلاغة الخطاب وعلم النص ، مكتبة لبنان،ناشرون، الشركة المصرية العالمة للنشر، لونجمان ، الطبعة الأو لى 1996م.

73. عبد العزيز عتيق: علم العروض والقافية ، دار النهضة للطباعة و النشر، بيروت،

74. عبد القادر هني: نظرية الابداع في النقد العربي القديم ، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر(ر ط) 1999.

75. عبد الله ركيبي: الشعر في زمن الحرية(دراسات أدبية و نقدية) ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.

76. عبد المالك مرتاض : تحليل الخطاب السردي، معالجة تفكيكية سيميائية مركبة "رواية زقاق المدق"، ديوان المطبوعات الجامعية،1995م.

77. عبده بدوي: دراسات في النص الشعري(عصر صدر الاسلام وبني أمية)،دار قباء للطباعة و النشر و التوزيع، عبده غريب.القاهرة.

78. عز الدين منصور: دراسات نقدية و امنذج حول بعض قضايا الشعر المعاصر، مؤسسة المعارف ، بيروت،لبنان،ط1985،1م.

79. عزالدين منصور : دراسات نقدية ونمادج حول بعض قضايا الشعر المعاصرة مؤسسة المعارف بيروت لبنان، ط1 ، 1995.

80. علي جعفر العلاق: في حداثة النص الشعري، دار الشروق للنشر و التوزيع الاردن ط 1 2003.

81. علي حرب: النص و الحقيقة-نقد النص-المركز الثقافي العربي،بيروت ،لبنان ،ط3 ،2000.

82. علي حميد خضير : الجديد في العروض : عالم الكتب ، مكتبة النهضة العربية ، ط1، 1403هـ- 1983م .

83. عمار زعموش، إشكالية الواقعية والتراث في النقد العربي المعاصر، دار الغرب الإسلامي ،الجزائر،1987.

84. محمد العياشي: ايقاع الشعر العربي، مطبعة الاسكندرية، مصر(د ط)،1973م .

85. محمد تحريشي: دراسة، اتحاد الكتاب العرب، دمشق ،دط، 2000 .

86. محمد زكي العشماوي : الأدب و قيم الحياة المعاصرة ،دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1980م.

87. محمد طه الحاجري: دراسات و صور من تاريخ الحياة الأدبية في المغرب العربي، دار النهضة العربية للطباعة و النشر ، بيروت.ص.ب749،ط1، 1403هـ/1983م.

88. محمد عزام: النص الغائب، تجليات التناص في الشعر العربي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق،2001.

89. محمد مفتاح:تحليل الخطاب الشعري (إستراتيجية التناص) المركز الثقافي العربي، الطبعة الرابعة 2005 .

90. محمد مندور، الأدب وفنونه، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية 2002.

91. نعيم اليافي: أوهاج الحداثة .دراسة في القصيدة العربية الحديثة، دراسة منشورات اتحاد الكتاب العرب 1993.دمشق.

92. يحي بوعزيز:مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية، ، ديوان المطبوعات الجامعية، ط1999، الجزائر .

المعاجم والقواميس:

1.المنجد في اللّغة والاعلام ، طبعة المئوية الأولى –دار المشرق ، بيروت: الطبعة الثالثةو الأربعون.

2مجمّع اللغة العربية،الإدارة العامة للمعجمات وإحياء التراث، المعجم الوسيط،مكتبة الشروق الدولية، جمهورية مصر العربية،ط1425،4ه/2004م.

3. اميل بديع يعقوب: المعجم المفصل في علم العروض و القافية و فنون الشعر، دار الكتب العلمية ،ط1، 1991م.

الكتب المترجمة:

1. يوهان كارل بيرنت(الأمير عبد القادر) ترجمة وتقديم د أبو العيد دودو ، دار هومة للطباعة والنشر و التوزيع،34 حي لابرويز: بوزريعة.الجزائر 2012.

2.يوهان كارل بيرنت: الأمير عبد القادر، ترجمة : د.أبو العيد دودو، دار هومه، الجزائر.

3. شارل هنري تشرشل ،حياة الأمير عبد القادر،ترجمة وتعليق أبو القاسم سعد الله،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر،1986.

4. شارل هنري تشرشل، حياة الأمير عبد القادر،ترجمة وتعليق وتقديم: أبو القاسم سعد الله، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 2004 .

5. ربنيه ويليك، أوستن وارين: نظرية الأدب، ترجمة محي الدين صبيحي، مرجعة د.حسام الخطيب، المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

الكتب الأجنبية:

1. Mohammed Cherif salhi :Abd el kader chevalier de la foi. Entreprise de presse. Alger. Unité de réghaiia 1984.page 27
2. M.Emerit : « L'Algérie à l'époque d'Abd el kader » Ed, la rose, Paris , 1951

المجلات والدوريات:

1. الأثر مجلة الآداب واللغات، دورية أكاديمية محكمة، تصدر عن كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة ورقلة، الجزائر، العدد الثالث ماي 2004م .

2. جابر عصفور: أوراق نموذجية، النموذجان النقيضان، مجلة العربي، العدد442، 1995.

3. دراسات جزائرية، دورية محكمة يصدرها " مختبر الخطاب الأدبي في الجزائر"العدد 2مارس2005، جامعة وهران .

4. مجلة الحكمة عنوان المقال الكاتب الجزائري يصدرها إتحاد الكتاب الجزائريين)،ص57 العدد 02، إتحاد الكتاب الجزائريين، السنة 1997الجزائر .

5. النقد الأدبي في شروح الشعر العربي حتى نهاية القرن الرابع الهجري، رسالة قدمت لنيل شهادة الماجستير، محمد تحريشي، بإشراف د.عيسى العاكوب 1409هـ -1989م جامعة حلب، كلية الآداب و العلوم الانسانية ،قسم اللغة العربية .

6. كواري مبروك: وظيفة التناص في الرواية الجزائرية 1972-1982 ، مخطوط لنيل شهادة الماجستير في الأدب ، عن جيير محمد: مقتربات النص،موسم 1998-1999.

إهداء	

الفهرس

شكر وعرفان	
مقدمة:	أ-ز
مدخل:	31-10
الفصل الأول: طبيعة الحياة الثقافية والاجتماعية	78-33
طبيعة الحياة الثقافية في عصر الأمير عبد القادر.	45-34
طبيعة الحياة الاجتماعية في عصر الأمير عبد القادر.	57-45
نبذة عن حياة الشاعر.	78-58
الفصل الثاني: حضور النص الغائب في أغراض الأمير عبد القادر الشعرية	
المدح و الفخر وشعر المناسبات.	96-79
الوصف و الغزل والحكمة.	111-97
الزهد والحنين والاعتذار.	127-111
الفصل الثالث:جليات النّص الغائب في شكل القصيدة الأميرية	
البناء المعجمي والنسيج اللغوي في القصيدة الأميرية.	146-130

جماليات الصورة الشعرية والآليات في القصيدة الأميرية.	161-146
المعاني والألفاظ في القصائد الأميرية.	175-162
الفصل الرابع: أثر الشعر القديم في البنية الإيقاعية عند الأمير عبد القادر الجزائري	
لشكل الفنّي والإيقاعي عند الأمير عبد القادر.	192-178
مسائل في الوزن والقافية في شعر الأمير عبد القادر	210-192
الموسيقى الداخلية والخارجية في شعر الأمير عبد القادر	223-211
خاتمة:	227-225
قائمة المصادر والمراجع:	241-229
الفهرس:	244-243